

ذُرِّيَّةُ نَارٍ وَجَوْثِ

لَيْثٍ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي فِي السَّلاَمِ يَا ذَا الْأَرْبَعَيْنِ

- BP193.13 .M88 2023

- المؤتمر العلمي الدولي لزيارة الأربعين (١-٥ : ٢٠٢٣ : العراق، كربلاء) - مؤلف.
- دراسات وبحوث المؤتمر العلمي الدولي لزيارة الأربعين. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، ٢٠٢٣/١٤٤٤ للهجرة.
- مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٢٠١) ، (مركز كربلاء للدراسات والبحوث؛ ١٨٤)
- الاول: زيارة الاربعين معاني ودلالات -- الثاني: زيارة الاربعين معراج للإصلاح ومنهج للتربية الروحية - الثالث : زيارة الاربعين مسيرة عطاء نحو تحقيق اهداف التنمية المستدامة -- الرابع : الشباب وزيارة الاربعين تطوير الذات لصناعة المستقبل -- الخامس : زيارة الاربعينية جسد الحياة قلبه الاسرة وعقله الشباب - السادس : ثبات النهج وعنوان الهوية - السابع : زيارة الأربعين ... أصالة القيم وعنوان الحضارة .
- يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
- ١. الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الثالث، ٦١-٤ للهجرة -- مؤتمرات ٢. زيارة الاربعين -- مؤتمرات أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مركز كربلاء للدراسات والبحوث -- جهة مصدرة. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في
العتبة الحسينية المقدسة

٢١٣/٢٥٠٦٣

م ٦٨٨ المؤتمر العلمي (١: ٢٠٢٣: كربلاء) .

دراسات وبحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لزيارة الاربعين / المؤتمر - ط١ - كربلاء:

مركز الدراسات والبحوث، ٢٠٢٣.

(٢٣٣ص): ٢٤سم.

١. الحسين بن علي (ع) - (إمام) - ٢- عاشوراء (زيارة الأربعين) - مؤتمرات - أ- دراسات

وبحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لزيارة الأربعين .

م.و.

٢٠١٨/١٦٩١

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٩١) لسنة ٢٠١٨ م.



دراسات ومجوت

لبيوة العالمة الدرة السيرة لزيارة الأربعين

تحت شعار

زيارة الاربعين ثبات النهج وعنوان الهوية

الذي أقامه مركز كربلاء للدراسات والبحوث

في العتبة الحسينية المقدسة

للمدة ٢٦ / صفر الخير / ١٤٤٤ هـ

الموافق ٢٣ / أيلول / ٢٠٢٢ م

في الصحن الحسيني الشريف

الإشراف العام على المؤتمر
المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة
سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه)

رئيس المؤتمر
أ.د. عمران جمال حسن
رئيس جامعة كركوك

مدير المؤتمر
الاستاذ عبد الامير عزيز القرشي
مدير مركز كربلاء للدراسات والبحوث

اللجنة العلمية

الاسم	مكان العمل	الصفة
أ.د نذير جبار حسين الهنداوي	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	رئيساً
أ.د رياض كاظم سلمان الجميلي	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
أ.د حسن حبيب عزز الكريطي	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
أ.د حيدر محمد عبدالله	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
أ.د صابرينا ميرفان	المعهد الفرنسي للشرق الأدنى	عضواً
أ.د جبرالدين شاتلارد	المعهد الفرنسي للشرق الأدنى	عضواً
أ.د حسين داخل البهادلي	الجامعة العراقية / كلية الآداب	عضواً
أ.د عمرو بن معد يكرب الهمداني	اليمن / رئيس الدار المحمدية الهمدانية	عضواً
أ.د علي زعلان نعمة	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.د محمد حسين عيود الطائي	جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية	عضواً
أ.د صباح رسول الجابري	كلية الحسين(ع) الجامعة	عضواً
أ.د سامي ناظم حسين المنصوري	جامعة القادسية / كلية الآداب	عضواً
أ.د صلاح الدين العامري	تونس / جامعة الزيتونة	عضواً
أ.د نور الدين أبو لحية الجزائري	الجزائر / الجامعة الجزائرية	عضواً
أ.د ضرغام كريم الموسوي	جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية	عضواً
أ.د ابتسام سعدون محمد النوري	الجامعة المستنصرية / كلية التربية	عضواً
أ.د حسن حمزة جواد البيرماني	جامعة كربلاء / كلية التربية	عضواً
أ.د انور سعيد الحيدري	جامعة بغداد / كلية العلوم السياسية	عضواً
أ.د عمار عبودي نصار	جامعة الكوفة / كلية الآداب	عضواً
أ.د محمد جواد زين الدين	الجامعة العراقية / كلية الاعلام	عضواً
أ.م.د رافع عبدالرضا جابر	كلية الصفوة الجامعة	عضواً

اللجنة العلمية

الاسم	مكان العمل	الصفة
أ.م.د. مشتاق كريم الموسوي	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
أ.م.د. وسام صالح عبدالحسين	جامعة بابل / كلية الاداب	عضواً
أ.م.د. حسين علي المجاب	وزارة التربية	عضواً
أ.م.د. حيدر جليل كامل	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.م.د. محمد عبدالرزاق محمد	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.م.د. حسام حامد تسكام	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.م.د. علي عبدالهادي عبدالامير	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	عضواً
أ.م. سمير خليل شـمـطـو	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
م.د. محمد احسان عبد	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.د. علي كريم فنطيل	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م. د امل محمد الاسدي	جامعة بغداد / كلية الفنون الجميلة	عضواً
م.د آيات عبد الوهاب عبدالرزاق	جامعة أهل البيت (ع)	عضواً
د. هدى سعيد الشهرستاني	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

اللجنة التحضيرية

الاسم	مكان العمل	الصفة
أ.د مهدي وهاب نعمة	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	رئيساً
أ. امير ابراهيم صاحب	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ. د زهير عبد الوهاب الجواهري	جامعة كربلاء / مستشار علمي في المركز	عضواً
أ.م.د معز حسن علي	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.م.د بدر محمد علوان	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
أ.م.د حيدر كاظم الجيزاني	كلية الإمام الكاظم(ع)	عضواً
م.د ثامر مكي علي الشمري	الجامعة المستنصرية / مستشار علمي في المركز	عضواً
م.د محمد حسن عباس	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.د اسامة قيس فاضل	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
د. امير احمد رحيم الشمري	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
م.م أمير كامل جواد	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
م.م مصطفى محسن شاكر	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
م.م نور عباس عمران	مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
المهندس حيدر نوري جلوخان	مجموعة قنوات كربلاء الفضائية	عضواً
الأستاذ باسم جهاد مطر	مجموعة قنوات كربلاء الفضائية	عضواً
المهندس عادل الموسوي	قسم الاليات / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
المهندس عباس الخفاجي	رئيس قسم الاعلام	عضواً
السيد عبد الأمير طه	رئيس قسم العلاقات العامة	عضواً
الشيخ محمد عبد الرضا الساعدي	مكتب المركز / هولندا	عضواً
السيد حمزة عدنان النقيب	رئيس قسم المضيف / العتبة الحسينية	عضواً

الهيئة الاستشارية للمؤتمر

الاسم	مكان العمل	الصفة
أ.د باسم خليل نايل السعيد	رئيس جامعة كربلاء	رئيساً
أ.د منير حميد السعدي	رئيس جامعة بغداد	عضواً
أ.د مازن حسن جاسم الحسني	رئيس جامعة واسط	عضواً
أ.د حميد فاضل التميمي	رئيس الجامعة المستنصرية	عضواً
أ.د علي صالح حسين الجبوري	رئيس الجامعة العراقية	عضواً
أ.د ياسر لفته حسون المنصوري	رئيس جامعة الكوفة	عضواً
أ.د عبد المنعم عباس كريم	رئيس جامعة ديالى	عضواً
أ.د ابراهيم سعيد الحياوي	رئيس جامعة وارث الأنبياء ^(ع)	عضواً
أ.د زينب عبد الحسين السلطاني	رئيس جامعة الزهراء ^(ع) للبنات	عضواً
أ.د صلاح هادي الفتلاوي	رئيس جهاز الاشراف والتقويم	عضواً
أ.د يوسف خلف يوسف	وزارة التعليم العالي	عضواً
أ.د باسم علوان طعمة العقابي	وزارة التعليم العالي	عضواً
أ.م.د حازم باقر طاهر	وزارة التعليم العالي	عضواً
د. يحيى بو زكريا	اعلامي جزائري	عضواً
الشيخ احمد السلमान	الجمهورية التونسية	عضواً
البابا ميتجا هسكوفار	رئيس المعهد البابوي في الفاتيكان	عضواً

الإعلام والعلاقات العامة

الاسم	مكان العمل	الصفة
د. صادق جاسم الصحن	شبكة الاعلام العراقي	رئيساً
أ.م.د بدر ناصر السلطاني	جامعة بابل	عضواً
م.د. محمد علي السعدي	جامعة بغداد	عضواً
د. حياة عفيف الرهاوي	جمهورية لبنان	عضواً
د. هناء سعادة	جمهورية الجزائر	عضواً
د. مريم المقداد	جمهورية تونس	عضواً
م.د مثنى عباس عبدالكاظم	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
د.حسن خاك	مؤسسة عاشوراء الدولية	عضواً
م . مثنى محمد عبدالامير	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م . موسى جعفر موسى	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.م سجاد كريم فليح	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.م عباس خليل محمد	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.م شهد كاظم حميد	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.م علي مجبل مهدي	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
م.م كامل كاظم عبدالله	كلية الصفوة الجامعة	عضواً
السيدة سندس الاسعد	مملكة البحرين	عضواً
السيدة بيداء فاضل العامري	اعلامية عراقية	عضواً
السيد تيسير سعيد الاسدي	وكالة نون الخيرية	عضواً
السيدة أمل سماحة	جمهورية لبنان	عضواً
السيدة جنان الواسطي	الجمهورية الاسلامية في ايران	عضواً
سيد عارف حسيني	مجمع أهل البيت (ع) العالمي	عضواً
الأستاذ زاهد جهاد البياتي	باحث في العمل التطوعي	عضواً

المجلس الاكاديمي العلمي

الاسم	مكان العمل	الصفة
أ.د محمد يوسف حاجم الهييتي	جامعة ديالى	رئيساً
أ.د صلاح سلمان زين العابدين	جامعة كركوك	عضواً
أ.د عبدالخالق خميس علي	جامعة ديالى	عضواً
أ.د ماجد عزيز الساعدي	جامعة ميسان	عضواً
أ.د رائد حمود عبد الحسين	جامعة ذي قار	عضواً
أ.د علاء حسين عبد	جامعة النهرين	عضواً
أ.د قاسم شعيب السلطاني	جامعة النهرين	عضواً
أ.م.د ناجح جابر الميالي	جامعة المثنى	عضواً
أ.م.د عدنان مالح ساجت	جامعة ذي قار	عضواً
أ.م.د رشيد سعدون العبادي	جامعة ديالى	عضواً
أ.م.د حيدر عبدالجليل الحربية	جامعة ذي قار	عضواً
أ.م.د كاظم شامخ الخزعلي	الجامعة المستنصرية	عضواً
أ.م.د مثنى عبدالجبار عبود	جامعة بابل	عضواً
أ.م.د محمد نجاح محمد الجزائري	جامعة البصرة	عضواً
م.د علي كاظم حسين	جامعة واسط	عضواً
م.د حسن جابر العطا	جامعة بغداد	عضواً
م.د علي كاظم ياسين	جامعة القادسية	عضواً
م.د محمد علي الجابري	وزارة الشباب والرياضة	عضواً
م.د عامر عبادي العبادي	استشاري في مركز الارشاد الاسري	عضواً
السيدة كفاح حداد	كاتبة واعلامية	عضواً

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين النبي الهادي الأمين ابي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المتجيين.

لقد مثلت زيارة الاربعين المباركة بأبعادها كلّها محفلاً علمياً وتربوياً لمختلف فئات المجتمع العراقي بشكل خاص ولمجتمع زوار الامام الحسين (عليه السلام) في ذكرى اربعينته المباركة بشكل اعم وما يترتب على هذا الحدث التاريخي الذي يعد انعطافة حقيقية وثورة اخلاقية في حياة الكثير من الشعوب من اهتمام وتركيز لمختلف نواحي هذا الحدث الديني الابرز ودراسة معالمة الحية وقوى تأثيره على صنوف الفئات الاجتماعية لاسيما فئة الشباب التي تمثل المتغير الابرز في مسرح الاربعين المبارك.

ومن هنا جاءت النسخة الخامسة للمؤتمر العلمي الدولي لزيارة الأربعين تحت شعار: (الزيارة الاربعينية جسد الحياة قلبه الاسرة وعقله الشباب) وبرعاية المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) وذلك يومي (١٠-١١/٩/٢٠٢١م) الموافق (٣-٤ / صفر الخير / ١٤٤٣هـ) على قاعة سيد الاوصياء (عليه السلام) في العتبة الحسينية المقدسة بحضور الباحثين وعدد من رؤساء الجامعات العراقية وعمداء بعض كلياتها وفضلاء الحوزات العلمية، فضلا عن عدد من الشخصيات السياسية والإعلاميين من مختلف القنوات التلفزيونية والوكالات الخبرية والصحف والمجلات والاذاعات.

يضم هذا الجزء (الخامس) دراسات وبحوث السادة الباحثين، والتي تمثل عصاره جهودهم العلمية المبذولة في سبيل الارتقاء بشعيرة زيارة الأربعين ودراساتها من جوانب متعددة، لذا فقد استهوت فلسفة المؤتمر هذه النخبة من داخل العراق وخارجه عبر العديد من المشاركات العلمية. جاء هذا المؤتمر بالتعاون مع كلية الصفوة الجامعة في محافظة كربلاء ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ممثلة بالمجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين المليونية. وقد عكفت اللجنة العلمية للمؤتمر على تقييم المشاركات العلمية كافة عبر سلسلة من الاجراءات المتبعة لأجل الخروج بأفضل المشاركات التي تنسجم وأهداف المؤتمر وتطلعاته والتي نأمل أن يوفقنا الله تعالى لخدمة أهداف ورسالة زيارة الأربعين المباركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة مدير المؤتمر الاستاذ عبد الأمير عزيز القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل التحية وأتم التسليم على محمد وعلى آله الأطياب الميامين

واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين

سادتي الحضور

سلام من الله عليكم ورحمة وبركات

منذ العشرين من صفر عام ٦١ هـ حتى يومنا هذا بل حتى قيام الساعة المسلمون يحتفون في جميع أرجاء العالم بذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ورجوع سبايا أهل بيت النبوة ومعهم الرؤوس الطاهرة للإمام والمستشهادين معه.

وهذا الاحتفاء السنوي إنما هو تجديد للثأر والحزن ليوم لم يشهد التاريخ نظيره بنهضة فاعلة ضدّ الباطل بعمل جهادي أيقظ الأمة من السبات، وبعث فيها الحياة من جديد بعد أن حررت مشاعرها وأحاسيسها.

إنّ تخليد الأمة لهذه الذكرى الدامية ببُعدها الوجداني والإنساني على نحو ممنهج ومدرّوس استناداً إلى فكر الإمام المطالب بالإصلاح والتغيير لا شك أنّه استمرار للحركة الجهادية التي انبثقت في عاشوراء.

لذا نرى أنّ زيارة الأربعين لم تكن حدث ديني فقط بل اكتسبت على مدى التاريخ أبعاد إنسانية وعقدية وثقافية واجتماعية وغيرها.

فأربعينية الحسين لا تعني البكاء على فاجعة مروعة وجريمة ارتكبت ضد الإنسانية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وإنّما تعني استحضر تلك الصرخة المدوية على مرّ التاريخ (لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

فهذه الجراءة على إدارة الباطل معززة برمزية قائدتها أسهمت في تبلور إرادة التغيير وإذكاء روح التحدي، وكسر حاجز الخوف وروح التضحية المستوحاة من مدرسة كربلاء التي أعطت حتمية النصر وإلحاق الهزيمة بالقوى السلطوية الظالمة والمتجبرة وهدم عروشها الزائلة وتحقيق الوعد الإلهي في أن العاقبة للمتقين.

لذا نجد لزماً علينا استثمار مفاهيم النهضة الحسينية المباركة وقيمها وتوظيفها في بناء أمة قادرة على النهوض بمسؤوليتها على الصُّعد كافة، وخاصة ما يتعلق بالشباب من خلال تنشئتهم تنشئةً صحيحة قائمة على قواعد العلم والمعرفة؛ لنحرك طاقاتهم الإيجابية وننور أفكارهم ببصيرة مستندة إلى مبادئ هذه النهضة المعطاء.

وفي هذا الصدد أدعو الحكومة العراقية ممثلة بمجلسي الوزراء والنواب، ووزاري التربية والتعليم العالي إلى ضرورة تضمين المناهج التعليمية والدراسية المضامين الإنسانية السامية لهذه النهضة المباركة من أجل غرس المثل العليا لهذه النهضة الخالدة في نفوس الشباب وتربيتهم على حبّ الوطن والمواطنة الصالحة؛ كي نجعل منهم مشاعل في الصبر والجَلَد والمطاولة لترسيخ قيم الفضيلة والإيثار التي أرسى دعائمها قائد النهضة سيد الشهداء.

ولو أمعنَّا النظر في الوقائع التاريخية بدقّة لحصلنا على حقيقة مفادها إن الفكر الحسيني الخالد أنقذ البشرية والشعوب المبتلات بالحكام الطغاة من نير الظلم، إذ أصبح هذا الفكر حافزاً للتغيير وكسر الأغلال.

لذلك نجد أن الهدف الرئيس لهذه الثورة كان اقتلاع قاعدة الظلم والتعسف والاستعباد من جذورها.

وهذا ما جسده جملة من أقوال الإمام (عليه السلام) يوم الواقعة كاشفةً تماماً عن هذا التوجه
فتراه (عليه السلام) كان يردد (إني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً، ومثلي لا
يباع مثله).

وغيرها من الأقوال التي كانت ولم تزل مناراً يهتدي إليه الآخرون طلباً للإصلاح
والتححرر من العبودية.

لذا حرصت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ممثلةً بمتوليها الشرعي سماحة
الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) إلى الاهتمام وإحياء تراث النهضة الحسينية
الخالدة من خلال إقامة المؤتمرات العلمية والندوات والورش المختلفة.

وكانت من محطات الاهتمام بهذا الأمر هي أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) نظراً لأهميتها
البالغة في نفوس المسلمين ولمشاركة ملايين الزائرين فيها سنوياً من مختلف بلدان العالم.
لذا عكف مركز كربلاء للدراسات والبحوث على إقامة مؤتمر علمي سنوي مختص
بهذه الزيارة المباركة وبفضل من الله سبحانه وتعالى تم إقامة أربع مؤتمرات سنوية.

وها هو اليوم المؤتمر العلمي الدوري الخامس الذي نجتمع من خلاله بمشاركة
واسعة من السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه الذين رقدوا المؤتمر ببحوث علمية
رصينة استوحت مضامينها من شعار هذه النسخة (الزيارة الأربعينية جسد الحياة، قلبه
الأُسرة، وعقله الشباب).

إنَّ عدد البحوث التي استلمتها اللجنة العلمية بلغ (١٢٠) بحثاً خضعت جميعها
للتقييم العلمي والاستلال، وبموجب ذلك اجتاز (٧٥) بحثاً.

منها: (٣٦) بحثاً عربياً وأجنبياً من تونس، والسعودية ومصر، ولبنان، وإيران، وفرنسا،
وألمانيا، وسويسرا.

ولابدّ هنا أن أتوجه بالشكر والامتنان لسماحة المتولي الشرعي للعتبة المقدسة على دعمه اللامحدود لأعمال المركز بشكل عام ولموضوعة زيارة الأربعين بشكل خاص.

وأتوجه بالشكر إلى جميع الإخوة الباحثين الذين أسهموا في رفد هذه البحوث.

والشكر موصول إلى وزارة التعليم العالي ممثلة بمعالى الوزير ودوائرها كافة وأخص بالذكر جهاز الإشراف والتقييم والدراسات والتخطيط والبعثات والعلاقات ودائرة البحث والتطوير.

كما أن الشكر موصول للملحقة الثقافية الفرنسية بل للسفارة وملحقتها الثقافية على دعمها ومواصلتها لدعم جهودنا في هذا الاتجاه وتحريك الباحثين في الجامعات الفرنسية للكتابة في هذا المؤتمر.

والشكر أيضاً إلى ملحقة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في كربلاء على دعمها المتواصل لدعم جهود هذا المؤتمر.

والشكر والامتنان لجميع الجامعات العراقية على دعمها اللامحدود لأعمال مؤتمرنا هذا وفي مقدمتها جامعة كربلاء وكافة الجامعات العراقية الممثلة في المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين.

والشكر موصول الى اللجنتين العلمية والتحضيرية للمؤتمر على جهودهم الكبيرة التي بذلوها من أجل إكمال التحضيرات ومستلزمات نجاح المؤتمر، وكذلك اللجان التنسيقية الأخرى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معالجة الأضرار في زيارة الأربعين

أ.د. وفقان خضير محسن الكعبي

جامعة الكوفة - كلية الفقه

wafqan@fqh.kuivaq.com

wafqankh.mohsin@uokufa.edu.iq

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

وبعد: بعد ثبوت قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام بين علماء الإسلام

بل تعد من أهم ركائز المواد القانونية، بل والعرفية، ولها موارد تطبيقية كثيرة في الحياة الاجتماعية. بل ألف وكتب فيها الكثير من المصادر والمراجع.

وتعرض لها الفقهاء وعلماء أصول الفقه بل وعلماء القواعد الفقهية. والقانونية تعد أهم الأسس التي يبنى عليها مواد قانونية عدة. ونبين تمهيد مختصر حول مستند القاعدة، وأساسها الشرعي، ونتجنب التفصيل في محله.

ولكن المهم في محاور البحث، هو الاقتصار على قاعدة نفي الضرر، وعلاقتها في موضوع مسيرة الأربعين نحو قبر الحسين (عليه السلام)، والموضوعات التطبيقية لها، وكيفية وضع المعالجات الاجتماعية والنفسية لها والخدمية والصحية.

والبحث هو إثارة علمية، ولمسة اجتماعية لتحديد الإشكالية، ورسم بعض الحلول

الممكنة استقباليه، وإن الموضوع يحتاج إلى تضافر الجهود الكبيرة من أجل تنظيم وحفظ وأداء الشعائر الحسينية يسر لجمع غفير من المجتمع، وهذه الجهود على كافة الأصعدة. وما يحتاجه الزائر والمسافر في طريقه ومسكنه.

وهي من القواعد الفقهية المشتركة بين علم الفقه، وعلم الأصول، وعلم القانون وتبحث في علوم عدة وتطبق في موضوعات متعددة. تدور محاور البحث حول تطبيق قاعدة نفي الضرر على موضوعات زيارة الأربعين

وإعطاء فكرة مختصرة حول دليل قاعدة نفي الضرر من الروايات وظواهر بعض الآيات.

وتطبيق قاعدة نفي الضرر على بعض الواجبات العبادية في مناسبة زيارة الأربعين من توفر أماكن الوضوء والغسل والتنظيف وأهمية الصلاة والمحافظة عليها، ولا سيما إقامة وحضور صلاة الجماعة وباقي الواجبات الشرعية الأخرى.

ثم تطبيق قاعدة نفي الضرر والأمور الاجتماعية التي يحتاجها الزائر من النقل وخدمات الصحة والاستراحات وعدم التصرف في الأملاك العامة والخاصة إلا بأذن صاحبها. وتجنب المحرمات من الاختلاط والنظر المحرم وغيرها.

والاعمال التبرعية وتقديم الطعام وعدم التزاحم والتدافع عليه لما في ذلك من الضرر وعدم تناول واستلام أكثر من حاجته ورميه في المخلفات لما في ذلك من هدر المال العام والاسراف المنهي عنه.

وأخيراً هناك إشكالية في الاستدلال بقاعد نفي الضرر في المندوبات وهي جارية في الواجبات والمحرمات والموضوعات التي يتعلق بها حكم الزامي.

وقدم البحث عدة مقترحات ومعالجات لأغلب هذه الإشكاليات وأتمنى أن تأخذ بنظر الاعتبار من الاخوة الأعضاء الإداريين والمسؤولين على ملف زيارة الأربعين.

الكلمات المفتاحية: الاضرار ومعالجتها، الزيارة الاربعينية، كربلاء.

Treating damage in the fortieth visit

Prof. Dr. Wafaqan Khudair Mohsen Al-Kaabi

University of Kufa - College of Jurisprudence

Abstract

The research explores the principle of “No Harm or Infliction of Harm” (la dharar wa la dhirar) in Islam, which is one of the fundamental legal and customary principles with numerous practical applications in social life. It has been extensively studied by scholars of Islamic jurisprudence, Islamic legal theory, and legal scholars, serving as a cornerstone for various legal matters. The study focuses on its application in the context of the Arbæen pilgrimage to the shrine of Imam Hussain (AS) and its implications in social, psychological, and healthcare aspects.

The research aims to address the issue and propose solutions to ensure the smooth and organized performance of the Arbæen pilgrimage, which attracts a large gathering of people. It emphasizes the importance of providing necessary facilities and services for pilgrims, including accommodation, transportation, and hygiene. Additionally, it explores the application of the principle of “No Harm” in various religious obligations

during the pilgrimage, such as prayers, congregational prayers, and other religious duties.

Furthermore, the research examines the social aspects of the pilgrimage, including crowd management, charitable acts, and responsible consumption of resources. It also highlights the importance of avoiding harmful practices, such as mingling inappropriately, inappropriate gazing, and wastefulness.

The research concludes with an examination of the challenges in applying the principle of “No Harm” to recommended actions (mandubahat) and discretionary matters (mubahat) during the pilgrimage. It proposes several solutions to address these challenges and calls for the attention and cooperation of relevant authorities to implement these proposals and ensure a successful and safe pilgrimage experience for all participants.

Keywords: damages and their treatment, the Arba’een visit, Karbala.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين، وبعد: بعد ثبوت قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام عند علماء الإسلام (الجنوردي: ١/ ٢٠٨) بل تعد من أهم ركائز المواد القانونية، بل والعرفية، ولها موارد تطبيقية كثيرة في الحياة الاجتماعية، وقد ألف وكتب فيها الكثير من المصادر والمراجع. (الخباز: ٢٣) وتعرض لها الفقهاء (الحلي: ٢/ ٦٨) وعلماء أصول الفقه (الحكيم: ٩٩) بل وعلماء القواعد الفقهية (مكي: ١/ ١٦١؛ التراقي: ١/ ١٥؛ المغاري: ١/ ٦٧ عنوان: ١٠؛ الحكيم: ٩٩). والقانونية تعد أهم الأسس التي يبنى عليها مواد قانونية عدة.

ونبين تمهيد مختصر حول مستند القاعدة، وأساسها الشرعي، ونتجنب التفصيل في محله. ولكن المهم في محاور البحث، هو الاقتصار على قاعدة نفي الضرر، وعلاقتها في موضوع مسيرة الأربعين نحو قبر الحسين (عليه السلام)، والموضوعات التطبيقية لها، وكيفية وضع المعالجات الاجتماعية والنفسية لها والخدمية والصحية.

والبحث هو اثاره علمية ولمسة اجتماعية لتحديد الإشكالية، ورسم بعض الحلول الممكنة استقباليه، وإن الموضوع يحتاج إلى تضافر الجهود الكبيرة من أجل تنظيم وحفظ وأداء الشعائر الحسينية بيسر لجمع غفير من المجتمع، وهذه الجهود على كافة الأصعدة. وما يحتاجه الزائر والمسافر في طريقه ومسكنه.

وهي من القواعد الفقهية المشتركة بين علم الفقه، وعلم الأصول، وعلم القانون وتبحث في علوم عدة وتطبق في موضوعات متعددة. ولدى الباحث دراسة سابقة تعرض إلى حدود هذه القاعدة يمكن الاعتماد عليها هنا ونقتبس منها. (الكعبي: ٢٠٠٩م: ٢٩٧-٣٠١)

المدخل التمهيدي: قاعدة نفي الضرر (لا ضرر ولا ضرار).

عند التتبع في مصادر دراسة القاعدة الاختلاف في عنوانها بين كون العنوان (قاعدة الضرر) ونفي الضرر أو لا ضرار ولا ضرار في الإسلام (الحكيم: ٤٣)، ولكن كلها تعني أمراً واحداً تشير إليه، وإن اختلف العنوان، ولا يختلف المعنوي، وهي: ((من القواعد الكلية الأصولية والفقهية والقضائية في الإسلام قاعدة نفي الضرر)). (الشيرازي: ٨؛ البجنوردي: ١/٢١٣؛ السيستاني: ١٥؛ السيستاني: ٥٧، الكعبي: ٢٩٩)

ويعني (بالضرر ضد النفع) (الرازي: ٣٧٩)، وتقابل الضرر والنفع من قبيل العدم والمملكة، فلا يصلح إطلاق الضرر إلا في مورد قابل لإطلاق النفع في قبالة.

((فبالنسبة إلى نقص الانتفاع من المباحات الأصلية لا يطلق عليه الضرر، بل الضرر نحو نقص له مساس بشخص، حقاً أو مالاً أو بدنناً أو عرضاً أو غيرها)). (ضياء الدين: ٢/٣٠١ - ٣٠٢)

وأساس الاستدلال على هذه القاعدة روايات متعددة وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته (ابن الأثير: ٣/٨١؛ النعمان: ٢/٥٠٤؛ العاملي: ١٧/٣٤١ + ١٣/١٦ + ٣٤١ + ١٣/٣٥٦ + ١٩/١٨٠؛ النوري: ١٣/٤٤٧)

قال الدكتور محمد حسين علي الصغير ((قاعدة: لا ضرر ولا ضرار، وهي مروية عن الإمام محمد الباقر)) (محمد الباقر (عليه السلام): ٢٥٤) (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قضية سمرة بن جندب (بن جندب: ٨/٣٠٨) وكانت له نخلة في حائط أحد الأنصار، فكان لا يستأذن في المرور عليها، فساومه النبي ﷺ في ثمنها فأبى، فقال النبي ﷺ ((الأنصاري: (أذهب فأقلعها وارم بها إليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار)) (الكليني: ٥/٢٩٨؛ الصدوق: ٤/٣٣٤ ح ٧١٨؛ العاملي: ١٧/٣٤١)، وقد يستدل

أيضاً بالآيات الكريمة التي تنفي الضرر أو المضارة بين المسلمين في موارد مختلفة يعرض البحث بعضها اختصاراً؛ لبيان أثر القرآن الكريم في القواعد الأصولية ومن التطبيقات الجارية في موارد الضرر في ظواهر القرآن الكريم فمنها:

ما جاء في منع الأضرار المطلقة (الشيرازي: ٨؛ البجنوردي: ١/ ٢١٣؛ السيستاني: ١٥؛ السيستاني: ٥٧، الكعبي: ٢٩٩). وهناك نماذج تطبيقية في ظواهر الآيات حول الضرر والأضرار بالآخرين يمكن مراجعتها.

وبعد هذا العرض في ظاهر الآيات الكريمة وبيان ما يتعلق من ظهورات بالقاعدة نفي الضرر مدعمة بالروايات التفسيرية، التي تشهد بذلك الظهور تحصل لدى البحث أن (قاعدة الضرر) قاعدة أصولية مستندها الأخبار وظاهر بعض الآيات.

وبعد هذا العرض المختصر نبين هنا مطالب لتوضيح مدى وقوع الضرر في زيارة الأربعين.

المطلب الأول

قاعدة نفي الضرر والأمور العبادية في زيارة الأربعين

أنّ الملاحظ للمتتبع حول تطبيق قاعدة نفي الضرر في موضوع زيارة سيد الشهداء ، وأداء الأمور التي يقصد منها التقرب بها إلى الله تعالى أمور عديدة:

أولاً: اعداد أماكن الوضوء

تجمع الزائرين أمام أماكن الوضوء وقضاء الحاجة والغسل وتنظيف ما يحتاج إليه الزائر، مع مراعاة الأمور الصحية والنظافة وطهارة الماء كثير، وضع مخازن المياه الكثيرة والكبيرة التي تكفي لموسم الزائرين.

فضلاً عن ذلك تنسب عامل أو أكثر ملتزم نظافة تلك الأماكن وإدامتها وخدمتها سواء كان متبرعا بعمله كما حدث في السنوات السابقة حملات الخدمة من المجتمع الإيراني التي توزعت على طول الطريق وداخل المدينة أو مستأجرا في أوقات الازمة وشدة الزحام فيها.

ولابد من أخذ الحيطة والحذر غلب القدر مع انتشار الوباء والأمراض بأنواع مختلفة وانتقالها والوقاية من ضررها وحمل ونقل تلك النفايات إلى أماكن مخصصة حفاظا على حياة الناس وعدم الأضرار بهم.

فالملاحظ قلة الخدمات الصحية بهذا الجانب ونقص المياه وعدم كفايتها، ولو بإعداد حاويات الماء الكبيرة وخصوصاً في الطرق الخارجية والبعيدة نوعاً ما عن المدن.

والمعالجات لمثل هذه الحالات، هو تشكيل لجان خاصة ومجموعة طواريء لنقل الماء وإيصاله لطرق الخارجية عند الاخبار، عن الحاجة الملحة له من الزائرين، ومواكب الخدمة، ورفع الضرر عنهم عاجلاً، ولو بالاستعانة بالطائرات المعدة لنقل خزانات الماء،

واطفاء الحريق ونحوها للوصول للمياه إليهم.

والالتفات لهذا الجانب مهم، وضروري جداً، ولا سيما في أيام الذروة وشدة ازدحام الناس، وهي من اليوم الخامس عشر، وإلى اليوم الثاني والعشرين من صفر.

ولا يفوت الباحث التنبيه هنا إلى تجنب حالة معينة، وهو عدم الاسراف في الماء وتلفه بدون مبرر، ولا غاية فيه، فوصايا الشريعة بحفظ الماء وعدم تلفه وقلة استعماله إلا عند الحاجة.

وهنا القول أما كراهة الافراط والاكثار من استعمال الماء أو حرمة الاسراف فيه. (الكعبي: ٣٤٠)

روي محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر قال: (إنما الوضوء حد من حدود الله ليعلم الله من يطيعه، ومن يعصيه، وإن المؤمن لا ينجسه شيء، إنما يكفيه مثل الدهن). (الكليني: ٣/٢١/٢، الصدوق: ١/٢٥/٥؛ الصدوق: ١/٢٧٩/١ الباب ١٨٩؛ المفيد: ١/١٣٨/٣٨٧؛ العاملي: ١/٥٩٦؛ ١/٣٤١ العاملي: ٢/ح ١)

فللماء المستعمل عند الطهارة حدود وكميات معينة لا يتجاوزها ويسرف بها ويتعدى عن حقه.

روي الكليني عن علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله ملكاً يكتب سرف الوضوء كما يكتب عدوانه) (الكليني: ٣/٢١/٣؛ العاملي: ١/٥٩٦؛ ١/٣٤١ العاملي: ٢/ح ٢)

بل قلة استعمال الماء والمحافظة عليه، وعدم اتلافه، هو التزام بسنة النبي محمد ﷺ وهدية.

روي محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: (الوضوء مد، والغسل صاع، وسيأتي أقوام بعدي يستقلون ذلك، فأولئك على خلاف سنتي، والثابت على سنتي معي في حظيرة القدس). (الصدوق: ١/ ٢٥ / ٦؛ العاملي: ١/ ٥٩٥؛ ١/ ٣٤٠ العاملي: ٥٠ ح ٦)
المد قدر تقريبا ثلاثة أرباع الكيلو وزنا، والصاع كيل أو وزن ثلاث كيلو تقريبا.

ثانياً: إداء الصلاة في أوائل أوقاتها

فينبغي للمسلم، ولا سيما الزائر منهم المحافظة على إقامة الصلاة وامثالها في أول وقتها بل الاهتمام بصلاة الجماعة في الأماكن العامة أو الخاصة، والتي لا تضر بحركة الزائرين وإقامة شعائرهم.

أَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الصَّلَاةَ عَمُودُ الدِّينِ إِنْ قَبِلْتَ قَبْلَ مَا سِوَاهَا، وَإِنْ رَدْتَ رَدَّ مَا سِوَاهَا، وَهِيَ مَعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ وَصَلَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٨ / ٢٣٩)

قال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٤)

إلى غير ذلك من الآيات التي تحث وترغب المؤمن بالصلاة والمحافظة عليها، وأنها قربان كل تقي.

وبالأخص صلاة الجماعة تماماً أو أداء قصرًا للمسافر الذي قطع وقصد المسافة

الشرعية فإن الاهتمام بها اهتمام بتعاليم الدين.

ومع الصلاة والزائر في ضيافة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) لا يترك الصلاة بل يهتم بها، وهناك حالة ثالثة مهمة لا يستخف بها، ولا يتهاون بحققها، فأن ذلك من الاستخفاف من المحرمات وكبائر الذنوب عند الله. (الكعبي: ٣٤٥)

روي محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال: (لا تتهاون بصلاتك، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته، ليس مني من شرب مسكراً، لا يرد على الحوض لا والله). (الكليني: ٣/ ٢٦٩؛ ٧؛ العاملي: ٤/ ٢٣؛ ٣/ ١٥؛ العاملي: ٩)

فالمعاصي متقارنة في العقوبة حرمان الورود على الحوض يوم القيامة، وهي التهاون في الصلاة الواجبة والمستحبة وشرب المسكر، ونفي كمال الإيمان منه.

روي الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن العيص بن القاسم قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (والله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة، وما قبل الله منه صلاة واحدة، فأى شئ أشد من هذا، والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها، إن الله لا يقبل إلا الحسن، فكيف يقبل ما يستخف به؟! (الكليني: ٣/ ٢٦٩؛ ٩؛ المفيد: ٢/ ٢٤٠؛ ٩٤٩؛ العاملي: ٤/ ٢٣؛ ٣/ ١٥؛ العاملي: ٩)

والوجدان شاهد على انطباق ذلك على بعض الزائرين، بل أغلب مع كبر السن والجهد والتعب لهم وهم كما في الرواية معروفين. وأمثال من يستخف بصلاته لا ينال شفاعة الأئمة الاطهار.

روي الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن

أبي إسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: قال أبو الحسن الأول عليه السلام: (لما حضر أبي الوفاة قال لي: يا بني، إنه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة). (الكليني: ٣/ ٢٧٠؛ ١٥؛ العاملي: ٤/ ٢٣؛ ٣/ ١٥ العاملي: ٩) ورد هذا المضمون عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام وغيره من المعصومين.

وهناك أخبار أخرى بهذا المعنى يمكن مراجعتها في المصادر. (الكليني: ٣/ ٢٧٠؛ ١٥؛ العاملي: ٤/ ٢٣؛ ٣/ ١٥ العاملي: ٩)

فالصلاة تقام في الأماكن العامة والخاصة مفرد أو جماعة، ولكن بشرط أن لا تراحم حركة الزائرين، وتؤدي إلى ازهاق نفوسهم واختناقهم وما إليها، فالوقت موسع إداء الواجب، وأداء الزيارة مندوب، ومستحب يمكن أن يتأخر قليلاً بعد الصلاة.

وحل مثل هذه الإشكالية تأدى الصلاة جماعة في أماكن لا تنافي حركة ومشى وأداء شعائر الحسينية، ومسيرهم وعدم خلق الأبواب، وبقاء طريق مفتوح لمن يريد الخروج بعد اكماله العمل، فإن وضع الحواجز، وغلق الأبواب لفترة طويلة فيه من الضرر الكبير، والقاعدة تقول: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) (البجنوردي: ١/ ٢٠٨) وإن كان الضرر كل شيء يقدر بقدره، وحالته وظرفه الخاص به.

وأخيراً وليس آخراً كراهة الصلاة في الشوارع والطرق السالكة لمسير الناس إلا بعد توقف السير والمشي فيها وقطع الطريق.

قال المحقق الحلي: (وتكره الصلاة: وجواد الطرق...). (الحلي: ١/ ٧٢)

وهنا وظائف أخرى في تطبيق الصلاة وقاعدة الضرر، والتزام بينهما مع الوجوب لهما عاملين، والحكم العقلي شاهد على تقديم الأهم على المهم، ولا يعرف عملاً أهم من الصلاة.

ثالثاً: المحافظة على الواجبات الأخرى

يطالب الزائر بمجموعة من الواجبات الشرعية على اختلاف أنواعها البدنية والمالية والاجتماعية، فعليه امتثالها من وجوب أداء الصوم والزكاة والخمس والحج الواجب العيني عليه، والمهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وواجبات اجتماعية من نفقة النفس والزوجة والاقارب وغيرها.

ويكفي شاهد على ذلك بعدم تحقق الضرر على التزام آخر لدية واجباً عليه فامتثاله طاعة ويؤجر عليه.

وأفضل تطبيق على ذلك هو مضمون الزيارة الماثورة لسيد الشهداء (عليه السلام):

(أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين..) (ابن طاووس: ٢/٦٣؛ الكفعمي: ٣٨٨؛ الأميني: ٦٠)

المطلب الثاني

قاعدة نفي الضرر والأمور الاجتماعية في زيارة الأربعين

عند تطبيق قاعدة نفي الضرر في شؤون الاجتماعية كثيرة واسعة تحتاج إلى دراسة معمقة واقعية وفعلية والبحث مجرد طرح المقترحات لدراستها.

لابد من إبقاء ممرات خاصة وسالكة مفتوحة طول أيام المناسبة، وهي لا تضر بحركة الزائرين مفتوحة غير مغلقة لحالات الطوارئ وإخلاء المصابين والجرحى وحالات الحريق وإسعاف المحتاجين. وعدم قطعها وإغلاقها وهكذا تأمين خطوط كهرباء للطوارئ، ولو في النفاق والسرداب وتحت الأرض، وهي مهمة من أجل حفظ الحياة للمتسبب والزائر، ولا سيما مع شدة الزحام وضيق الطرق فقد مرة حالات أن سيارات

الإسعاف ليس لها طريق للوصول للمشفى.

وحدثت حوادث وطواري والاخوة الإداريين يعلمون بذلك وضرورة أنقاض الأرواح والحر تكفيه الإشارة.

وإبقاء مستشفيات معدة استقبال المصابين أو مركز طبي قريب جداً ومنه ينقل إلى مكان آخر.

فقد وجد في الحرم المكي والمدني أن نقل الخدمات كلها في الانفاق تحت الأرض.

من آداب الزيارة ومحاسنها خفض الأصوات المنكرة والعالية إلا بذكر الله والدعاء ويرجى خفض أصوات مكبرات الصوت العالي المنتشرة في الأماكن العامة والخاصة والمواكب الخدمية والسيارات والآلات، ولا سيما في الأحياء والمدن السكنية وتقليل صوت التسجيل لما له من ضرر كبير جداً على الكبار والمريض والنائم والطفل والضوضاء على الآخرين، فالهدوء له أثر في قبول الأعمال، والتوجه بالعبادة، بل حتى في أوقات الصلاة يبقى التسجيل بصوت عالي، ولا يحول لذكر الله من الأذان والقرآن والدعاء وهي وسائل تقرب لله وتذكر بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩) وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِتَتَّقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٢-٣)

من الأمور المهمة في تطبيق قاعدة نفي الضرر مع مناسبة زيارة الأربعين هو عدم التزاحم والتدافع والضرب حول الضريح المقدس أو في الصحن الشريف أو عند

الدخول في الأبواب للحرم المقدس، فالمشي والزيارة مستحب، والتقبيل مندوب ولكن حفظ النفس والأطراف والأعضاء واجب ودم المسلم محترم بل أمواله وأعراضه وستره واجب وعدم هتك حرمة والاعتداء عليه. فأن حرمة المؤمن أشد من حرمة الكعبة المشرفة. وتدل عليه الروايات الكثيرة بهذا المعنى.

فالمشي والحركة إلى الأفراد والجماعات والمواكب والآليات بنظام وانسيابية عالية وهدوء حتى أداء الشعائر للزائرين يثمر الامن والأمان لهم ولا يعرض أحدهم للخطر والضرر المنفي بقول: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام). (البجنوردي: ١/ ٢٠٨) وينبغي التنبيه على أمور بهذا المعنى:

اولا/ عدم التدافع والتزاحم عند توزيع الخدمات من طعام وفواكه وافرشة وغيرها للزائرين.

واستلام ما يحتاج لأكله وما يسد به حاجته ولا يؤخذ أكثر من ذلك يدخره أو يحمله معه، وعدم رمي الزائد في الطرق والشوارع والأماكن العامة بل وضعه في محله لما في ذلك من ضرر على البيئة بل الصحة ويحقق الاسراف في الطعام المنهي عنه بل حرمة الاسراف في الطعام ولو حفظ لعلف الحيوان والطيور ونحوها.

وضع الظروف والاغلفة في محلها الخاص بها ولا سيما اغلفة وقشور الفواكه وما إليها من قناني الزجاج لما فيه من ضرر على الماشي والسيارات ونحوها. والأمر من الشارع بعزل الأذى عن طريق المسلمين.

روي عن أنس بن مالك قال: كانت شجرة تؤذى الناس فأتاها رجل فعزلها عن طريق الناس قال: قال: نبي الله ﷺ فلقد رأيته يتقلب في ظلها في الجنة.

روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: من أخرج من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم

كتب الله له به حسنة، ومن كتب له حسنة أدخله بها الجنة.

رواه الطبراني في الأوسط ولفظه في الكبير عن النبي ﷺ قال: من أخرج من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به مائة حسنة ولم يرد.

روي عن أبي شيبه المهري قال: كان معاذ يمشى ورجل معه فرفع حجراً من الطريق فقال: ما هذا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رفع حجراً من الطريق كتبت له حسنة ومن كانت له حسنة دخل الجنة. (الهيثمي: ١٣٥ / ٣)

ثانياً / الاعتناء بالتنظيف والادامة والمحافظة على ما يحتاجه الزائر من آلات لطعامه وشرابه ومنامه وخدماته، في الأماكن العامة والخاصة وفي الهيئة والمواكب الخدمية بل المضاييف والدور الخاصة والفنادق والمخيمات بالتعقيم والتنظيف والعرض لأشعة الشمس وغيرها.

وهنا لابد من تقديم الشكر والاعتزاز لما تقدمه العتبات المشرفة والعتبتين من التبرع بالتنظيف لكافة أنواع الأفرشه والمعدات في المواكب الحسينية قبل موسم الزيارة وهذه خطوة مباركة.

ثالثاً / وهنا التفاتة مهمة علمية وتحتاج إلى مزيد عناية بل مساعدة وتكثيف الجهود حولها من أصحاب المواكب الخدمية العامة وضع لجان تفتيش وفحص ومتابعة طبية وعلمية ولا سيما أخبارهم عند تجديد إجازة الدخول إلى المدينة القديمة في ذلك.

والحديث النبوي يقول: (كلكم راعي وكلكم مسؤول عن رعيته) (السيوطي: ٣٨٩ / ٢ ح ٦٣٧٠) فالرعاية للزائر من حين دخول الحدود العراقية البرية والجوية وإلى رجوعه لوطنه ولا يتعرض لضرر ولا اذى وإن كان في ذلك جهد كبير ويحتاج لمضاعفة الجهود له.

فهم ضيوف الله وضيوف الأئمة الأطهار ومن يسر بهم النبي وعلي وفاطمة ودعى لهم الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): (اللهم ارحم تلك الوجوه التي تقلبت على قبر أبي عبد الله...) (القمي: ٤٥)

ومن المهم في تطبيق قاعدة نفى الضرر في زيارة الأربعين هو عدم قطع الطرق وضع الحواجز في الشوارع، ومنع المارة من دون ضرورة في ذلك، مثل الحواجز الأمنية والتفتيش والمراقبة بل قطع الطرق من أجل توزيع بعض الخدمات البسيطة وهي أمور مندوبة، ولكن تصل إلى مزاحمة حق المارة، وعدم التمكن من الحركة والسير لا في الأرصفة ولا في الشوارع، بل هنا ظاهرة أخرى اجتماعية وهي ركون، وإيقاف الآلات والسيارات بل وضع الخيم والصوامين في الشارع وليس على جوانب الطريق، بل يحرم التصرف في مال غيره، وأملاك الناس في طول الطريق إلا مع الاذن أو الاباحة لذلك.

روي الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن عيسر الفراء، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (أربعة لا يجزن في أربعة: الخيانة، والغلول، والسرقة، والربا، لا يجزن في حج، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صدقة). (الكليني: ١٢٤/٥ ح ٢؛ القمي: ٩٨/٣ ح ٢٥؛ الصدوق: ١/١٠٢؛ الطوسي: ٦/٣٤٨/١٨٦؛ العاملي: ١٧/٣١٢) فالشعائر الدينية لا تجتمع من المحرمات ومنها السرقة والربا والغلول والخيانة في أموال الناس، ولا تصدر من الزائر الحسيني.

رابعاً/ ومن ضرورات زيارة الأربعين توفر وتكثيف الجهد الطبي في كافة الكوادر الصحية وشعبة الطواري، بل مراكز الإسعاف الفوري، المنتشرة في أيام زيارة صفر في يوم الأربعين وفي الطرق الخارجية لمعالجة حالات الطواري وكشفها أولاً بأول.

بل تشكيل لجان متابعة وتفتيش على الأدوية التي توزع على الزائرين ومعرفة توفر

كافة المواصفات الطبية فيها.

فالضرر كبير والمواجهة صعبة بين القوة البيضاء وقوة السواد والبلاء.

ولا يفوتنا وصية الرسول ﷺ: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) وما وصى به الوقاية خير من العلاج.

ومن مهما قاعدة نفي الضرر في زيارة الأربعين، معالجة الضرر من وسائل النقل للزائرين على اختلاف أنواعها ومشخصاتها.

خامساً / وأخيراً وليس آخراً: نحتاج إلى وضع كامرات مراقبة على الطرق الخارجية والداخلية لتحديد سرعة السير المركبات وحمولتها.

وتوجيه النصيحة بل التبليغ والتعهد من الأخوة السائقين في الطرق العامة والخاصة لكافة الآلات بأن أرواح الناس أمانة في رقبتهكم يجب عليكم حفظها بل حفظ المال العام والخاص واجب.

فلا تفرط في السرعة والسير بجنون ولا تراحم غيرك لكونه غير متنبه وتحدث كارثة لا سامح الله.

فتأخير دقائق قليلة غير مانع بعد الحوادث المؤسفة التي تؤدي بالضرر لعدم الرجوع لك ولا من معك.

ولا تنسى فإن العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن.

وهنا مشكلة ولا علاج لها بل لها علاج ولا من ناصح أو مهتم بذلك ولا ملتفت لمساعدة الزائرين؟

والزائر بين السندان والمطرقة؟ في وسائل النقل الخارجي في دخول المدينة لأداء الشعائر الحسينية والخروج عند الرجوع.

من فتح الطرق الواسعة والشوارع لتكفي لتحمل هذا الجرم الغفير من المؤمنين على اختلاف مشاربهم وصحتهم واحتياجاتهم العامة والخاصة.

ولقد نرى بالوجدان وهو غير خافي على الأخوة المسؤولين سواء الحكومي أو المدني بأن المرفأ والكراجات أيام الزيارة ولسنين متعددة هي تراب من دون أي خدمات فيها أين قاعدة نفى الضرر عن الزائر في مقبرة سيد جودة وهي تراب يصل فيها إلى قمة الرأس؟

بل زحام السيارات على اختلاف اتجاهاتها لها منفذ واحد للخروج ولها منفذ واحد للدخول، ولو حدث أن عطلت فيه إحدى الآلات أو حدث اصطدام مع آخر ينقطع السير لساعات ويتوقف النقل..

ومتى تنحل مشكلة نقل في السيارات الكشفة بل الجهد العسكري المساند للجهد المدني والحكومي في إخلاء ونقل الزائرين.

فيحط الضرر ثقله بل أضرار في قطع الزائر مسافات بعيدة والنقل بالآلات مرتين للوصول إلى تجمع وسائل النقل وبدون مساعد بل ولا مدرج ولا مصعد في هذه السيارات، وإلى متى تكون المأساة في كل سنة.؟؟؟!!

ومعالجة كل ذلك أمر بسيط وسهل هو التعاقد ولمدة يومين مع شركات نقل بإعداد منشآت جامعة للشرائط السلامة عالمية لنقل الزائرين يومين فقط في السنة والأجور من الزائر يدفع ولا شيء على الجهات الأخرى.

بل يتقدم الاسطول النقل في العتبات الشريفة من الاليات على اختلاف صنوفها وأنواعها من العتبتين في كربلاء والعتبة العلوية والكاظمية وسامراء وإخراج الجهد وسائل النقل لتخفيف ازمة النقل وقلة الضرر الحاصل عليهم من هذا الجانب وإلى الله المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء.

المطلب الثالث

إشكالات قاعدة نفي الضرر والاجابة عنها.

وفي موضوع تطبيق قاعدة نفي الضرر، تواجه الباحث إشكالات علمية وينبغي الإجابة عنها؟

زعم بعض المشككين أن قاعدة نفي الضرر (الزحيلي: ١/ ٢١٤) شاملة وتنطبق على زيارة الأربعين، لأن في زيارة الأربعين اizard للنفس بالمشي لمسافات طويلة وأضرار بالمال في نفقات النقل، والمستفادة من مضمون الحديث النبوي: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام). (الصدوق: ٤/ ٣٣٤، ح ٥٧١٨؛ العاملي: ٢٦/ ١٤) فالاستناد لهذا المضمون ينتج كون الضرر البدني والمالي والاقتصادي متحقق في ذلك وهو مرفوع عن المؤمنين منة من الله بهم.

وهذا الاشكال يمكن رده:

الجواب الأول:

أن قاعدة نفي الضرر، إنما تنفي الفعل الذي يوجب الضرر بفعله، وهو معتبر شرعاً، ومجوعول في الشرع، بمعنى أن ما يكون من امتثال الافعال ضرراً على أحد من الله أو من العباد منفي شرعاً، وغير مجعول لله، ولا ممضى عنده في أصل التشريع وبعده.

(المراغي: ١/ ٣٣٣) وهذا لا يقتضي إلا عدم جعل الأحكام الضررية ورفع الحكم المجعول إذا لزم منه الضرر، نعم لو حمل لفظ (لا) في قوله (لا ضرر) على نفي الحقيقة ادعاء بلحاظ نفي الحكم الثابت أو المناسب للضرر المنفي كما ذهب اليه الخراساني (الخراساني: ٣٨١) كان اللازم الحكم بعدم جواز السير لمسافات بعيدة خمسة عشر يوم أو أقل أو أكثر من ذلك حيث يكون ضرراً مطلقاً وهذا أخص من المدعى إن تم مبناه. (العامي: ١/ ٢١٥)

الجواب الثاني:

أن قاعدة نفي الضرر على الرأي المشهور في مدلولها مختصة بالإلزاميات، ولا تشمل المباحات والمندوبات من أن رفع الحكم الذي يتأتى من قبله الضرر للامتنان، ولا منة في رفع المندوبات؛ لأن المندوبات لا إلزام فيها بل ترغيب من المكلف بالفعل لينال ثواب من الله تعالى عليه، ومن ارتفاع الضرر موضوعاً مع الترخيص في الترك (النراقي: ١/ ١٨٩)، كما صرح به الأنصاري (الانصاري: ١٢؛ الانصاري: ٣٧٥) في رسالة الضرر إذ يقول (إن إباحة الضرر بل طلبه استحباباً ليس حكماً ضررياً، ولا يلزم من جعله ضرراً على المكلفين ليكون مرفوعاً بالقاعدة .) (الانصاري: ١٢؛ الانصاري: ٣٧٥) فإذا كان العمل المستحب في زيارة الأربعين ضرراً فهو كراهة وغير محرم، بل مستحب؛ لأن كل الأعمال فيها مشقة سواء كان في دفع المال أو تعب أو عناء أو ضرر مالي أو بدني أو نفسي.

ومن أن الظاهر من أدلة القاعدة عدم كون جعل الشارع سبباً قريباً لألقاء المكلفين في الضرر، وهو إنما يكون سبباً كذلك إذا كان حكمه الزامياً؛ لأن لإلقاء في الضرر لو كان الحكم غير الزامي يكون مستنداً إلى اختيار المكلف، ورغبته في الثواب لا إلى جعل الشرع، واعتباره، ومن وقوع المندوبات الضررية بكثرة فائقة في الشرع، وذلك علامة اختصاص القاعدة بغير المندوبات والمكروهات والمباحات، بل الوجوب والحرمة. (النراقي: ٢٨٩)

وخلاصة القول قاعدة نفي الضرر في الأحكام التي فيها وجوب الفعل أو تركه والزيارة من المندوبات تابعة إلى اختيار المكلف ورغبته بالفعل. وبعبارة أخرى: الضرر الواقع بالفعل تارة بالنفس والمال والعرض وأخرى يقع على غيره وهو محرم وهو مورد البحث ومحل وقوع الضرر على غيره دون محل الاشكال، ومن المعروف أن الاشكال ينظر لحالة ومحل البحث لوقوع الضرر على غيره.

وربما يزداد هنا وجه آخر: وهو أن كون عدم جعل الحكم الضرري إحداثاً وإبقاءً للامتنان يقتضي جواز أن يؤدي الإنسان نفسه، ويضرها بغير الدماء وازهاق النفس فإن منعه عن ذلك خلاف الامتنان بخلاف أضرار الغير، فإن في رفعه كمال السنة بانتظام أمر النوع. (حسن: ٢٧٦/١)

الجواب الثالث:

إن المقصود من مفاد قاعدة نفي الضرر؛ هو أن المرفوع بقاعدة نفي الضرر في العبادات والمعاملات والشؤون الاجتماعية، هو الضرر الشخصي لا الضرر النوعي الغالب، بمعنى أن الحكم في المورد الخاص مثلاً المشي لزيارة الحسين (عليه السلام) ضرر عليه فلا يفعله، إذا لزم من فعله الضرر على شخص يرتفع عنه دون كلية الضرر على الآخرين، ودون كلي الأشخاص. (البجنوردي: ٢٣٧/١) ولا اشكال في أن قطع المسافات البعيدة ماشياً ضرراً إذ تورم قدميه وادمائها، ولكنه ليس مضرراً لكافة الناس، وهناك طاقة من الشباب قادرة على قطع المسافات البعيدة فلا يكون منهياً على الإطلاق؟ بل اللازم لو استيفيد النهي والكرهية من القاعدة أن يكون الفعل يكون ضرراً مطلقاً فلا يتم القول بالإشكال في تطبيق قاعدة نفي الضرر في زيارة الأربعين، بأنها تتضمن الضرر والإيذاء للنفس، والإيذاء، والضرر محرم شرعاً وعقلاً.

النتيجة:

أن الضرر الحاصل في زيارة الأربعين له مراتب ودرجات تختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان وما يحيط بالملكف، وهناك ضرر يتحمل من شخص دون ضرراً غير متحمل من فرد آخر، فتحمل الضرر الشخصي أو على غيره تارة يتحمل عليه الضمان وأخرى لا يترتب عليه ضمان شرعي بل عرفي أو قانوني أو عشائري وغيرها.

نتائج البحث

تدور محاور البحث حول تطبيق قاعدة نفي الضرر على موضوعات زيارة الأربعين وإعطاء فكرة مختصرة حول دليل قاعدة نفي الضرر من الروايات وظواهر بعض الآيات.

وتطبيق قاعدة نفي الضرر على بعض الواجبات العبادية في مناسبة زيارة الأربعين من توفر أماكن الوضوء والغسل والتنظيف وأهمية الصلاة والمحافظة عليها، ولا سيما إقامة وحضور صلاة الجماعة وباقي الواجبات الشرعية الأخرى.

ثم تطبيق قاعدة نفي الضرر والأمور الاجتماعية التي يحتاجها الزائر من النقل وخدمات الصحة والاستراحات وعدم التصرف في الأملاك العامة والخاصة إلا بأذن صاحبها. وتجنب المحرمات من الاختلاط والنظر المحرم وغيرها.

والاعمال التبرعية وتقديم الطعام وعدم التراحم والتدافع عليه لما في ذلك من الضرر وعدم تناول واستلام أكثر من حاجته ورميه في المخلفات لما في ذلك من هدر المال العام والاسراف المنهي عنه.

وأخيراً هناك إشكالية في الاستدلال بقاعد نفي الضرر في المندوبات وهي جارية في الواجبات والمحرمات والموضوعات التي يتعلق بها حكم الزامي.

وقدم البحث عدة مقترحات ومعالجات لأغلب هذه الإشكاليات وأتمنى أن تأخذ بنظر الاعتبار من الاخوة الأعضاء الإداريين والمسؤولين على ملف زيارة الأربعين. وهي مجرد الفات وجهة النظر فقط وهم أعلم بالحال واعرف بالحل ولكن الحر تكفيه الإشارة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أثر القرآن الكريم في علم أصول الفقه، أطروحة دكتوراه، وفقان خضير محسن الكعبي، كلية الفقه، جامعة الكوفة سنة: ٢٠٠٩م.
٢. أدب الزائر لمن يمم الحائر، عبد الحسين الأميني (بيروت - لبنان).
٣. الاستبصار: محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) (دار التعارف - بيروت).
٤. إقبال الأعمال: علي بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ) (دار إحياء التراث العربي - بيروت).
٥. إيضاح الفوائد: فخر المحققين، محمد بن الحسن الحلي (ت: ٧٧١هـ) (المطبعة العلمية - قم).
٦. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ) (المكتبة الإسلامية - طهران).
٧. البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ) (مؤسسة البعثة - قم/ ط ١/ ١٤١٥هـ).
٨. البلد الأمين، إبراهيم الكفعمي (بيروت - لبنان).
٩. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣هـ) (المكتبة العلمية الإسلامية - طهران).
١٠. تهذيب الأحكام: محمد حسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) (دار التعارف - بيروت).
١١. بيان الأصول: صادق الشيرازي (النشر الإسلامي - قم).

١٢. الخصال: محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١هـ) (جماعة المدرسين - قم / ١٤٠٣هـ).
١٣. الجامع الصغير، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) (دار الفكر - بيروت، ط ١ / ١٤٠١هـ).
١٤. دعائم الإسلام: القاضي النعمان بن محمد التميمي (ت: ٣٦٣هـ) (دار المعارف - القاهرة / ١٣٨٣هـ).
١٥. الرسائل الفقهية: الأنصاري - مرتضى (ت: ١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، (الطبعة: الأولى / ١٤١٤ هـ، المطبعة: باقري - قم / الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري).
١٦. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي، جعفر بن محمد الحلي (ت: ٦٧٦هـ)، (دار الأضواء - بيروت، ط ٢ / ١٤٠٣هـ).
١٧. ظاهرة المنكرات وأثرها في المجتمع، الأستاذ الدكتور وفقان خضير محسن الكعبي دار العارف - بيروت، ط ١ / ٢٠١٩م).
١٨. علل الشرائع: محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١هـ) (المكتبة الحيدرية - النجف / ١٣٨٥هـ).
١٩. العناوين الفقهية: الحسيني المراغي، السيد مير عبد الفتاح (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي (الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة).
٢٠. عوائد الأيام: المحقق النراقي احمد (ت: ١٢٤٤هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية (الطبعة: الأولى: ١٤١٧هـ - ١٣٧٥ م، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي - قم).
٢١. عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت: ٨٨٠هـ) تحقيق: مجتبى العراقي (ط ١ / ١٤٠٣هـ، سيد الشهداء - قم).

٢٢. القواعد الفقهية: محمد حسن البجنوردي (ت: ١٢٦٩هـ)، تحقيق: مهدي المهريزي - محمد حسين الدرايتي (الطبعة: الأولى: ١٤١٩ هـ، المطبعة: الهادي، الناشر: نشر الهادي قم).
٢٣. القواعد العامة في الفقه المقارن: محمد تقى الحكيم: (دار المعارف - بيروت - لبنان).
٢٤. القواعد والفوائد: الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦هـ) (مكتبة المفيد قم).
٢٥. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ) (دار التعارف - بيروت).
٢٦. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه (ت: ٣٦٧هـ) (وجداني - قم - حجري).
٢٧. كتاب البيع: القديري محمد حسن، تقرير لما أفاده الأستاذ الأكبر آية الله العظمى الخميني، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ المطبعة: مطبعة مؤسسة العروج، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني).
٢٨. كفاية الأصول: الخراساني، محمد كاظم (ت: ١٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث (الطبعة: الأولى: ١٤٠٩هـ: مهر - قم - الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم).
٢٩. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ) (دار الكتاب العربي - بيروت).
٣٠. مقالات الأصول: ضياء الدين العراقي (ت: ١٣٦١هـ) (قم، ط ١/ ١٤١٤هـ).
٣١. مستدرک الوسائل: حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ) (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، ط ١/ ١٤٠٧هـ).
٣٢. الامام محمد الباقر عليه السلام: محمد حسين الصغير (مؤسسة العارف - بيروت، ط ١/ ١٤٢٣هـ).
٣٣. معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) (مطبعة الآداب - النجف).
٣٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) (دار الكتاب

العربي- بيروت، ط ٣/ ١٤٠٢ هـ).

٣٥. المكاسب: الشيخ مرتضى الانصاري (ت: ١٢٨١ هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر (الجامعة الدينية- النجف).

٣٦. مشارق الأحكام: النراقي، ملا محمد (ت: ١٢٩٧ هـ)، تحقيق: السيد حسين الوجداني الشبيري (الطبعة: الثانية: ١٤٢٢ هـ - قم - سلمان فارسي).

٣٧. من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) (دار التعارف- بيروت).

٣٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مبارك بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦ هـ)

٣٩. (دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١/ ١٤١٨ هـ).

٤٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي

(ت: ١١٠٤ هـ) (دار إحياء التراث العربي- بيروت).

دور زيارة الأربعين في ترسيخ القيم الدينية

محمد جواد الدمستاني

مركز الفري - بلجيكا

alqaim5@gmail.com

ملخص البحث

إن مجموعة القيم والمبادئ الدينية الإسلامية تتجلى في زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث تشاهد الإيمان على وجوه وحركات الزائرين والمضيئين في المواكب الممتدة مئات الكيلومترات، والقيم الأخلاقية من نبل واجلال واحتراف واستضافة وترحيب، وكذا تحمّل وصفا وتجاوز عما يقع من الأخطاء، والاجتماعية من إحسان وإنفاق وتكافل، وقيم الأخوة والمودة، والتعاون، والكرم والضيافة، وخدمة المؤمنين إلى غيرها من قيم الدين الأخرى.

والكلام هنا سيكون حول بعض القيم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين أو التي ينبغي أن ترسخها تلك الزيارة وتعززها وتثبتها أو تزيد في تثبيتها.

إن من أهم القيم الدينية التي ذكرها أهل البيت وكررها النبي وأهل بيته (عليه السلام) عدة مرات، وفي عدة مناسبات، هي السلم والحرب والولاء والبراء طبقاً لقيم الحسين وأهل البيت (عليه السلام).

وأحد الإشارات المهمة في زيارة عاشوراء هي الاستراتيجية والاستمرارية في الولاء والعداء على أساس أهل البيت (عليه السلام)، بمعنى أن الأمر يمثل حالة استراتيجية دائمة وليس تكتيكا مرحليا قابل للتغيير.

و أحد القيم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين الانصهار في قيم الدين من ناحية إهمال مكانة و شأن العرق واللون و البلد و اللغة، فهذا المظهر الديني الحقيقي و الأخلاقي و الحضاري يتجلى في زيارة الأربعين أيما تجلي، ويجب أن يتجلى في كل أزمّة أعمارنا و امكنتها.

و أحد القيم الدينية المأمور بها شرعا و التي تخرج النفس من حالة الطمع و الجشع إلى حالة البذل و الكرم هي الضيافة و إطعام الطعام، و الكرم والعطاء ...

و من القيم الدينية التي تعززها زيارة الأربعين هي (خدمة المؤمنين) فهي تتجلى في زيارة الأربعين، حيث تتسابق العشائر العراقية و العراقيون إلى خدمة زوار الحسين في مظهر فريد من نوعه على أرجاء المعمورة كلها، ليس في الطعام و الشراب فقط، بل كثير من الخدمات مثل المبيت ، و الدواء، و الاسعافات و التدليك، و استخدام السيارات للنقل مجانا عند كثيرين، إلى غيرها من أنواع الخدمات التي يقدمها الأفراد و المواكب للمؤمنين زوار الحسين عليه السلام.

و أهم من كل ذلك إظهار الحبّ و الشوق و التوقير و التعظيم في خدمتهم للزوار و هذا مما تنفرد به هذه البقعة المباركة و خدمتها و لا مثيل له في كل العالم.

الكلمات المفتاحية : زيارة الاربعين ، القيم الدينية ، الاسلام

The role of Ziyarte Al-Arba'een in ingraining the religious values.

Muhammad Jawad Al-Dimistani

Brussels, Belgium

Abstract

ziyarte AL-Arbaeen, the commemoration of Imam Hussein (peace be upon him), plays a significant role in reinforcing and promoting religious values. The Islamic values and principles are manifested in the faces and actions of the visitors and hosts throughout the hundreds of kilometers of processions. These values include nobility, reverence, hospitality, forgiveness, social welfare, brotherhood, cooperation, generosity, and serving the believers.

One of the important religious values emphasized by Ahlul Bayt and the Prophet (peace be upon them) is the concepts of peace, war, loyalty, and disavowal in accordance with the values demonstrated by Imam Hussein and his family (peace be upon them). The visitation of Ashura signifies a strategic and enduring commitment to loyalty and enmity based on the principles of Ahlul Bayt, representing a constant strategic stance rather than a temporary tactical change.

Another important value reinforced by the Arbaeen visitation is the integration of religious values, disregarding race, color, nationality, and language. This true religious, ethical, and civilized aspect is evident in the Arbaeen visitation and should be reflected in all aspects of our lives.

Hospitality, feeding the hungry, generosity, and selflessness are among the religious values that the Arbaeen visitation highlights. These values

help individuals move away from greed and selfishness towards giving and kindness.

The service to the believers is also a significant religious value emphasized by ziyarte AL-Arbaeen Iraqi tribes and the Iraqi people as a whole rush to serve the visitors of Imam Hussein in a unique and unprecedented manner worldwide. This service includes not only food and drinks but also accommodation, medical aid, transportation, and various other forms of assistance provided by individuals and processions to the visitors of Imam Hussein.

Above all, the expression of love, reverence, and honor in serving the visitors distinguishes this blessed occasion and its service, setting it apart from any other place in the world

Keywords: Ziyarte Al-Arba'een , religious values, Islam

مقدمة

من المناسب في ضوء تجربتنا المتكررة لزيارة الأربعين في كربلاء المقدسة، وقراءة زيارات الحسين (عليه السلام) في مواطنها ومناسباتها، أن نكتب شيئاً عن ذلك الدور الذي نراه واضحاً في زيارة الأربعين.

إنّ مجموعة من القيم والمبادئ الدينية الإسلامية تتجلى في زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث تشاهد الإيمان على وجوه وحركات الزائرين والمضيفين في المواقب الممتدة مئات الكيلومترات، والسلم والسلام والاطمئنان والاحترام، والقيم الأخلاقية من نبل وإجلال واحترام واستضافة وترحيب، وكذا تسامح وصفح وتجاوز عما يقع من أخطاء، والاجتماعية من إحسان وإنفاق وتكافل، وقيم الأخوة والمودة، والتعاون، والكرم والضيافة، وخدمة المؤمنين، إلى غيرها من قيم الدين الأخرى.

والكلام هنا سيكون على بعض القيم الدينية، التي ترسخها زيارة الأربعين، أو التي ينبغي أن ترسخها تلك الزيارة وتعززها وتثبتها، أو تزيد في تثبيتها.

وسيكون الكلام في أربع نقاط.

١. السلم والحرب في زيارة الحسين (عليه السلام)

إنّ من أهم القيم الدينية التي ذكرها أهل البيت وكررها النبي وأهل بيته (عليه السلام) عدة من مرات، وفي عدة من مناسبات، هي السلم والحرب والولاء والعداًء بمركزية ومحورية الحسين وأهل البيت (عليه السلام).

السلم والسلام والأمان لمن هو في سلام مع أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومع الحسين وأولاد الحسين وأنصار الحسين وشيعة الحسين، والحرب والقتال والخصام مع من هو في حرب عليهم.

ليس صدفة ولا اتفاقاً طارئاً أن يكرر أهل البيت (عليه السلام) جملة (سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم)، بل هي استراتيجية وخطة محكمة يُريدون (عليه السلام) من شيعتهم، العمل بها والاهتمام بموضوعها وجعلها منهجاً يتبعونه.

وقد وردت هذه الجملة في زيارة عاشوراء في موضعين:

الأول (يا أبا عبد الله، إني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم، إلى يوم القيامة..) (بن قولويه، ص ٣٢٩).

والثاني (إني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم، فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم، ومعرفة أوليائكم، ورزقني البراءة من أعدائكم، أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة..) (بن قولويه، ص ٣٣٠).

ووردت في زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي (عليه السلام):

(موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم..) (الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٠٧).

ووردت في زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام): عن أبي الحسن (عليه السلام) وتقول عند قبر أبي الحسن (عليه السلام) ببغداد:

(أشهد الله أنني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم، مؤمنٌ بركم وعلايتكم، مفوضٌ في ذلك كله إليكم..) (بن قولويه، ص ٥٠١).

ويروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لأُمير المؤمنين والحسن والحسين (عليه السلام): (إني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم) (المجلسي - ج ٣٧ - الصفحة ٧٨).

وتأكد هذا المعنى بالفاظ متعددة في الروايات، مثل: قول رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام:

(يا علي حربك حربي، وسلمك سلمتي) (الشيخ الطوسي ، ص ٣٩٤).

(حرب علي حرب الله، وسلم علي سلم الله) (الشيخ الصدوق ، ص ٥١٠).

(ولي علي ولي الله، وعدو علي عدو الله) (الشيخ الصدوق ، ص ٥١٠).

والعبارة واضحة التقابل بين السلم والحرب، وأن الإنسان المؤمن الموالي لأهل البيت عليه السلام ينبغي أن يكون سلماً لمن سالم محمداً وآل محمد، وأن يكون حرباً لمن حاربهم، وهذا في حالتي السلم والحرب.

أما في حالة الحرب، فالأمر بين وواضح وبارز، فيجب الوقوف في صفوف آل محمد وحرب أعدائهم، والسلم مع من سالمهم، كأن يكون في عصر أمير المؤمنين عليه السلام فيقف معه في المواقف كلها، بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفي معارك الجمل والنهروان وصفين، أو في عصر الحسين عليه السلام فيقف معه في كربلاء ضد عدوه، كما كان أصحاب أمير المؤمنين وأصحاب الحسين عليه السلام في الوقوف معهما والثبات والشهادة.

وفي حالة السلم، أي: الحالة العادية، يعني الالتفاف حول راية آل محمد عليه السلام، ومناصريهم، والأخذ عنهم ومسالمتهم والتسليم لهم، والتعاون والتضامن معهم، والتهيؤ والاستعداد لأمرهم وندائهم.

وكذلك يعني في حالة السلم، التبرئ من أعدائهم وإنكارهم بمطلق الإنكار القلبي واللساني وحتى الجسدي، والحذر من أعدائهم وأتباعهم، والبصيرة والإدراك في ما يُحْطَطُ له أعداؤهم وأعداء شيعتهم.

وهذه السلمية والحرب للمناصرين والمعادين، مطلقة، وتعني في حالة السلم الظاهري، والحرب، على جميع الأصعدة: الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها.

وعليه فترتيب وتنظيم الولاء والعداء بمحورية وقيم الحسين وأهل البيت ﷺ مطلق للموالي في كل مواقفه ومواقفه زائراً كان صاحب الموقف، أو صاحب موكب، أو مقيم مجلس، أو خادماً في العتبة، أو إعلامياً أو سياسياً أو غيرها.

وهذا التنظيم للولاء والعداء يرشد إلى التزام قيم ومبادئ الثورة الحسينية، ويعني وضع قاعدة أساس مركزية واستراتيجية في العلاقات والصدقات والولاءات والعداءات في كل الأزمنة والأمكنة عنوانها السلم والولاء لمن وإلى الحسين وآل محمد ﷺ، والعداء والحرب لمن عادى الحسين وآل محمد ﷺ، وتعني رفض الولاء والعداء بالأهواء والمصالح الشخصية أو الفتوية أو غيرها.

وهي إرادة أهل البيت ﷺ بتأكيد وتكرار وأمر لشيعتهم حينما يقومون بزيارة أهل البيت ﷺ والحسين ويقفون عند قبورهم في معاهدتهم على التزام سلم من سالمهم، وحرب من حاربهم، ووالولاء لمن والاهم، والعداء لمن عاداهم، وحينما يزورون دون هذه المعاني، فليست هي الزيارة التي أرادها أهل البيت ﷺ، بل تنقصها روح الزيارة التي هي الأصل.

والروح هو تنظيم السلم والحرب والولاء والعداء بمحورية الحسين وأهل البيت ﷺ، وجعله هو المنهج والمعيار وليس شيئاً آخر، وليس الهوى النفسي.

ولعل رواية الإمام الصادق ﷺ تشير إلى الولاء السياسي والولاية السياسية لهم ﷺ فيما روي في تفسير العياشي عنه ﷺ (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان، قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلت أنت أعلم، قال: ولاية علي والأئمة

الأوصياء من بعده، قال: وخطوات الشيطان: والله، ولاية فلان وفلان) (العياشي، ج ١، ص ١٠٩؛ المجلسي، ج ٢٤، ص ١٦١، وج ٣١، ص ٦٠٤)

وإحدى الإشارات المهمة في زيارة عاشوراء هي الاستراتيجية والاستمرارية في الولاء والعداء على أساس أهل البيت (عليه السلام)، بمعنى أن الأمر يمثل حالة استراتيجية دائمة، وليس تكتيكا مرحليا قابلا للتغيير من حال إلى حال، ومن زمن إلى زمن، نتيجة لاختلاف الظروف والأحوال، ولذا كان الخطاب في الزيارة (يا أبا عبد الله إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة) (بن قولويه، ص ٣٢٩)

أي: أبداً ودائماً، فالمسألة مع المسالم، والمحاربة مع المحارب، مستمرتان، ويعني امتداد حالة السلم مع الموالين، وحالة الحرب مع المعادين إلى يوم القيامة.

وهذه الحالة من السلم والحرب بمحوريتهم (عليه السلام) مسؤولية عظمى للزائر والموالي لهم (عليه السلام)، ولها كلفة في الحياة الدنيا، قد تصل في أعلى مراتبها ومستوياتها إلى الشهادة، وفي أعظم الحالات خسائر في متاع الحياة الدنيا وزخرفها، ولكنها أيضا نعمة عظمى لا يلقاها إلا ذو إيمان قوي وعظيم، وإن لم يستشهد معهم، فالأهم هو اتباع قيمهم ومبادئهم، التي هي مبادئ الدين الحقيقية.

والنعمة العظمى هي في الكينونة معهم، والشفاعة عندهم، والحشر معهم، لذلك هي عند أصحاب البصيرة والوعي، فكانت عند جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم تكن عند آخرين كثيرين، ولذا إن زيارة جابر في الأربعين مخلدة في التاريخ، وروايته مصداق واضح وجلي، وحينما أقبل لزيارة الحسين قال: (والذي بعث محمداً بالحق، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه) (المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)، وحينما يستفهم متعجبا صاحبه في الزيارة عطية العوفي، فيقول له: (وكيف ولم نهبط واديا، ولم نعلُ جبلا، ولم نضرب

سيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟) (المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)، يحبيه جابر يقين فيقول: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: (من أحبّ قوما حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه) (المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)

وفي تاريخ الإمام الباقر ﷺ المروية عنه زيارة عاشوراء، قصة تبيين الولاء والعداء، فقد روى الكليني في الكافي عن الحكم بن عتيبة قال:

بيننا أنا مع أبي جعفر ﷺ والبيت غاص بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عترة له، حتى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم سكت. فقال أبو جعفر ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً، وردوا ﷺ.

ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر ﷺ ثم قال: يا ابن رسول الله أدني منك، جعلني الله فداك، فوالله إني لأحبكم وأحب من يحبكم، ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا. وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لو تر كان بيني وبينه، والله إني لأحل حلالكم، وأحرم حرامكم، أنتظر أمركم، فهل ترجولي جعلني الله فداك؟ فقال أبو جعفر ﷺ: إني إني حتى أقعده إلى جنبه.

ثم قال: أيها الشيخ إن أبي علي بن الحسين ﷺ، أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي ﷺ: إن تمت ترد على رسول الله ﷺ وعلى عليّ والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقر عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع

الكرام الكاتين، لو قد بلغت نفسك ههنا - وأهوى بيده إلى حلقه - وإن تعش ترى ما يقر الله به عينك، وتكون معنا في السنام الأعلى.

قال الشيخ: قلت: كيف يا أبا جعفر؟

فأعاد عليه الكلام.

فقال الشيخ: الله أكبر يا أبا جعفر، إن أنا مت أرد على رسول الله ﷺ وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين، وتقر عيني، ويثلج قلبي، ويبرد فؤادي، واستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتين، لو قد بلغت نفسي ههنا، وإن أعش أرى ما يقر الله به عيني، فأكون معكم في السنام الأعلى؟

ثم أقبل الشيخ يتحب، ينشجهاهاها حتى لصق بالأرض.

وأقبل أهل البيت يتحبون وينشجون، لما يرون من حال الشيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسح بإصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضها.

ثم رفع الشيخ رأسه فقال لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، ناولني يدك جعلني الله فداك، فناوله يده فقبلها، ووضعها على عينيه وخده، ثم حسر عن بطنه وصدره، فوضع يده على بطنه وصدره، ثم قام، فقال: السلام عليكم.

وأقبل أبو جعفر عليه السلام، ينظر في قفاه وهو مدبر، ثم أقبل بوجهه على القوم فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فليُنظر إلى هذا، فقال الحكم بن عتيبة: لم أر مأتا قط يشبه ذلك المجلس (الشيخ الكليني، ج ٨، ص ١٠٠).

ومحل الشاهد في كلام الشيخ الموالى (فوالله إني لأحبكم، وأحب من يحبكم. ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم، لطمع في دنيا. وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه، ووالله ما

أبغضه وأبرأ منه لو تر كان بيني وبينه، والله إني لأحل حلالكم، وأحرم حرامكم). وفي ترحيب الإمام الباقر (عليه السلام) له، وتعظيمه، حتى طلب منه القرب وأجلسه إلى جنبه.

وفي الرواية بيان واضح لمحبة أهل البيت لشيعتهم (عليهم السلام)، الذين يطبقون توصياتهم ويعملون طبق تعاليمهم، ومعاملتهم بالتعظيم والتوقير والاحلال كما فعل الإمام بالشيخ.

٢ - إهمال الفوارق العرقية والقومية واللغوية والجغرافية

وإحدى القيم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين، الانصهار في قيم الدين من ناحية إهمال مكانة وشأن العرق واللون والبلد واللغة والجغرافيا، فهذا المظهر الديني الحقيقي والأخلاقي والحضاري يتجلى في زيارة الأربعين أيما تجلٍ، ويجب أن يتجلى في كل مراحل أعمارنا وأمكناتها.

هذه القيمة المعنوية والعملية البارزة والظاهرة في الزيارة قيمة دينية أساس، ومن أصول الأخلاق الإسلامية في عدم الفرق بين الناس إلا بتقواهم وأعمالهم الصالحة، وتجاهل الفوارق الشكلية العرقية والقومية واللغوية والمناطقية وغيرها، وقد جاء القرآن وروايات النبي وأهل بيته (عليهم السلام) بذلك، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات، ١٣).

ورغم تأكيدات النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه بتوصيات متكررة لهم بمضمون واحد، بعدم الفوارق بين الناس إلا بالتقوى، إلا أن المسلمين عامة، لا زالوا يتعدون عن تلك القيم الرئيسة والأسس، وهذه أمثلة من النصوص المتعددة التي ترشد إلى جعل معيار الكرامة هي التقوى، وليس شيئاً آخر:

ورد في خطبة الوداع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود

على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الريشهري، ج ٤، ص ٨٧٧، المنذري، ج ٣، ص ٦١٢).

و عن النبي ﷺ: (إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا، مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى) (الشيخ المفيد، ص ٣٥٣، ج ٤، الريشهري، ص ٨٧٧) وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: (لا حسب لقرشي ولا عربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى) (المجلسي، ج ١، ص ٢٠٩، الريشهري، ج ٤، ص ٨٧٧).

وقد حققت زيارة الأربعين تقدما في تطبيق تلك القيمة الدينية والحضارية إلى درجة كبيرة، فتلهف قلوب زوار وخدمة الأربعين لكل الزوار، ويتم الترحيب بهم وإكرامهم وتوقيرهم جميعا، وتتلاشى فوارق القوميات والعرقيات والجغرافيا، ويكون المحور الرئيس هو حب الحسين وأهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما يقلق الأعداء ويوجعهم ويقلّب مضاجعهم، ولمثل هذا يجهد الأعداء والمناوئون والمعادون لمحو الزيارة أو التقليل من شأنها وعظمتها، ويسعى بعضهم لإلغاء هذه العقيدة العميقة في وجدان الشيعة، ولذا تُعد زيارة الأربعين حقيقة من أهم الأحداث والتجمعات السنوية في العالم، في حين يتم تجاهلها في الإعلام عمدا وقصدا، لطمس معالمها وآثارها، ويقوم الحاقدون بالقتل والتفجيرات لمنعها.

٣- الضيافة والإطعام والكرم

وإحدى القيم الدينية المأمور بها شرعا، والتي تخرج النفس من حالة الطمع والجشع إلى حالة الجود والكرم، هي الضيافة، وإطعام الطعام، والجود، وهو ما نشاهده بزخم في زيارة الأربعين على امتداد المواقب الحسينية والحسينيات.

وبينما تلحظ في كثير من نقاط العالم وأمكناتها، أمثلة للحرص والطمع والجشع، تلحظ في الزيارة مظاهر الكرم والجود والعطاء والسخاء، والشوق لضيافة الزوار، والتسابق على خدمتهم وإطعامهم، والعناية بهم واهتمام على نحو فريد تخلو منه بقاع الأرض الأخرى.

وهذه القيمة الدينية مظهر حقيقي للزيارة الأربعينية، ومن القيم الدينية المأمور بها وتؤكد إيمان وعقيدة خدمة الأربعين، وأن الله يعوض ما يعطون، ويخلف ما ينفقون، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

وفي حديث رسول الله ﷺ: (من صدّق بالخلف، جاد بالعطية) (الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٢)، وأمير المؤمنين عليه السلام (من أيقن بالخلف، جاد بالعطية) (الشريف الرضي، حكمة رقم ١٣٨؛ الشيخ الصدوق، ص ٥٣٢).

وهذه قضية أساس مهمة ولها آثارها في الدنيا والآخرة، ورغم أن النبي ﷺ ذكرها ووصى بها إلا أن أعداد كبيرة من المسلمين لا تعمل على تطبيقها، ولا تتخلق بخلقها، إلا إن زيارة الأربعين، وخدمة الأربعين، تكسر جمود الحرص، وتتعدى به إلى الكرم والجود، وهذا مظهر حقيقي للزيارة الأربعينية.

وإكرام الضيف مأمور به فهو قيمة دينية إسلامية، ولذا إن خدمة الأربعين والمواكب يسيرون على هدى الروايات، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: مما علم رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام أن قال لها: (يا فاطمة، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه) (الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٨٥).

وفي الروايات إن الضيف هدية الله لمن أحب، فعن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أراد الله

بعد خيرا، أهدي لهم هدية، قالوا: وما تلك الهدية ؟ قال: الضيف، ينزل برزقه، ويرتحل بذنوب أهل البيت) (النوري، ج ١٦، ص ٢٥٨).

وإطعام الطعام من الموارد التي تجلب الرزق كما في حديث رسول الله ﷺ: (الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام، من السكين في السنام) (الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٥١؛ البرقي، ج ٢، ص ٣٩٠؛ الراوندي، ص ١٥٠؛ الريشهري، ج ٢، ص ١٠٧٣؛ الحائري، ج ٢، ص ٤٢٧).

والسنام: واحد أسنمة الإبل، وهو أعلى الظهر، والتعبير كناية عن سرعة أثر الإطعام في رزق المطعم.

و في شجرة طوبى: (الرزق إلى مطعم الطعام، أسرع من السكين إلى ذروة البعير) (الحائري، ج ٢، ص ٤٢٧).

وفي البحار عن دعوات الراوندي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: (البركة أسرع إلى من يطعم الطعام، من السكين في السنام) (المجلسي، ج ٧٢، ص).

وجاء في بحار الأنوار: قال الراوي: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قد كان الحال حسنا، وإن الأشياء اليوم متغيرة، فقال: إذا قدمت الكوفة فاطلب عشرة دراهم، فإن لم تصبها فبع وسادة من وسائدك بعشرة دراهم، ثم ادع عشرة من أصحابك واصنع لهم طعاما، فإذا أكلوا فاسألهم فيدعوا الله لك، قال: فقدمت الكوفة، فطلبت عشرة دراهم فلم أقدر عليها حتى بعت وسادة لي بعشرة دراهم، كما قال، وجعلت لهم طعاما ودعوت أصحابي عشرة، فلما أكلوا، سألتهم أن يدعوا الله لي، فما مكثت حتى مالت علي الدنيا (المجلسي، ج ٩٢ ص ٢٩٨؛ الشيخ المفيد، ص ٢٤).

ويسوق الضيف الرزق، ويحمل الذنوب، ففي الرواية قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (الأخ

لي أدخله منزلي، فأطعمه طعامي، وأخدمه بنفسي، ويخدمه أهلي وخادمي، أينا أعظم منة على صاحبه؟

قال: هو عليك أعظم منة،

قلت: جعلت فداك، أدخله منزلي، وأطعمه طعامي، وأخدمه بنفسي، ويخدمه أهلي وخادمي، ويكون أعظم منة على منى عليه؟!

قال: نعم، لأنه يسوق إليك الرزق، ويحمل عنك الذنوب) (البرقي، ج ٢، ص ٣٩٠؛ الشاهرودي، ج ٦، ص ٥٣٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أصحابنا قوما، فقلت: (والله ما أتغدى ولا أتعشى إلا ومعهم منهم اثنان أو ثلاثة أو أقل أو أكثر، فقال عليه السلام: فضلهم عليك أكثر من فضلك عليهم، قلت: جعلت فداك كيف ذا؟ وأنا أطعمهم طعامي، وأنفق عليهم من مالي، ويخدمهم خادمي؟ فقال: إذا دخلوا عليك، دخلوا من الله عز وجل بالرزق الكثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك) (الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٨٤؛ المجلسي، ج ٧٢، ص ٤٥٩).

وفي حديث للإمام الجواد عليه السلام، قال: (أهل المعروف إلى اصطناعه، أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف، فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره) (المجلسي، ج ٧٥، ص ٧٩؛ القزويني، ج ٢، ص ٣٦٨؛ الريشهري، ج ٣، ص ١٩٣١).

وذكرت الروايات أن الضيف يأتي برزقه فعن رسول الله ﷺ: (الضيف يحل على باب القوم برزقه، فإذا ارتحل ارتحل بجميع ذنوبهم) (النوري، ج ١٦، ص ٢٥٧).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الضيف إذا جاء فترل بالقوم، جاء

برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله عليهم) (الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٨٤).
فهنيئاً لخدمة الحسين (عليه السلام) من أصحاب المواكب هذا الشرف والإخلاص والعطاء
والخدمة، وهنيئاً لهم بهذا الرزق ومحو الذنوب، وهنيئاً لهم بشفاعة الحسين وأهل البيت (عليهم السلام).

٤ - خدمة المؤمنين

ومن القيم الدينية التي تعززها زيارة الأربعين هي (خدمة المؤمنين) فهي تتجلى في
زيارة الأربعين، إذ تتسابق العشائر العراقية والعراقيون إلى خدمة زوار الحسين بدافع
الأخوة الإيمانية في مظهر فريد من نوعه في أرجاء المعمورة كلها على ما نعلم، ليس في
الطعام والشراب فقط، بل في كثير من الخدمات مثل المبيت، والمواصلات، والاسعافات
والتطبيب والعلاج، والدواء، والتدليك، إلى غيرها من أنواع الخدمات التي يقدمها
الأفراد والمواكب للمؤمنين زوار الحسين (عليه السلام).

وهذه الخدمة هي قيمة دينية حث عليها رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، وقد وردت روايات
كثيرة في خدمة المؤمنين وعظيم ثوابها، وهذه مما ينبغي أن تنتشر بوصفها ثقافة عامة بين
المؤمنين، ومنها:

حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خدمة المؤمن لأخيه المؤمن درجة لا يدرك فضلها إلا بمثلها)
(النوري الطبرسي، ج ١٢، ص ٤٢٩)

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن
مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب القيامة، ومن سر مسلماً سره الله يوم القيامة)
(الطبرسي، ج ١٢، ص ٤١٥).

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنَّ الله عبادة في الأرض، يسعون في حوائج الناس، هم

الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٩٧).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٩٩).

وكذا في الإطعام فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أطعم أخاه في الله، كان له من الأجر مثل من أطعم فئاما من الناس، قلت: وما الفئام [من الناس] ؟ قال: مئة ألف من الناس) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٢).

وكذا في الاستقبال والترحيب واللفظ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من قال لأخيه المؤمن: مرحبا، كتب الله تعالى له مرحبا إلى يوم القيامة) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

و عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما في أمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلا أخدمه الله من خدم الجنة) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

وفي الإكرام عن الصادق (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلفظه بها، وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة، ما كان في ذلك) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

وفي الخدمة المطلقة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أيُّ مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة) (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٧).

ولولا هذه الخدمة العظيمة التي يقوم بها أهل وأصحاب المواكب الحسينية في الطرق الممتدة على مناطق العراق، واستعدادهم الكبير والمتجدد للخدمة، لما كان موسم الأربعين

كما هو عليه اليوم من التوفيق والنجاح، وضرباً للمثل في الخدمة والاخلاص والعطاء والكرم والضيافة والإحسان، وينبهر منه القاصي والداني، وحينما يُقارن بتجمعات أخرى يثير في المقارن بينهما الخجل أو الفخر.

و أهم من كل ذلك إظهار الحبّ والشوق والتوقير والتعظيم في خدمتهم للزوار، وهذا مما تنفرد به هذه البقعة المباركة، وخدمتها، ولا مثيل له في كل العالم.

خاتمة

إنّ من اليقين أنّ هذه الأجواء الروحية والمادية وقلوب ومشاعر الناس وأصحاب المواكب وسلوكهم وأخلاق الزوار وحركاتهم، إنّما هي مسددة من أصحاب الزيارة الحسين وآل الحسين (عليه السلام) جميعاً.

وهذه السلوكيات لها تأثير عظيم في تلك الجموع المتقدمة للزيارة، وحتى تلك التي تبعد عن مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، وتجهل فلسفتهم، وإذا أردنا مثالا قريبا لنا فهو مثال زيارة الأخوة المغاربة المستبصرين، الذين يتأثرون أشد التأثير بحضورهم موسم كربلاء، لقد كانت الزيارة الأربعينية مصدر إشعاع وهداية وانصهار لأعداد المستبصرين المغاربة، الذين تشرّفوا بالزيارة وعاشوا سلوكيات وأخلاقيات زوار الأربعين وأصحاب المواكب والأجواء الأربعينية عامة، فاندمجوا على العقائد الشيعية في الزيارة، وبعد الزيارة.

فهذه أربعة أمثلة في دور زيارة الأربعين في ترسيخ القيم الدينية الإسلامية وتثبيتها، جعلنا الله وإياكم من الموفقين لهذه الزيارة، والناقلين لآثارها الدنيوية والأخروية، والمحافظين على للقيم الدينية، والحمد لله رب العالمين وصلّ اللهم على محمد وآله الطاهرين.

المراجع

- القرآن الكريم

١. نهج البلاغة - الشريف الرضي

٢. كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه) القمي

٤. بحار الأنوار - العلامة المجلسي (محمد باقر المجلسي)

٥. الأمالي، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي)

٦. الخصال، الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه)

٧. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي

٨. الكافي، الشيخ الكليني (محمد بن يعقوب الكليني)

٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري

١٠. مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي

١١. المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي

١٢. الدعوات - قطب الدين الراوندي

١٣. شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري

١٤. الاختصاص، الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي)

١٥. مستدرک سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي

١٦. موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد الحسيني القزويني.

دور زيارة الأربعين في نشر ثقافة السلام والتعايش السلمي

أ. د. حسين عليوي ناصر الزيايدي

جامعة ذي قار - كلية الآداب

hhuusseei@gmail.com

أ.م. د. خالد كاظم عودة

جامعة ذي قار - كلية القانون

ملخص البحث

لزيارة الأربعين دلالات وآثار روحية ومعنوية عظيمة، وهي تبرز جانباً مهماً من تجليات عظمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومكانته وفضله، ومن جانب آخر هي تعبير عن انتصار القيم والمبادئ والأهداف التي استشهد من أجلها سلام الله عليه، وهناك الكثير من الحقائق التي كرستها زيارة الأربعين، ومن بينها نشر ثقافة التعايش والسلام والحوار وتقبل الآخر، والتصدي لكل ما يمكن أن يؤدي بالمجتمع إلى حالة من النزاع، والتصدد، والانحلال، فهذا الكم الهائل من الزوار يتيح فرصاً كبيرة للإعلام، كي يؤدي دوره على نحو أفضل، وأكثر دقة وتأثيراً، إذ يأتي الزائرون الكرام من جميع أصقاع العالم، لإحياء مراسيم الزيارة، وعلى المعنيين استثمار هذا التجمع المليونى، لبث وإيصال الرسائل المعتدلة، ونشر ثقافة السلام والتعايش السلمي، الذي يستند إلى الإسلام الحقيقي المعتدل، وتوجيهها إلى العالم، الذي أنهكته روح الكراهية، وموجات العنف.

لقد تركت زيارة الأربعين بصمات جليلة في تاريخ التشيع، لأنها لم تكن هامشية أو طارئة، تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر، فهي حدث خالد بخلود واقعة كربلاء، وأحاديث

استحباب تلك الزيارة مازالت تحفر في ذاكرة الزمن خلودها الأبدى، وقد أولى الأئمة المعصومون (عليه السلام) زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) عناية فائقة، واهتماما خاصا، وحثوا شيعتهم على أداء هذه الشعيرة المقدسة، وتأكيد أهميتها في كثير من الموارد، وقد وردت الكثير من الأحاديث والروايات عنهم (عليه السلام)، في فضل زيارة الحسين (عليه السلام)، والثواب الجزيل الذي يصيبه الزائر بزيارته، من هذه الأحاديث ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين، فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عز وجل)، (المجلسي ١٠١: ٣، العاملي ١٤: ٤٤٤. الصدوق: ٢: ٣٤٨ المفيد: ٧٢) وفي حديث آخر له (عليه السلام) أيضًا عندما سئل ما لزائر الحسين من الثواب؟ فقال (عليه السلام): (يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك). (المجلسي، ٩٨، ص ١٠)

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، ثقافة، التعايش السلمي، السلام

The Role of the Arbaeen Pilgrimage in Promoting a Culture of Peace and Peaceful Coexistence

Dr. Hussein Aliwi Nasser Al-Ziyadi

University of Thi Qar - College of Arts

Dr. Khaled Kazem Ouda

University of Thi Qar - College of Law

Abstract

The Arbaeen pilgrimage holds profound spiritual and moral significance. It highlights an important aspect of the greatness of Imam Hussein (peace be upon him) and his esteemed status. Furthermore, it symbolizes the triumph of values, principles, and goals for which he sacrificed his life, may peace be upon him. There are many truths emphasized by the Arbaeen pilgrimage, among them being the promotion of a culture of coexistence, peace, dialogue, and acceptance of others. It also serves as a means to counteract anything that could lead society into a state of conflict, division, or decay.

The vast number of visitors during this pilgrimage offers significant opportunities for the media to play its role more effectively, accurately, and impactfully. Esteemed visitors from all corners of the world come to participate in the Arbaeen rituals. It is the responsibility of those involved to leverage this million-person gathering to broadcast and convey moderate messages, promoting a culture of peace and peaceful coexistence rooted in true, moderate Islam. These messages should be directed towards the world, which has been burdened by the spirit of hatred and waves of violence.

The Arbaeen pilgrimage has left distinct imprints on the history of Shia Islam. It is not a marginal or occasional event that appears and disappears over time; it is an enduring event commemorating the tragedy of Karbala. The infallible Imams (peace be upon them) paid exceptional attention to visiting the tomb of Imam Hussein (peace be upon him) and encouraged their followers to perform this sacred pilgrimage. They emphasized its importance in various sources. Numerous hadiths and narrations have been passed down regarding the merits of visiting Imam Hussein (peace be upon him). One such hadith from Imam Al-Baqir (peace be upon him) states: "Command our Shia to visit the grave of Hussein, for it is obligatory for every believer who recognizes the Imamate of Hussein from Allah, the Almighty." In another hadith attributed to him (peace be upon him), when asked about the reward of visiting Hussein (peace be upon him), he replied: "Allah will grant him security on the Day of the Greatest Horror, and the angels will greet him with good news, saying, 'Do not fear or grieve; this is the day of your victory.'"

In conclusion, the Arbaeen pilgrimage holds profound spiritual, moral, and social significance. It provides a unique platform for promoting a culture of peace, coexistence, and dialogue, and it serves as a powerful means to counteract conflict and division in society. This pilgrimage is not merely a historical event; it is a timeless commemoration that continues to inspire and unite people from around the world in the pursuit of peace and harmony.

Keywords: Al- arbaeen visit, culture, peaceful coexistence, peace.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

١. كيف يمكن أن تسهم زيارة الأربعين في نشر ثقافة السلام والتعايش السلمي؟
٢. كيف يمكن لزيارة الأربعين أن تخلق جيلاً يتكامل بانتهاء المسيرة، وكيف يمكن أن نجعل من تلك الرحلة مسيرة للتكامل الإنساني في ميادين الأخلاق والفضيلة.
٣. ما الآثار الإيجابية لزيارة الأربعينية في مجال تكريس مبادئ السلام والتعايش السلمي؟
٤. كيف يمكن أن تصدر الإمام الحسين (عليه السلام) فكراً وفلسفة ومبادئ إلى العالم؟
٥. ما المعاني الاجتماعية التي كرستها زيارة الأربعين في مجال التكافل الاجتماعي والمساواة والتلاحق الفكري والالتقاء الحضاري بين شعوب المنطقة والعالم؟

تبرز أهمية البحث في عدة من اتجاهات، أهمها:

١. أهمية تحديد المعالم الأسس للسلام والتعايش في الإسلام، ودور الزيارة الأربعينية في تجسيد هذا المفهوم.
٢. أهمية التعايش السلمي في العصر الحالي، ودور زيارة الأربعين في تكريس هذا المفهوم.
٣. الحاجة إلى دراسة متعمقة في الموضوع نفسه، تنطلق من رؤية إسلامية حقيقية تبين أصول التعايش في الإسلام، والموقف مما يُطرح في ظل العولمة.

أسباب اختيار الموضوع:

باتت مسألة التعايش السلمي في العصر الحديث من أهم القضايا التي يجب أن توليها الحكومات والمراكز الأكاديمية والدينية والثقافية والاجتماعية أهمية خاصة، بسبب تعدد الآراء والمذاهب والاتجاهات، والعالم اليوم بأمس الحاجة لإشاعة روح السلام والتعايش السلمي وإظهار الإسلام بصورته الحقيقية التي حاول البعض أن يشوهها من خلال تنصيب نفسه راعياً عن الإسلام وممثلاً له.

منهجية البحث

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة وتحليلها وتفسيرها، في ضوء منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والتراث الإسلامي لأهل البيت الأطهار سلام الله عليهم، مع الالتزام بالأصول المتفق عليها في سياقات البحوث العلمية، حيث ابتدأ البحث بمقدمة وانتهى بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.

مفهوم التعايش السلمي

هنالك حكمة إلهية في التنوع بكل اتجاهاته، فهو مصدر قوة وانبعث وتجدد، وهذه الخصائص جعلت البشر يختلفون في أمزجتهم واهتماماتهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ومن هنا جاء التنوع والاختلاف الثقافي ليكون مصدر قوة لا مصدر ضعف، ولا سبيل أمام الآخر إلا التعايش مع غيره، ويبدأ التعايش مع النفس، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن، ولا نعذبها بالكراهية والعدوانية، بل نغرس فيها شجرة الرحمة والمحبة والإيمان والسلام، ونتعايش بسلام واطمئنان مع قرابتنا وأهلنا وذوينا وأبناء مجتمعنا، فنصل ما أمر الله بوصله، ونرعاهم بالبر، ونحوظهم بالرفق والرعاية، ونعفو عن زلاتهم، ونتحمل أذيتهم، ونتسامح مع أبناء مجتمعنا، حتى إذا أخطأوا أو أذنبوا أرشدناهم برفق، ونصحناهم بلين، معتقدين بأننا مثلهم، يقع منا ما يقع منهم، وعلينا أن نرسل للعالم رسالة التعايش وتقديم رسالتنا في حلة السلام، وتعد المناسبات الدينية فرصة كبيرة لتعزيز هذا الجانب، وأي مناسبة أعظم وأكبر وأبلغ أثراً من زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي يعدّ رمزاً من رموز السلام والتعايش السلمي، لذلك إننا بمجرد اتجاهنا نحو كربلاء التضحية والإباء، نستلهم قيم الفضيلة، والإباء، وأهم تلك القيم هي التعايش السلمي.

ورد لفظ التعايش في اللغة في المعجم الوسيط: تعايشوا: عاشوا على الإلفة والمودة، وعاشه عاش معه، والعيش معناه: الحياة، وما تكون به من المطعم والمشرب والدخل، (المعجم الوسيط، ٢/٦٣٩-٦٤٠) ويرى دارسون أنّ التعايش السلمي، يعني حالة من العلاقات الدولية، تعيشها دول لها أنظمة اجتماعية متباينة، أو ذات عقائد متعادية، جنبا إلى جنب دون حرب (نصراوي، ١٩٩٧م، ص ٥-٦)، والمتفق عليه أن التعايش السلمي له جوانب متعددة، منها ما يتعلق بالعلاقات بين الدول، ومنها ما يتعلق بطبيعة العلاقة بين أبناء الشعب الواحد.

وفي الاصطلاح ثمة من يعرف مفهوم التعايش السلمي بأنه سياسة خارجية تستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب والاحتراب بصفقتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية». (مصطفى، ١٩٦٨م، ص ٢٢) والتعايش السلمي هو تعلم العيش المشترك والقبول بالتنوع بما يضمن وجود علاقة بالآخر، والسمة البارزة فيه، وجود علاقة يعترف الآخر من خلالها بوجوده، إذا لا يكفي أن يشعر الناس بانتمائهم للدولة، إلا إذا كانوا يشعرون بأن الآخرين ينتمون إليها، وكل هؤلاء الآخرين يشعرون بأن الجميع ينتمون إليها أيضاً، ومن ثم لا بد من وجود إدراك مشترك بوجود الآخر، وأن الآخر وجوده مقترن بوجودنا، والعكس صحيح. (محمد، ٢٠١٣، ص ٩٤)

وركزت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) على ضرورة تعايش (coexistence) الأجيال الحاضرة مع أجيال المستقبل في ظل أجواء يسودها السلام والأمان واحترام حقوق الإنسان والحقوق الأساسية، وترى أن على الأجيال الحاضرة، تجنب أجيال المستقبل المعاناة الناجمة من الحروب والأحقاد والضغائن من

خلال الحيلولة دون تعرضهم للأضرار الناجمة عن النزاعات المسلحة، ووضع الصيغ المناسبة، التي تحد من استخدام الكراهية ضد المبادئ الإنسانية. (نصراوي، ص ٥-٦)

وفي معنى آخر يمكن القول: إن التعايش: هو القبول بوجود الآخر والعيش معه جنباً إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به، سواء كان هذا الآخر فرداً أو حزباً سياسياً أو طائفة دينية أو دولة مجاورة، ومن الضروري الإيمان بأن الالتجاء إلى التعايش والتعاون بين الكتل والاتجاهات والمجتمعات والأقليات، وإن تباينت الآراء والأفكار مع الحفاظ على خصوصية كل جهة ومقدساتها وطقوسها.

إن مصطلح التعايش يشير في جانب كبير منه إلى قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما على وفق أسس يتم تحديدها مسبقاً، (التويجري، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٠) وهذا التعاون يتجلى على نحو واضح في زيارة الأربعين، فجموع الزائرين على اختلاف انتماءاتهم، تسري بينهم روح التعاون والمساعدة ونكران الذات.

أما التسامح (allowance) فقد تعددت المرجعيات التي يتحدد في ضوئها مفهوم التسامح، ففي اللغة العربية يكون أقرب إلى مفهوم اللاعنف، الذي يشير لما ينطوي عليه مفهوم اللاعنف من مغزى ومعنى. (البلعكي، ١٩٨٦، ص ٩٣٠)

ومن ناحية أخرى، فالتسامح مبدأ سياسي يشير إلى أن الأفراد عليهم أن يتعلموا كيف يعيشون ويسمحون لغيرهم أن يعيشوا، ومن ثم يتيحوا للآخرين ممن يعتقدون رؤى مختلفة عن رؤاهم، ممارسة الرؤى دون تدخل منهم، (وليم كلي رايت، ٢٠٠١، ص ١١٣) والتسامح هو سلوك سياسي لا يمكن فصله عن القدرة الداخلية والروحية على التحكم بالذات (مهجري، ٢٠٠١، ص ٤٠)، ولهذا يبدو أن مبدأ التسامح مشابه للاحترام

المبادل، وأن ذلك يرجع أساساً إلى الرؤية القائلة بأن أولئك الذين تتميز طرقهم في الحياة باستخفاف أو ازدراء من قبل الآخرين في المجتمع، قد لا يمنحون الحقوق نفسها المكفولة للجميع، ومن ثم لا يصبح في مقدرة التسامح حماية حقوق الجميع، إلا عندما يكون متمتزا بمبدأ الاحترام المتبادل. (مطروود، المجلد ٢٣، العدد الرابع، ٢٠١٥)

والجدير ذكره، أن مفردة التسامح لم ترد في القرآن الكريم، إنما تمت الإشارة إليه من خلال عدة من مفاهيم وصفات جاءت في الآيات المباركة، كالخلق الحسن، والصفح الجميل، والتعارف والتواضع وغير ذلك، وكذلك دور النبي محمد ﷺ في توظيف هذا المفهوم في حياته العملية، ولعل أبرز دليل على ذلك هو الصفع عن مشركي قريش. وقد أنكر الإسلام على من يستخدم السلاح في غير موضعه، وبغير وجه حق، وحرّم قتال المسلم لأخيه المسلم وترويعه بأي حال من الأحوال، وقد سجل الرسول الكريم ﷺ أروع الأمثلة في الخلق الرفيع، والصحة الكريمة، وسعة الحلم حتى مع ألد أعدائه فكان بحق قدوة حسنة، وأول من أرسى أسس التسامح والتعايش السلمي.

المؤثرات السلبية والإيجابية في عملية التعايش السلمي:

تتعرض العديد من الدول التي تمتاز بالتنوع المجتمعي الأثني والقومي والديني المتعددة إلى أزمات ومشاكل لا حصر لها، تركت آثارها السلبية في علاقاتها الداخلية، وأضفت على علاقاتها الخارجية نوعاً من الإرباك والتعثر، وهذا ينطبق على المشهد العراقي المعاصر، الذي يعاني من اختلالات سياسية ومجتمعية ودينية وثقافية وفكرية خطيرة، دلت على وجود بوادر أزمة حقيقية أخذت تنخر النسيج الاجتماعي والثقافي والسياسي، إذ تسود ثقافة الاحتراب وإن لم تكن معلنة، ومنطق العنف وفتاوي التكفير وروح الإقصاء، وسياسة التهجير القسري.

والتعايش السلمي لا يقوم بين الدول فقط، وإنما بين الشعوب أيضًا، وهنا تكمن الأهمية والضرورة معًا، إذ إن محرك السلم كمحرك الحرب تمامًا، ليس في علاقة دولة بدولة، وإنما على نحو أعمق، معناه علاقة الشعوب بعضها ببعض. (فرانسوا شاتليه، ١٩٨١، ص ٥)

هنالك عدة من عوامل تبرز عناصره، وتحدد ملامحه، تختلف من مجتمع إلى آخر، إلا إن أهمها يكمن في:

المؤثرات الاجتماعية والنفسية: ومن أبرز المؤثرات الاجتماعية التي حظيت باهتمام الباحثين، وتضم مستوى التعليم: العمر، والدين، والمكانة الاجتماعية، والسكن. إن أعظم التمايزات والتنوع في هذه المؤثرات، ولاسيما في ظل الظلم الاجتماعي، الذي يمارس من بعضها تجاه الآخر، يشكل نواة أساسا لبروز حالة من عدم التعايش، مما يستدعي البحث عن إيجاد أسس وآليات تعزز من قيمة التعايش والأثر النفسي، أو المتعلق بالشخصية حول تقدير الذات، إذ توصل بعض الباحثين إلى وجود علاقة إيجابية بين انخفاض تقدير الذات والتعصب السياسي، ومن ناحية أخرى، إن الشخصية السلطوية وما يتصل بها من خصائص وسمات، ترتبط ارتباطاً إيجابياً بالتعصب السياسي، والخلاف صحيح. وكلما قوي الارتباط النفسي للفرد في الحياة السياسية، كان أكثر مشاركة فيها، الشيء الذي يجعله يعبر عن هويته السياسية أكثر، هذه الهوية لا تتطلب توافر الحد الأدنى من الاهتمام السياسي، وإنما تتطلب أيضًا ارتفاع درجة الوعي السياسي للفرد.

من أبرز مؤشرات التعايش السلمي، ومن أكثرها إثارة للجدل، نمط الثقافة السياسية السائدة، الذي يعدّ محدّدًا جوهريًا لمستوى وشكل ونمط التعايش، فحينما تسود الثقافة المدافعة للنظام، تزداد احتمالات التعصب السياسي، والخلاف صحيح، وهي جزء من الثقافة العامة للمجتمع، فالثقافة السياسية تجد مصادرها في الميراث التاريخي للمجتمع،

وفي الأوضاع السياسية والاقتصادية والأيدولوجية السائدة في المجتمع أيضًا

المؤثرات السياسية هي المعايير المرتبطة بالجودة السياسية، والأداء الديمقراطي، الذي يُعبّر عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية، السياسية والوظيفية للنظام السياسي من حيث تكريسه لمفهوم مركزية حقوق الإنسان وحياته العامة، وتلبية للحاجات التنموية الأسس للمواطن في فلسفة الحكم، والمشاركة والرقابة والشفافية والمساءلة، وقدرة هذا النظام على تمكين المجتمع المدني من نيل حقوقه على وفق دستور جامع بين الرشد والعقلانية السياسية والعدالة التوزيعية.

يُعرفها بعض بأنها قدرة المحكومين في نظام سياسي على ممارسة نفوذهم للتأثير في الحكام عند اتخاذهم القرار السياسي. ويصفها (دافيد إيستون) بكونها تمثل قوى التأثير، والضغط، المنتشرة في مختلف المواقع في المجتمع؛ وهي التي يعتمد عليها النظام تلقائيًا في الأحوال العادية، والتي تكون فيها توقعات الأفراد متسقة مع طبيعة الأدوار السياسية التي يقومون بها، أما في الأحوال غير العادية، والتي تبدو فيها المشاركة الشعبية مجرد وهم، وكما أوضحت الاختلافات الفكرية والسياسية وتوزيعها اجتماعيًا بين الحركة الشعبية والمؤتمر الوطني، فأدى إلى زيادة حدة الصراع واستمراره على الرغم من الانفصال، مما يعكس قدرة الحركة وقوة نفوذها في المناطق الحدودية.

مفهوم ثقافة السلام

يأتي السلام (peace) اشتقاقاً في اللغة العربية من المصدر (سلم)، ويعني الأمان والعافية والتسليم والسلامة والصلح، ويعني السلام اصطلاحاً حالة التوافق والراحة التي تتوافر بين طرفين أو مجموعة أطراف بما يحقق الانسجام ويدرك العداءة. ويقصد بالسلام أيضاً حالة الوئام والاستقرار التي تسود المجتمع من أصغر تكويناته (الأسرة) إلى أكبرها (المجتمع الدولي)، بما يتيح التطور والازدهار للجميع، وتشير الأدبيات إلى المعنى الاصطلاحي للسلام بأكثر من تعريف، فقد تطور المفهوم من معناه السلبي قديماً، الذي كان يربط السلام بغياب النزاعات والحروب والصراعات، ليتسع ويشمل فعلاً إيجابياً يربط السلام بإيجاد العدل الاجتماعي، والقضاء على الاستغلال والفساد. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، ٢٠١٧، ص ٦)

تتكون ثقافة السلام من القيم والمواقف، وطبيعة السلوك الإنساني التي تركز على عناصر عدم العنف، وتحترم الحقوق الأسس، وحرّيات الآخرين. ولقد تم تحديد هذه الحقوق في ميثاق حقوق الإنسان. وثقافة السلام هي تحويل التنافس العنيف إلى تعاون في مجال تحقيق الأهداف.

ويرتبط السلام بالنواحي التالية :

١. التنمية والأمن الاقتصادي
٢. الديمقراطية والأمن السياسي
٣. نزع السلاح والأمن العسكري
٤. الكفاءة والحوار السياسي
٥. تطوير التماسك الدولي

والقيم العالمية لثقافة التعايش السلمي تحدد بالآتي:

١. تؤكد ثقافة السلام أن الصراعات المتوارثة بين الناس، يمكن حلها بعيداً من العنف
٢. السلام وحقوق الإنسان، مسألة فردية مكفولة لكل فرد
٣. بناء ثقافة السلام مهمة تعددية تطلب تضافر كل الناس في القطاعات
٤. ثقافة السلام امتداد للعملية الديمقراطية
٥. تطبيق السلام مشروع يتم من خلال كل أنواع التعليم الرسمي وغير الرسمي وكذلك الاتصالات
٦. يمكن لثقافة السلام التطور والنمو من خلال تطور الإنسان المرتكز على الاستقرار.

البعد التاريخي لزيارة الأربعين

ان زيارة الأربعين هي من خصائص الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ لم يرد استحباب زيارة أحد من الأنبياء والأوصياء والأولياء في يوم الأربعين بعد وفاته أو شهادته، بينما ورد النص في استحبابها للإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين، وهذا من خصائصه (عليه السلام)، وما أكثر خصائص الإمام الحسين (عليه السلام) من قبل ولادته، ويومها، وخلال حياته الكريمة، ويوم شهادته وبعدها، وإلى يومنا هذا (تاج الدين، ١٤٢٦ هـ، ص ٣).

روي أن أول من زار الحسين يوم الأربعين، هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه) يقول عطية: كنت مع جابر بن عبد الله يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرة - أي: كربلاء - اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً. ثم ذكر الزيارة التي زار فيها الإمام الحسين (عليه السلام). (المجلسي، ج ٩٨، ص ٩٨، ٩٩)

وجاءت الروايات بأسانيدھا الصحيحة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) بأن الله عوّض الحسين عن شهادته وتضحّيته (بأن كان الشفاء في تربته، وجعل الأئمة من ذريته، واستجابة الدعاء عند قبته)، و(أن الله ينظر إلى زوار قبر الحسين عشية عرفة، قبل أن ينظر

إلى حجاج بيته الحرام)، ذلك لأن الحسين حفظ حرمة البيت الحرام، فقد قال لابن عباس عندما خرج من مكة المكرمة قبل أن يتم حجه: يا ابن عباس، لو لم أخرج لهتكت حرمة البيت، وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، فكأنما زار الله في عرشه (النوري ١٠: ١١٥)، وفي حديث آخر (... كتبه الله في أعلى عليين). (الصدوق: ١١٠)

وأمثال هذه كثير وكثير، فكانت الشيعة ولا تزال، تقصد زيارة قبر الحسين عليه السلام من البلدان النائية والأقطار البعيدة، فدأب الأئمة عليهم السلام في الدعاء للزائرين، فمن دعاء طويل للإمام الصادق عليه السلام في سجوده، نقتطف هذا المقطع، ليتبين لنا مدى الاهتمام الذي أولوه لهذه الشعيرة، والدعوة إليها، يقول عليه السلام: (اللهم اغفر لي، ولإخواني، وزوار قبر الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا أدخلوه على نبيك).

زيارة الأربعين رحلة إعلامية تدعو للتعايش السلمي

يتسع الإسلام المحمدي الأصيل لجميع الناس، ولا شك أن العصر الحالي، يمتاز بتهادي الحدود المكانية والزمانية، وتلاشي المسافات، إذ تحول العالم إلى قرية صغيرة، وامتاز بالتطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال والانتقال، إذ أصبح الإنسان قادراً على أن يرى ويسمع ما يدور في أرجاء المعمورة، في مدة متزامنة مع الحدث، ومن المعلوم إن الشريعة الإسلامية السمحاء، توازن بدقة بين ثوابت الشريعة، ومتغيرات العصر، وتؤمن بوجود التعددية الدينية والمذهبية، وإن روح الإسلام في التعايش والتسامح والإنسانية. (خليل، ٢٠١٥، ص ١)

مما لا شك فيه إن زيارة الأربعين وسيلة إعلامية قوية يمكن أن تسهم إسهاماً فاعلاً

وقويا في بلورة أطر التعايش السلمي والمجتمعي، وتعزيز ثقافة التسامح بين الناس، لأن التسامح بمفهومه العام والخاص، من أهم الأدوار التي يجب أن يضطلع بها الإعلام الهادف.

إن زيارة الأربعين، بمفهومها الإعلامي، مؤسسة إعلامية تطبيقية متنقلة تستمر عدة من أيام، وتقام سنويا، ولا يخفى أن الإعلام التطبيقي هو الأقرب إلى المتلقي بحسب آراء علماء الإعلام، والباحثين فيه، ومن الممكن أن يسهم هذا الإعلام المتنقل، والذي يستمر أيام متعددة في نشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي، وإبعاد المجتمع عن حالات التصدع والانحلال. (مطروود، المجلد ٢٣، العدد الرابع، ٢٠١٥)

آثار التعايش السلمي في زيارة الأربعين

التعايش السلمي وتقبل الآخر، سلوك إنساني لا يمكن فصله عن القدرة الداخلية والروحية على التحكم بالذات، وقد طرح النبي الكريم ﷺ وأهل بيته الأطهار، قيم العدل الاجتماعي وخطوطه العريضة ومبادئه على ثلاثة مستويات، في أولها قدم لنا مبادئ ونظريات وقواعد يمكن أن يبنى المشرع الإسلامي عليها - كما حدث فعلا في صدر الإسلام- عمارات فقهية شاحخة في ميدان العدل الاجتماعي، مستمدا قدرته على العمل من روح هذه المبادئ والنظريات والقواعد، مهندسا اجتهاداته على وفق مساراتها واتجاهاتها، واستنادا إلى ما تقدم فإن الزيارة الأربعينية بأبعادها واتجاهاتها المختلفة أسهمت في تطبيق تلك المبادئ والنظريات والقواعد، وهناك عدة من فوائد، يمكن للمتتبع والباحث تسجيلها من خلال المسيرة المليونية للزيارة الأربعينية، استطعنا ملاحظتها من خلال المشاهدة والمعاينة والتحليل الموضوعي، وهي تشير وتنم عن مظاهر التعايش السلمي والمجتمعي .

ان زيارة الأربعين هي عنوان التعايش المجتمعي، فالناس بمختلف جنسياتهم يتجهون نحو مكان واحد هو كربلاء المقدسة، لا فوارق بينهم، وتذوب عندها الخلافات السياسية والقومية والحزبية والمذهبية وجميع الانتماءات، يعرفون أن هدفهم الأكبر هو التزود بالحب والتسامح، وفي زيارة الأربعين أنموذج حي ورائع وفريد للتعاون، وفي هذه التظاهرة المليونية تتحطم كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية، حتى أننا نرى من يتخاصم بالأمس، يياشي من تحاصم معه.

لا يختلف اثنان في أن زيارة الأربعين، زيارة إيمانية سامية، عقدية المضامين في كل قيمها النورانية، وكانت تمثل لكل زائر مؤمن، إفاضات إلهية عظيمة تعطيه زخماً عالياً في التزود بالإيمان والتوحيد وهي مسألة مهمة يجب أن يتزود منها العبد المؤمن في وقتنا الحاضر، في ضوء ما يواجهه المسلم، وكل العباد، من تحديات تريد النيل من إيمان العبد، وحرفه عن وجهة ديننا الحنيف، الدين المحمدي الأصيل، الذي لا لبس فيه ولا غموض، وهو دين الحق والإنسانية، لتصبح زيارة الأربعين هذه محطة توقف مهمة للمؤمنين، ولا شك أن أهم محطات الدين الحنيف هو السلام والتعايش السلمي.

تؤدي الزيارة الأربعينية دورًا في التلاحق الفكري والالتقاء الحضاري والتكافل الاجتماعي، فضلاً عما تحمله هذه الشعيرة من معاني روحية ونشاطات إيجابية ونفحات نورانية؛ والتلاحق الفكري والتواصل المعرفي أحد أهم الركائز، التي بنيت عليها الحضارات في شرق الأرض وغربها، وسبب أساس في التعايش السلمي، وزيارة الأربعين توفر فرصة لالتقاء شتى الحضارات الشرقية منها والغربية، بما يكفل لكل زائر أو صاحب موكب أن يخرج بحصيلة معرفية متنوعة المصادر، ففيها تجد الشرقي والغربي من شتى الأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية في حالة من التوائم والتعايش، تكفل تحقيق هذه الثمرة، إن تم رعايتها على النحو المطلوب، زد على ذلك أنها تمثل نقطة تلاق بين الشيعة أنفسهم، من شتى بقاع العالم، وبين مبادئهم الإنسانية، التي تم اختصارها بنقطة تدعى طف كربلاء.

إن الطاقة الروحية، التي تدفع الناس لزيارة الأربعين، والمشي أياماً وليالي يمكن أن تدفعهم لنشاطات إيجابية أخرى، ومنها تقبل الآخر، والتعايش معه، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

يعد التطوع من أجل الخير، من أهم ركائز السلام والتعايش المجتمعي، وهذا ما تكرسه زيارة الأربعين، فهذه الشعيرة تجسد مفهومين في غاية الأهمية، هما فعل الخير، والتطوع من أجل الصالح العام، والإيمان بقضية عادلة، ونموذج إنساني في غاية القدسية، إذ إن فكرة العمل التطوعي، قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة، وتقدمها، فما أحوج بلداننا إلى تفعيل هذه الثقافة. وزيارة الأربعين بما لها من خلفية دينية عاطفية فكرية، تملك من الحركية والباعثة على العمل التطوعي، قدرا يفوق كل الإمكانيات المؤسساتية العالمية في هذا المجال، فعلى مدى آلاف الكيلو مترات، ومن جميع الاتجاهات المؤدية إلى كربلاء، عدة من أيام، تجد الشبيبة

والشباب، الرجال والنساء في حركة متواصلة، يبذلون جهوداً جبارة، وأموا لا طائلة عن قناعة وإخلاص دون أدنى تدمير أو إحباط، ودون أي أجر مادي دنيوي في قبال ما يبذلونه

تحقيق المساواة: تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيل في الشريعة الإسلامية، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره، قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية أو الفارسية أو الرومانية، إذ كان سائداً تقسيم الناس على طبقات اجتماعية، لكل منها مزاياها وأفضليتها، أو على الخلاف من ذلك، تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدني. ولقد كانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وما زالت تلك التفرقة شائعة في بعض المجتمعات، ويعامل الإنسان على أساسها، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات - كالمجتمع الهندي مثلاً - كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرماً على أفراد الطبقة، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك. ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً، بل أكدته عملياً بجملة أحكام وتعاليم، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس؛ من ذلك العبادات الشعائرية، التي فرضها الإسلام، وجعلها الأركان العملية، التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج.

إن الطريق العام نحو كربلاء، يحفل بجمع كبير من المؤمنين على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ومهنهم وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، فلا فرق بين غني وفقير، فالجميع يرنو بعين التطلع والشوق نحو قبلة الإحرار أبي عبد الله الحسين، وهذا الشعور بحد ذاته يجسد هدفاً مهماً من أهداف الشريعة الإسلامية، التي جاءت لتحقيق المساواة بين بني البشر، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ومن هنا فطريق الحسين هو طريق المساواة بين البشر.

الشعور بأهمية الأهداف المشتركة التي تجمع المسلمين على اختلاف مذاهبهم، إذا إن التجمع الكبير للمؤمنين، والشعور بوجود هدف سام، وشخصية إسلامية، تعد امتدادا لرسول الإنسانية، وتعد قدوة موحدة لكل المسلمين، من الأمور التي تعزز الوحدة الإسلامية، والمسير إلى كربلاء الحسين، يثير مشاعر الفخر والاعتزاز بالانتماء لشخصية إسلامية، يمكن النظر إلى الإسلام الحقيقي من خلالها، فالحسين عليه السلام المرآة الحقيقية للإسلام المحمدي الأصيل، المنقى من الشوائب، فلا عجب أن تحارب الحسين الفئات الضالة والمنحرفة، لأنه الترجمان الحقيقي للإسلام.

تعزيز روح التضحية والفداء: إن البشرية جمعاء، على مدى العصور، في مختلف أنحاء الأرض، وعلى تنوع واختلاف مذاهبها ومشاربها ومعتقداتها، تعظم وتقدس المجاهد والمضحي والمقتول والشهيد دفاعاً عن مقدساته من الأرض والوطن والشعب والمعتقدات. وتقدس من وقف في وجه الظالم دون أن يملك القوة اللازمة المادية لمواجهة حتى يُقتل، وتقيم لمثل هذا الشخص التماثيل، والاحتفالات السنوية بذكره، إذ يُعد عنواناً للحرية والكرامة لأمته، يُتحدى به، وتسجل بطولاته في تاريخ الأمة، لتعلم الأجيال، إذ إن الأمم ترى أن الوطن يستحق أن يقتل المرء من أجله، وتدعو أفراد هذا الوطن للتهيؤ والاستعداد لهذه التضحية العظيمة، التي هي السبيل الأسمى، لتحقيق النصر، وهزيمة العدو. إن المسير إلى كربلاء، يحمل في طياته مخاطر كبيرة في الوقت الحاضر، فالجموع المليونية المتجهة نحو قبلة الشهادة، هدف مهم للجماعات الإرهابية، التي يسيل لعبها مع اقتراب أربعينية الإمام الحسين صلوات الله عليه، لذا كان المسير نحو قبلة الشهادة، يحمل في طياته عنوانات الفداء، وبذل النفس.

العطاء المادي: لا يمكن لأي مؤسسة حكومية أن توفر المأكل والمشرب والمبيت لملايين الزائرين، مهما اجتهدت تلك المؤسسة وتعددت مصادرها المادية، لكن الأمر

مختلف تمامًا بالنسبة لزائري الأربعين، فالطعام والشراب والمبيت متوافر للجميع، ناهيك عن الخدمات الكمالية الأخرى، التي ربما لم تتوفر للزائر في معظم أيام السنة، والمتتبع يرى آلاف المواكب على امتداد طريق العشق الحسيني من أقصى مناطق الجنوب، حتى قبلة العاشقين كربلاء الصمود.

إن التكافل الاجتماعي قيمة إنسانية قبل أن تكون مبدأ دينياً، فالشارع المقدس قننها وأرشد إليها، ولكن لم يكن مؤسساً في تشريعها؛ ويعد هذا المبدأ من أهم المبادئ، التي تضمن للإنسان حد الكفاف على أقل التقادير بما يمنحه حياة كريمة بعيدة من الذل والامتهان، لذا أتصور أنها أهم مبدأ تفتقر له مجتمعاتنا اليوم.

إثارة الرعب في نفوس المغرضين: إن ملايين الزائرين الموحدين المتجهين نحو هدف واحد، يثير الرعب في نفوس الأعداء، ويبعث لهم رسالة مهمة مفادها أن المسلمين كالبنين المرصوص، وأن محبي آل البيت، وإن اختلفوا في جزئيات الأمور إلا إن مشتركاتهم أكبر واعظم، وأن الإسلام المحمدي الأصيل وإن قلت أعوانه باق على امتداد الزمن، ولا شك أن هذا الذعر والخوف من تلك التجمعات المليونية، يمكن رصدها من خلال التجاهل المتعمد لتلك الزيارة، التي لا تضاهيها أي زيارة أو تجمع عالمي أو عربي أو إقليمي، وهو ما أشارت إليه بعض المؤسسات العالمية غير الحكومية.

للزيارة الأربعينية آثار اجتماعية أخرى: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). إن المتتبع للزيارة الأربعينية، يلحظ فوائد اجتماعية متعددة، فهناك مشاريع للزواج والتعارف بين الأسر من مناطق متعددة، واتجاهات مختلفة، وهناك مشاريع عمل، واستثمارات، وقضاء لحوائج الناس، ولا يقتصر التعارف على أبناء البلد

الواحد، فهناك العديد من الزائرين من الدول العربية والإسلامية، وهو أمر يدعو إلى امتزاج الثقافات والمعارف.

تكريس ثقافة التكافل الاجتماعي: إن زيارة الأربعين عندما تجمع بين العمل التطوعي من جهة، والعطاء المادي والروحي اللامحدود ودون مقابل من جهة أخرى، تبلغ ذروة التكافل، التي لم تبلغها المؤسسات الدولية فضلاً عن غيرها، إذ من أهم السمات التي يكتسبها الإنسان في زيارة الأربعين، هي سمة العطاء، الذي يورث خصالاً أخلاقية وإنسانية كثيرة، من قبيل الكرم والجود والإيثار، وتغيب البخل والأنانية والحب المفرط للذات.

القضاء على التمييز العنصري، وتكريس ثقافة المساواة والتواضع، والتذكير بالأخوة الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة. ويعد التمييز العنصري على أساس اللون والعرق والجنسية والانتماء الفكري الديني، من أبرز اللعنات التي أصابت المجتمع البشري عامة شرقاً وغرباً حتى أن الدول الحديثة على الرغم من تسارع عجلة التقدم والتطور فيها، ورغم ما شرعته من قوانين للحيلولة دون هذا التمييز، لا زالت نشرات الأخبار تطل علينا بين الفينة والأخرى، بأحداث مروعة من عنف مادي ومعنوي فيها بسبب العنصرية، رغم التكتّم الإعلامي الشديد.

إن زيارة الأربعين بما تستمدّه من الإمام الحسين (عليه السلام) من قيم دينية ومبادئ إنسانية ورصيد فكري رصين، تمكنت من إذابة جميع الفوارق العنصرية بين الحشود المليونية الزاحفة إلى كربلاء، إذ تجد فيهم شتى الجنسيات والقوميات والأديان والاتجاهات الفكرية، وتجد الأسود والأبيض وقد تساوى الجميع في (الملبس، والمطعم، والمجلس، والنام، والخدمة.... الخ) بل يسير بعضهم إلى جنب بعض في أجواء مشحونة بالأخوة والمحبة ونكران الذات، وكأنهم تخلّوا عن جميع الفوارق، وانتزع الغل من قلوبهم، بمجرد أن وضعوا أقدامهم على طريق كربلاء، حتى يبلغ ذلك ذروته، عندما تجد أن

هذه القوميات والأعراق والألوان، كل منها، يفتخر بأن يكون خادما للآخر بروح ملئها المحبة والعطاء .

تمنح زيارة الأربعين، الكثير من القيم الإنسانية، التي تساعد في بناء مجتمع متماسك وتمنحه القدرة على الثبات بوجه كثير من المزالق، ومن هذه القيم (ترسيخ الإيمان، والحرية، والعدالة، والصبر)

تعد زيارة الأربعين فسحة للتعبير عن عاطفة ممزوجة بالفكر والتعقل، مما يثمر نضجا في المنهج الإيماني والإنساني على حد سواء.

وأخيرا لا يخفى أن زيارة الأربعين تكتنز قيما ومبادئ اجتماعية أخرى، سواء التي ذكرتها، أو التي لم أذكرها، كل واحدة منها تتطلب بحثا مفصلا على حدة، لا يسعه المقام.

الاستنتاجات والتوصيات

مما تقدم يتضح لنا بجلاء أن للزيارة الأربعينية دوراً في نبذ العنف وتعزيز روح التسامح والتعايش الإيجابي، بوصفه ركناً شاملاً وأساساً، ومن الأهداف التي ترمي إليها التربية الإسلامية، وتعاليم أهل بيت النبوة. وتعد الزيارة الأربعينية تظاهرة مليونية كبرى تعزز جوانب التعايش السلمي من محاور متعددة، أبرزها أن الإمام الحسين (عليه السلام) أهم رموز التعايش السلمي، بل هو رمز مهم للسلام.

يوصي البحث بتكريس التسامح في الحياة السياسية والاجتماعية، ففي ظل التعدد في التركيبة المجتمعية الموجودة في مجتمعاتنا، فإنه لا بد من تقبل الآخر. والعمل على تأصيل مبدأ التسامح، لا يعني التأصيل النابع من ناحية المفهوم، وأولوية السبق المصطلحي.

يجب ان يركز القائمون على الإعلام الحسيني، وهم يرسلون رسائلهم إلى العالم، على القيم الحسينية الأصيلة التي تنحو إلى الاعتدال، وتبتعد على نحو كلي عن العنف، واعتماد خطاب اللين والمسالمية والمحبة والارتقاء بالخطاب الإعلامي الحسيني من خلال التسليح بمبادئ الفكر الحسيني الخالد.

أولى الأئمة المعصومون (عليهم السلام)، زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) عناية كبيرة، واهتماماً خاصاً من خلال منظومة من الأحاديث، وحثوا شيعتهم على أداء هذه الشعيرة المقدسة، وتأكيداً في كثير من الموارد.

يجب أن تكون زيارة الأربعين، فرصة لاستنهاض كل القيم والمبادئ والأهداف الحسينية، التي استشهد من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وأصحابه الأخيار، وعدم اختزال القضية الحسينية بأمور جزئية، بل يجب الحفاظ على جوهر النهضة الحسينية، وإحياء القيم الكبرى والأهداف العظيمة التي من أجلها ضحى الإمام الحسين (عليه السلام) بالنفس والنفس.

من خلال ملاحظة الباحث، وقراءته للواقع، يتضح جلياً أن طريق الحسين (عليه السلام)، هو طريق المساواة بين البشر، وهناك فوائد وإيجابيات روحية واجتماعية واقتصادية ونفسية عديدة.

هناك العديد من المستوطنات البشرية، التي نمت وتطورت بفعل وقوعها على الطرق الرئيسية، التي تصل إلى كربلاء.

يوصي الباحث بإنشاء محطات خدمية في المناطق الصحراوية البعيدة من المراكز الحضرية، ويتطلب الأمر أيضاً إنشاء طرق خدمية بغية المحافظة على أرواح الزائرين، وعدم التأثير في سير المركبات.

تأكيد نبذ ومحاربة الإرهاب من خلال الإجماع الوطني لجميع مكونات المجتمع.

الارتقاء بوعي مكونات المجتمع العراقي، من خلال القنوات والوسائل المتعددة، وذلك من خلال توعيتها بالأساليب الصحيحة للتنشئة الاجتماعية – السليمة، التي تعد ركناً مهماً للتعایش المجتمعي، بما يجعلها أكثر وعياً ونضجاً واستيعاباً لمتغيرات الواقع الاجتماعي.

تؤكد زيارة الأربعين مفهوم الهوية الوطنية العراقية، وهذا جانب ليس باليسير، وهي بلا شك مهمة صعبة، فالحسين (عليه السلام) لكل العراقيين، بمختلف انتماءاتهم ومذاهبهم، بل هو لكل المسلمين ولكل العالم، لأن المنهج الحسيني، شعلة تنير الطريق أمام الثائرين على الظلم حيثما كانوا في أي زمان ومكان.

يوصي الباحث بضرورة استثمار مفاهيم الثورة الحسينية، والانتفاع منها فكرياً وروحياً، للوصول إلى الكمال الإنساني، ولتكون منهاجاً عملياً على أرض الواقع، فلا نجعل المسير إلى كربلاء فعلاً قصدياً فقط، بل نجعل منه فعلاً ذا أهداف سامية وقيم

إنسانية ومبادئ حقّة، كالتضحية والتسامح والإيثار والسخاء والتكافل الاجتماعي وتعزيز التعايش السلمي بين الناس على الرغم من اختلاف ثقافتهم وأفكارهم، ولا بد أن نستثمر مفاهيم الثورة الحسينية والانتفاع منها فكرياً وروحياً للوصول إلى الكمال الإنساني ولتكون منهاجاً عملياً على أرض الواقع، فلا نجعل المسير إلى كربلاء فعلاً قصدياً فقط، بل نجعل منه فعلاً ذا أهداف سامية، وقيم إنسانية، ومبادئ حقّة، كالتضحية والتسامح والإيثار والسخاء والتكافل الاجتماعي وتعزيز التعايش السلمي بين الناس على الرغم من اختلاف ثقافتهم وأفكارهم، وتأكيد أهمية التخلق بأخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

إن الزيارة الأربعينية بما تحمله من مضامين اجتماعية وفكرية وثقافية بها حاجة إلى دراسات معمقة، سواء دراسات تطبيقية قائمة على الاستبيانات أو دراسات نظرية، لذلك يوصي البحث بإقامة المؤتمرات المتعلقة بهذه التظاهرة المليونية على نحو دوري.

قائمة المصادر

١. البعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦، ص ٩٣٠.
٢. تاج الدين، مهدي، النور المبين في شرح زيارة الأربعين، دار الأنصار للنشر، مطبعة باقري، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ
٣. التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨
٤. خليل، حمد ضياء الدين، موقف الشريعة الإسلامية من التنوع الثقافي والتعايش السلمي -دراسة تطبيقية، المؤتمر الدولي الثامن، طرابلس، ٢٠١٥.
٥. رايت، وليم كلي، تأريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠١
٦. شاتليه، فرانسوا، أيديولوجيات الحرب والسلام، ترجمة: جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١.
٧. العثمان، باسم عبد العزيز وحسين عليوي ناصر الزيايدي، الجغرافية الاجتماعية مبادئ وأسس وتطبيقات، دار الوضاح للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤.
٨. الكردي، محمود فهمي وآخرون، الدوحة: المدينة الدولة - دراسة اجتماعية ميدانية، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٥
٩. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨.
١٠. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، طبعة دار الفكر
١١. مصطفى، حسين فهمي، التعايش السلمي ومصير البشرية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٦٨ م
١٢. مطرود، احمد جاسم، دور المؤسسة الإعلامية في شر ثقافة التسامح -دراسة تحليلية،

- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد الرابع، ٢٠١٥.
١٣. مهجري، عطا الله، التسامح والأعنف في الإسلام، ترجمة سالم كريم، رياض الرئيس للنشر، بيروت، ٢٠٠١
١٤. نصرأوين، عدنان، اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر، مطبعة الدستور التجارية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م
١٥. وليم كلي رايت، تأريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠١
١٦. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، دعوة إلى السلام عن ثقافة السلام والأعنف والتسامح ومفاهيم أخرى، القاهرة ٢٠١٧

نظرية التعلم الاجتماعي وأثرها في تنمية حب الحسين (عليه السلام) الزيارة الأربعينية أنموذجاً

أ.د. ابتسام سعدون النوري

أ.م.د. نيران يوسف جبر

الجامعة المستنصرية/كلية التربية

dr20072013@yahoo.com

ملخص البحث

استهدف البحث تعرف دور نظرية التعلم الاجتماعي في تنمية حب الحسين اثناء الزيارة الاربعينية، وقد اشتمل البحث على اربعة فصول :

١. الفصل الاول

مشكلة البحث واهمية فضلا عن تحديد مصطلحاته .

٢. الفصل الثاني

فقد تضمن على محورين، المحور الأول: مفهوم نظرية التعلم الاجتماعي، التقليد والمحاكاة، اما المحور الثاني - كيفية اكتساب حب الحسين وفق نظرية التعلم الاجتماعي، المحور الثالث نواتج التعلم الاجتماعي.

٣. الفصل الثالث

مراحل التعلم الاجتماعي

٤. الفصل الرابع

فقد تضمن التطبيقات التربوية لنظرية التعلم بالنمذجة من قبل المعلم في صورة توجيهات، فضلا عن الاستنتاجات - والتوصيات والمقترحات الكلمات المفتاحية: نظرية التعلم الاجتماعي، التعلم الاجتماعي

Social learning theory and its impact

In developing the love of Hussein (peace be upon him).

alziyarat al'arbaeinia model

Professor Dr. Ibtisam Saadoun Al-Nouri

Assistant Professor Dr. Niran Yousef Jabr

Al-Mustansiriya University / College of Education

dr20072013@yahoo.com

Abstract

The research aims to explore the role of social learning theory in developing love for Imam Hussain during the Arbaeen pilgrimage. It consists of four chapters:

Chapter one introduces the research problem, its significance, and defines the relevant terms.

Chapter two is divided into two main axes: the first axis defines the concept of social learning theory, imitation, and modeling, while the second axis explains how love for Imam Hussain can be acquired based on the principles of social learning theory. It also explores the outcomes of social learning.

Chapter three focuses on the stages of social learning.

Chapter four includes educational applications of modeling based on social learning theory, where teachers play a role in providing guidance. It concludes with the research findings, recommendations, and proposals.

Overall, the research delves into how social learning theory contributes to fostering love for Imam Hussain during the Arbaeen pilgrimage and offers practical educational applications for teachers to apply these principles effectively.

Keywords: social learning theory, social learning

الفصل الاول

مشكلة البحث

يعد التقليد مهارة معقدة يحتاج فيها الطفل إلى رؤية الشخص البالغ وهو يتصرف ويستوعبه ويترجمه إلى فعل ثم ينفذه من خلال مهاراته الحركية، فعندما نشاهد طفلاً يقلد الآخرين، يجب أن نفكر في الشخص الذي يقلده لفهم السبب، على سبيل المثال، إذا كان طفلك يقلد أختاً أو صديقاً أكبر منه قليلاً، فقد يكون ذلك لأنه معجب به أو يحبه ويراه مثلاً يقتدي به (العتوم، ٢٠١٤: ٧٦).

هذا ما تؤكده نظرية التعلم الاجتماعي على أن الناس يتعلموا سلوكيات جديدة من خلال التعزيز المباشر أو العقاب، أو التعلم من خلال مراقبة المجتمع من حولهم، عندما يرى الأفراد نتائج إيجابية ومرغوبة للسلوك الذي يلاحظونه (من قبل الآخرين)، فمن المرجح أن يقلدوا ويتبنوا هذا السلوك (زيدان، ٢٠١٦: ٩٨).

والسير على طريق الحسين في الزيارة الأربعينية من أروع الدروس التي يمكن أن يتعلمها الأطفال من خلال مشاهدتهم للسلوك الجمعي في هذه المناسبة (يحفوفي، ٢٠١٩: ٥٤)

كما أن من المرجح مشاركة سلوك الآخرين والذي يؤدي تعزيز السلوك بنتائج إيجابية إلى تكراره لذلك إذ ترى هذه النظرية أن التأثير على السلوك لا يقتصر فقط على العوامل النفسية، ولكن العوامل المحفزة والعوامل البيئية تلعب دوراً في ذلك (العتوم، ٢٠١٤: ٣٣).

وترى الباحثان أن من العوامل البيئية التي تلعب دورا كبيرا في تقليد الأبناء سلوك الآباء هو حب الحسين وماله من نتائج وأثار نفسية في نقل هذا الحب للأبناء من خلال مشاهدة الأبناء لسلوك آبائهم وأسرهم في بذل الغالي والنفيس وتقديمه قربه لوجه الله لذا فان الأطفال في سن الرضاعة لديهم عادة تقليد والديهم، وغالبًا ما تراهم يقلدون تعابير الوجه التي يقوم بها آباؤهم عندما يتسمون أو يبرزون لسانهم في وجهه، وعندما يفعل الأطفال ذلك فإنهم في الحقيقة يتعلمون ويحاولون التواصل معك عن طريق لغة جسدهم (زيدان، ٢٠١٦: ١١).

وتأسيسا لما تقدم تتجلى مشكلة البحث الإجابة عن التساؤل التالي هل لنظرية التعلم الاجتماعي دورا في تنمية حب الحسين في نفوس الأطفال؟

أهمية البحث

يعد التقليد في هذه المرحلة جزءاً مهماً من عملية النمو ويجب تشجيعه لأنه يفتح مجالاً مهماً من التطوير والتفاعل، كما أن الطفل الذي يقلد الأطفال الأكبر سناً والبالغين يتعلم أيضاً مهارات جديدة منهم (زيدان، ٢٠١٦: ١١)، ويرى تارد (Tard, 1904) أن التعلم الاجتماعي يحصل على أربعة مراحل:

١. الاحتكاك الشديد

٢. تقليد المشرفين

٣. فهم المبادئ

٤. سلوك المثل الأسمى

كما يتكون التعلم الاجتماعي من ثلاثة أجزاء: الملاحظة، والتقليد، والتعزيز (زيدان، ٢٠١٦: ٢٢).

اقترح جوليان روتر (Ruter, 1954) أن تأثير السلوك يلعب دوراً في دفع المرء إلى اتخاذ إجراء تجاه هذا السلوك، فالناس تنفر من النتائج السلبية، بينما ترغب الإيجابية (الزغلول، ٢٠١٠: ٤٤)

وعندما يلامس الحب ذرات الكون يتغير كل شيء، فقد جعله الله «أساس الكون» لأجل استمرارية الحياة، فلولا الحب لم نجد أي شيء قائم كما يجب، إنه إكسير الحياة وهو المنبّه للخلايا الميتة، والسبب الأهم لنجاح المشاريع والتفوق، ولولا الحب لما كانت هناك علاقة بين البشر مع بعضهم، ولما تحملت أية أنثى أعباء الحمل وصعوبات الرضاعة والتفاني لأجل المولود الجديد، ولما كان أي رجل أن يتحمل أعباء المصاريف الكثيرة، والكد من الصباح حتى المساء لأجل أسرته، لذا فإن الحب هو القوة الدافعة ومزود الطاقة للجسد البشري

كذلك يعد الحب هو السبب الذي يدفع أي شخص مهما عظم مقامه إلى الخضوع والانحناء أمام جلالة اسم «الحسين»، فالحب يجعله يترك فراشه الجميل والمريح لينام على الرصيف رغبة بزيارة الحبيب، ويجعله ينسى البرد القاسي في الشتاء، ولا يعبأ بحرارة الشمس في الصيف ليخطو خطواته بثبات نحو المحبوب، ويجعله يتجشم عناء السفر وعدم الراحة شوقاً لرؤية مولاه سيد الشهداء (كاظم ومطر: ٢٠١٩).

والحب هو الذي يدفع بالإنسان ليركن العنصرية جانبا، وينسى الغرور الذات، ويبدأ بخدمة الجميع بنفس المستوى من دون تفرقة بين شخص أو آخر، على أساس العرق أو الدين، أو الغنى والفقر وما شابه

إن هذا المستوى من الارتقاء هو الذي يليق بزائر الحسين (عليه السلام)، ويقدم له ما يملك فداءً وحباً، فمقام الزائر الكريم عالٍ جداً، ومن يستطيع أن يتصدى لمن تصافحه الملائكة؟؟.

أتى أهمية البحث من أهمية متغير حب الحسين، لأن حب شخص ما لا شك يدفع المحب للاصطفاف مع أحباب ذلك الشخص، ولأن الحسين (عليه السلام) ریحانة رسول الله ﷺ وشهيد الحق فإن الاصطفاف معه يفضح الاصطفافات المزيفة، ولأن هناك في فروع الدين عنوان لعقيدة لا يصح الدين بدونها، هو التولي لأولياء الله والتبرؤ من أعداء الله.

هدف البحث

يستهدف البحث الحالي تعرف دور نظرية التعلم الاجتماعي في تنمية حب الحسين أثناء الزيارة الأربعينية

تحديد المصطلحات:

أولاً- نظرية التعلم الاجتماعي: (Social Learning Theory)

عرفها (بلحاج، ٢٠٠١): هي إحدى أهم نظريات التعلم لباندورا ، والتي تتبنى الفكرة القائلة بأنه يمكن للفرد أن يتعلم تأثراً بالمجتمع المحيط عن طريق الملاحظة أو عن طريق تعزيز التعلم باستخدام الثواب والعقاب (بلحاج، ٢٠٠١: ٥).

ثانياً- التعلم الاجتماعي (Social Learning):

عرفه (زيدان، ٢٠١٦): بأنه عبارة عن نوع مهم من أنواع التعلم، ويمكن تعريفه أيضاً بأنه تغير تام في السلوك، ويحدث التعلم الاجتماعي في صورة مجموعة من المواقف التي يمر بها جميع الأفراد، ويحتوي التعلم الاجتماعي على كل من (العادات والقيم، والمعارف والمعايير، المهارات) (زيدان، ٢٠١٦: ٩٠)

الفصل الثاني

إطار نظري ودراسات سابقة

المحور الأول- إطار نظري:

١. مفهوم نظرية التعلم الاجتماعي

يندرج مفهوم إنموذج التعلم بالملاحظة ضمن حقل سوسيولوجيا التربية، ويقوم على افتراض مفاده أن الإنسان ككائن اجتماعي، يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم، أي أن باستطاعته التعلم منهم عن طريق ملاحظة استجاباتهم وتقليدها وإمكانية التأثير بالثواب والعقاب على نحو بديلي (غير مباشر) وهذا ما يعطي التعليم طابعاً تربوياً لأن التعلم لا يتم في فراغ بل في محيط اجتماعي (نشواتي، ٢٠٠٥: ١١).

وهذا ما نشاهده في الزيارة الأربعينية عند مشاهدة الأبناء لسلوك آبائهم في خدمة زائري الإمام الحسين، وتقليدهم من خلال توزيع الماء وغيرها، فمشاركة الأطفال في تقديم الخدمة لا يمكن أن ينظر إليه نظرة عابرة فهو أمر في غاية الأهمية، إذ ينبأ عن ظهور جيل قوي عازم على إصلاح المجتمع بالاعتماد على أسس النهضة الإصلاحية للإمام الحسين (عليه السلام)، فمشاركة الأطفال تعطي انعكاسات كثيرة من بينها أن الخط الحسيني ولاد ولا يمكن أن يحيد عنه أصحاب العقول المنغمسة بفكر ونهج القضية الحسينية الخالدة، وكذلك تبين مدى نجاح الثورة الحسينية من ضرب جذورها في أعماق النفوس والوجدان لدى بعض المجتمعات الإنسانية.

وتعرف هذه النظرية بأسماء أخرى مثل نظرية التعلم بالملاحظة والتقليد، أو نظرية التعلم بالنمذجة، أو نظرية التعلم الاجتماعي، وهي من النظريات التوفيقية، لأنها حلقة وصل بين النظريات السلوكية والنظريات المعرفية، ففي التعلم الاجتماعي يتم استخدام كل من التعزيز الخارجي والتفسير الداخلي للتعلم (بو شعيرة، ٢٠٠٩: ٧٦).

التقليد والمحاكاة:

يعد التقليد والمحاكاة سمة طبيعية لدى الإنسان سواء كان طفلاً أو راشداً، كون الإنسان في عملية تعلم مستمر، وهذا الأمر يفرض عليه تحديات جديدة قد لا يملكها في الوقت الراهن، وبالتالي سيلجأ لتعلمها من خلال مشاهدة نماذج أخرى تؤديها أو من خلال القراءة عنها في الكتب، ولا يتوقف التعلم من خلال النموذج فقط على المعارف والمهارات، بل يتسع ليشمل العواطف والمشاعر وكيفية التعبير عنها، بمعنى أن الطفل الذي يشاهد والدته ترفع من نبرة صوتها وتلجأ للصراخ عندما تغضب، سيقوم بمحاكاة ردة فعلها العاطفية بنفس الطريقة عندما تعثره نوبة غضب، لأن هذا ما شاهده وتعلمه كطريقة للتنفيس عن الغضب، بخلاف الطفل الذي يشاهد والده عندما يغضب يلجأ للصمت فسيقوم حتماً بمحاكاة ذات الأسلوب في غضبه، وهذا الأسلوب في التعلم -التعلم بالملاحظة- ليس بجديد في المجال الديني على الأقل، فقد كان من الأساليب التربوية التي جاء بها الرسول ﷺ، لتعليم الناس أمور دينهم مثل الصلاة، والحج وغيرها، كما أن القرآن الكريم يحتوي على الكثير من القصص التي فيها عبر لأولي الألباب (الدوحان، ٢٠٠٩: ٣٢).

ولكن الجديد هنا في فكرة التعلم بالملاحظة أن (ألبرت باندورا) صاحب نظرية التعلم بالملاحظة أو التعلم الاجتماعي وضع لها أسساً نفسية معرفية تفيد المربي، والوالدين في معرفة الطريقة التي يتم بها التعلم بالملاحظة والعمليات العقلية التي يحتاجها الشخص ليحدث عنده هذه النوع من التعلم الذي يختصر على المتعلم أو المربي الكثير من الجهد والوقت لاكتساب المعارف والمهارات (نشواتي، ٢٠٠٥: ٤).

وقد أثبتت الدراسات والتجارب العلمية أن الأبناء يحملون الكثير من صفات الأبوين فإذا كانا صالحين صلحاً، وإذا كان العكس من ذلك فإن من الطبيعي سينعكس على تربية الأبناء ونشأتهم بصورة عامة.

إذا أردنا إصلاح المجتمعات علينا إعداد منظومة مجتمعية مبنية بشكل سليم لتكون قادرة فيما بعد على الإصلاح ومحاربة الأفكار الضالة والمشبوهة التي تمارس من قبل بعض الأفراد غير المتورين، فبدون هذه المنظومة لا يمكن لعجلة الإصلاح أن تتقدم خطوة نحو الأمام، ولا يمكن أن تعاد للمجتمع الحقوق المسلوبة من قبل المستنفذين فيه بغير وجه حق، سوى أنهم يمتلكون المهارة العالية في الضحك على الذقون ويحيدون التسلق على أكتاف الآخرين.

فما سفك على رمضاء كربلاء من دماء صبيحة عاشوراء أثمر اليوم بخروج جيل قوي قادر على مواجهة الطواغيت وعلى مر الأزمان، ونداء الأطفال اليوم في مواكب الخدمة سيتحول غدا صرخة في وجوه الظالمين وتزلزل الأرض تحت أقدامهم، أطفال صغار في أعمارهم، كبار في عطائهم جسدوا طفولة الطف بكل معانيها وأعادوا للأذهان مأساتها، فهم بهذه المشاركات يقولون أن ضمير الحسين لن يمت وإن كربلاء ستبقى خالدة على مر العصور.

كيفية اكتساب حب الحسين وفق نظرية التعلم الاجتماعي

أكد عالمي النفس ألبرت بان دورا وولترز (Bandore and Walter) على التعلم الاجتماعي من خلال المحاكاة، فباندورا يرى أن معظم السلوك الإنساني متعلم باتباع نموذج أو مثال حي وواقعي وليس من خلال عمليات الاشتراط الكلاسيكي أو الإجرائي، فبملاحظة الآخرين تتطور فكرة عن كيفية تكون سلوك ما. وإن التعلم المعرفي الاجتماعي يعني أن المعلومات التي نحصل عليها عن طريق اللغة وذلك من خلال ملاحظة الآخرين وملاحظة إشاراتهم، وإن عملية النمذجة Modeling عند الطفل تحدث بصورة عفوية (الزغلول، ٢٠١٠: ٥٥).

وهذا ما نلاحظه في الزيارة الأربعينية يشارك عدد من الأطفال في مساعدة ذويهم بأعمال متنوعة، كالتنظيف وإعداد وجبات الشاي للزائرين وتقديمها للزائرين، فضلاً عن تقديم المساعدات لبعض الزائرين من كبار السن.

ويقصد بالتعلم الاجتماعي اكتساب الفرد أو تعلمه لاستجابات أو أنماط سلوكية جديدة من خلال موقف أو إطار اجتماعي، إذ أن معظم سلوك البشر متعلم من خلال الملاحظة بالصدفة أو بالقصد، فالطفل الصغير يتعلم خدمة زائري الإمام حسين باستماعه لكلام الآخرين وملاحظته لسلوكهم ويقلدهم، فالتعلم بالملاحظة Observational learning يترك آثاراً كبيرة تتراوح بين تعلم اللغة إلى سلوكيات أخرى (العتوم، ٢٠١٤: ٦).

ولهذا فضل بعض الأطفال إقامة مواكب حسينية خاصة بهم، تقتصر في معظم الأحيان على تقديم المشروبات الساخنة والباردة للزوار، ذلك سيرا على منهج آبائهم وإن أكثر طريقة يتعلم فيها الفرد وبشكل جيد هي عن طريق التفاعل المباشر مع الأشخاص الحقيقيين في الحياة الواقعية، إذ يكتسب الأفراد من خلال ملاحظة الآخرين

في البيئة التي يعيش فيها عن طريق الوالدين أو الأقران فنجد أن الطفل يتعلم سلوكياته من خلال التفاعل المباشر (العتوم، ٢٠١٤: ٧).

وتعد المواقب الحسينية من أبرز مظاهر الزيارة الأربعينية إذ من خلالها يمكن التعلم عن طريق النماذج غير المباشرة مثلاً طفل يعيش في عائلة كل أفرادها هم خدام الحسين ويفتخرون بذلك، ويعد الأب أو الأخ هو المعلم الأول والأنموذج المؤثر في تعلم الطفل.

نواتج التعلم الاجتماعي:

ينتج عن التعلم بواسطة نظرية التعلم الاجتماعي ثلاثة أنواع من التعلم وهي:

أولاً : تعلم استجابات جديدة

يستطيع الملاحظ تعلم أنماط سلوك جديدة إذا لاحظ أداء الآخرين، كالطفل الذي يقلد والدته الواقعة على الكرسي لتناول شيء من رف مرتفع، ولا يتأثر سلوك الملاحظ بالنماذج الحية فقط بل بالمثلثات الصورية والرمزية عبر الصحافة والكتب والسينما مثل تعلم كيفية تربية الطفل من خلال قراءة كتب في الطفولة وغيره (الصلصامة، ٢٠١١: ٨١).

وهذا ما نلاحظه من خلال المواقب الحسينية بوجود هكذا أطفال يتخذون من الأمام الحسين (عليه السلام) مثلهم الأعلى وإمامهم من أجل حفظ كرامتهم واستحصال حقوقهم التي سيطر عليها من يتخذ الحسين منهجاً ويتبع يزيد تصرفاً، فلا يمكن للظلم أن يستمر وللحقوق أن تبقى مسلوقة طالما في الأذهان تدوي صرخة هيهات منا الذلة، هذه الصرخة التي استطاعت أن تهد عروش الظالمين والمارقين وتعيد الأمور إلى نصابه

ثانياً : الكف والتحرير:

يقصد بالكف إعاقه وتجنب أداء السلوك من الفرد عندما يواجه الأنموذج عقاباً

بسبب انهماكه في هذا السلوك، كمشاهدة حادثة سير نتيجة السرعة فيقلل السائق من سرعته (الدوجان، ٢٠٠٩: ١٥).

فضلا عن مشاهد مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة من كبار السن والمعاقين، هذا ما نلاحظه في الزيارة الأربعينية

ثالثاً : التسهيل :

يتناول التسهيل السلوكيات التي يندر حدوثها أو تكرارها بسبب النسيان أو عدم الاستخدام فيعمل على ظهورها عن طريق الملاحظة، وكمثال على ذلك تواجد شخص لفترة معينة في منطقة تتحدث اللغة الإنجليزية وبعد عودته إلى بلده لم يعد يمارس هذه اللغة، إلا أنه بعد زيارة صديق له من تلك المنطقة يعود فيمارس الحديث بتلك اللغة (الدوجان، ٢٠٠٩: ١٥) او تواجد المواكب الحسينية وخدمة الزائرين ومشاهدة ذلك من قبل الأطفال لفترة وتكرار هذه الخدمة من قبل الرجال والنساء بمختلف أعمارهم ولفترة طويلة

آليات التعلم الاجتماعي

يرى باندورا أن التعلم بالملاحظة يتضمن أربع آليات رئيسية، وهي :

أولاً : التفاعلية التبادلية :

السلوك الإنساني يحدث داخل تفاعلية تبادلية ثلاثية هي: السلوك والمتغيرات البيئية والعوامل الشخصية، وتتضح التفاعلية في أحد مصطلحات باندورا وهو الكفاية الذاتية (هي توقعات الفرد واعتقاده حول كفاءته الشخصية في مجال معين)، وقد بينت الدراسات أن الكفاية الذاتية تؤثر في دافعية الفرد للسلوك أو عدم السلوك في موقف

ما، كما تؤثر في طبيعة ونوعية الأهداف التي يضعها الأفراد لأنفسهم وفي مستوى المثابرة والأداء، ويتضح ذلك في الثلاثية المتمثلة في الزيارة الأربعينية:

١. السلوك: وهي خدمة الزائرين

٢. المتغيرات البيئية: الجو العام للزيارة

٣. العوامل الشخصية: الدافع للخدمة والحب هو الذي بالإنسان ليركن العنصرية جانبا، وينسى الغرور الذات، ويبدأ بخدمة الجميع بنفس المستوى من دون تفرقة بين شخص أو آخر، على أساس العرق أو الدين أو الغنى أو الفقر وما شابه

ثانياً : العمليات الإبداعية

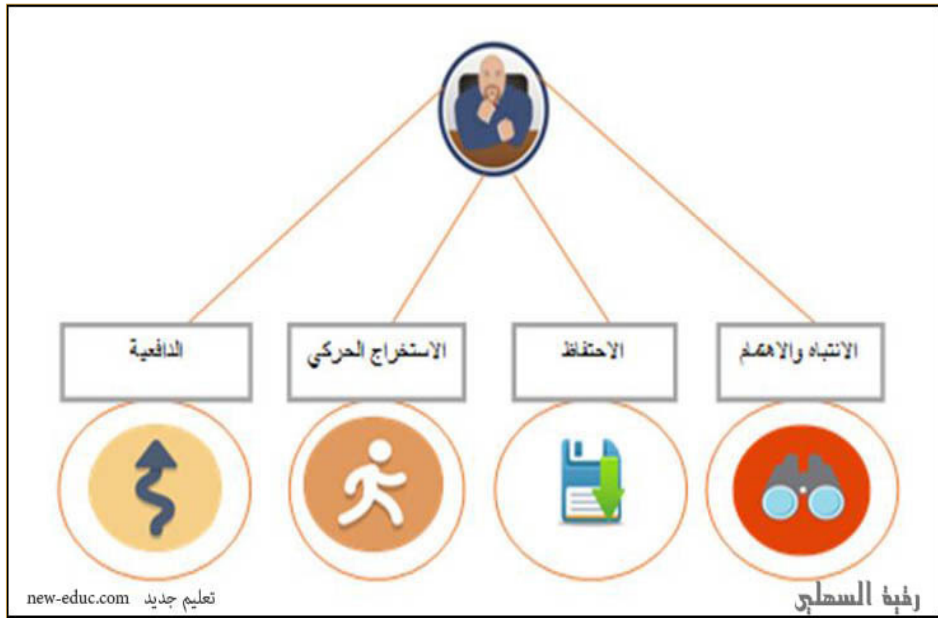
ليس ضرورياً أن يتعرض الفرد لممارسة الخبرة بنفسه كي يتعلم ، بل يمكن اكتسابها على نحو بديلي (غير مباشر) من خلال ملاحظة الآخرين، ويعني ذلك إمكانية تأثر سلوك الفرد (الملاحظ) بالثواب والعقاب على نحو بديلي (غير مباشر) إذ يتخيل المتعلم نفسه مكان النموذج، مثل : تعلم الخوف من الحشرات والحيوانات، فليس ضرورياً أن يتعرض الفرد للدغة الأفعى كي يعرف أنها خطيرة (اللصاصمة، ٢٠١١: ١٨).

وهذا ما تمثل في الزيارة الأربعينية من خلال مشاهدة الأطفال لسلوك الأب والأم فإذا أردنا أن يتعمق حب الحسين (عليه السلام) في أعماق قلوب هذا الجيل، فما علينا إلا أن نكثر من حضور المجالس الحسينية واصطحاب الأطفال ، ففي كل مجلس حسيني مهما كان حجمه «صغيراً أو كبيراً» فإن بذور محبة الحسين تنمو في قلوبهم، أليس الحديث الشريف يقول: «إن للحسين محبة مكنونة في قلوب المؤمنين» إن سرد قضايا وحكايات، وبطولات، وكلمات الحسين لأجل الاقتداء وليس للتسلية، يسهم بشكل مركز في تنمية الحب الحسيني في أعماق قلوب الجيل الجديد. فان حب الحسين (عليه السلام) هو برنامج عملي.

مراحل التعلم الاجتماعي:

يتطلب التعلم بالملاحظة والمحاكاة وجود نماذج يتفاعل معها الفرد على نحو مباشر أو غير مباشر، ويجب توفر أربعة عوامل تتمثل في الشكل الآتي:

الشكل (٢) يوضح عوامل التعلم الاجتماعي (new.educ.com)



أولاً: الانتباه والاهتمام:

يعد الانتباه من العوامل الأساسية التي تدعو الشخص لمحاكاة سلوك معين، إذ بدون توفر هذا العامل لا يحدث التعلم، ويتوقف الانتباه على عدد من العوامل منها:

١. عوامل مرتبطة بالأنموذج الذي يرغب الشخص في تقليده أو محاكاته

لا بد أن يتوفر في الأنموذج عدد من السمات حتى ينجذب له الشخص، وبالتالي يعمل على تقليده، ومن هذه السمات: المكانة الاجتماعية والاقتصادية للشخص، شهرة

الأنموذج المقلد مثل اللاعبين والممثلين والدعاة، والسلطة والجاذبية من ناحية المظهر أو الأسلوب الحوارى وغيره، فالنماذج التي تمتاز بمثل هذه السمات عادة ما تجذب انتباه الآخرين لما تعرضه من أنماط سلوكية (الزغلول، ٢٠١٤: ١٤).

والأهل هم اكبر مثال يقتدى به الطفل مثل (خدمة الزائر، إلا أن هناك أخلاقيات حسينية تجلت في يوم عاشوراء ينبغى ترسيخها في نفوسنا ومنها: اتخاذ القرارات الصائبة، السعي لهداية الآخرين، قوة الإرادة وتحمل الشدائد، تحمل المسؤولية، اللاعنف مع الأعداء، والعزة والكرامة.

٢. عوامل مرتبطة بالشخص المقلد أو المحاكي للأنموذج:

وتتمثل في سمات شخصية ونفسية للشخص المقلد مثل نظرة الشخص لذاته، فالأفراد الذين يملكون مفهوم ذات مرتفع أقل ميلاً للمحاكاة أو التقليد مقارنة بالأفراد الذين يملكون مفهوم ذات منخفض، كما أن وجود الدافعية لدى الشخص المقلد يدفعه لتعلم خبرات أو أنماط سلوكية معينة، ليحقق هدفاً ما. ففي الزيارة الأربعينية وانتشار الخدمة في المواكب الحسينية ممكن تنمية مفهوم الذات إذ يتسابق خدام الحسين في خدمة الزائرين

٣. درجة التشابه بين الشخص المقلد والأنموذج الذي يتم تقليده

تزداد فرصة الانتباه للأنماط السلوكية التي يعرضها الأنموذج في حالة وجود خصائص مشتركة تربطه بالآخرين، كالجنس والمستوى العلمي والبيئة الثقافية وبعض الخصائص الشخصية كالميل والاهتمامات والاتجاهات (بو شعيرة، ٢٠٠٩: ٥).

٤. الأهمية المترتبة على السلوك الذي يعرضه النموذج الذي يتم تقليده:

إذ يزداد الانتباه لسلوكيات النماذج التي تبدو ذات أهمية وقيمة للآخرين.

ثانياً: الاحتفاظ

تجدر الإشارة هنا إلى أن التعلم بواسطة الملاحظة والتقليد لا تظهر نتيجته بشكل فوري ومباشر بعد مشاهدة السلوك المطلوب تعلمه أو ملاحظته، وإنما يتم الاحتفاظ به واللجوء إليه عندما تقتضيه الحاجة، وهذا يتطلب توفر قدرات معرفية معينة لدى الفرد كالتخزين في الذاكرة والتذكر والاستدعاء، وتمثل هذه السلوكيات على نحو لفظي أو صوري أو حركي، كما تلعب عملية الممارسة والإعادة دوراً كبيراً في تسهيل الاحتفاظ بالأنماط السلوكية التي يتم ملاحظتها وإعادة إنتاجها لاحقاً، ومن هذا المنطلق ينبغي التنوع في النماذج المعروضة على الأفراد وعرضها أكثر من مرة عليهم حتى يسهل عليهم ترميزها (بو شعيرة، ٢٠٠٩: ٥).

إذ يؤكد علماء نظرية التعلم الاجتماعي بأن الطفل بعمر (٣) سنوات يقلد الأنموذج المشاهد إذ يعد الأب أو الأم أو الأخ الكبير قدوة للأطفال بكل السلوكيات التي تبدر منهم، كالخدمة الحسينية إذ أنه في هذا السن يكتسب السلوك وبتمثله باعتقاده أن الأنموذج لا يخطأ، حتى لو كان سلوكه سلبياً يعتقد بأن سلوكه مقبول اجتماعياً، فالخدمة الحسينية بكل أبعادها من قبل الأهل تعد دروساً غير مباشرة للجيل الجديد.

ثالثاً: الإنتاج أو الأداء أو الاستخراج الحركي:

فالاستدلال على حدوث التعلم بالملاحظة لدى الأفراد يتطلب أن يملك الشخص قدرات لفظية أو حركية، حتى يجسد هذا التعلم في أداء أو فعل خارجي قابل للقياس والملاحظة، ويتطلب ذلك توفر عامل النضج والملاحظة والممارسة. كما أن إنتاج الفعل السلوكي لا يعني بالضرورة أن يكون هذا الفعل صورة طبق الأصل للسلوك الملاحظ، فقد يعمل الفرد على إنتاج السلوك بشكل يتلاءم مع توقعاته (الدوجان، ٢٠٠٩: ١٧)

رابعاً: الدافعية

يعتمد التعلم بالملاحظة على وجود دافع لدى الفرد لتعلم نمط سلوكي معين، وترجمة هذا التعلم في أداء ظاهر كذلك، ويتوقف الدافع على عدد من العوامل منها النتائج التعزيزية أو العقابية (النتائج الخارجية) المترتبة على سلوك النموذج، كما يعتمد أيضاً على العمليات المنظمة ذاتياً أي التعزيز الداخلي. أيضاً، قد يشكل السلوك الذي يعرضه النموذج دافعاً بحد ذاته للملاحظة لتعلمه، كونه يشكل أهمية في تحقيق أهدافه (العتوم، ٢٠١٤: ١٧).

كيف يمكن أن نستفيد من نظرية التعلم الاجتماعي في المجال التعليمي (حب الحسين)؟

يمكن أن يسهم التعلم بالملاحظة في تشكيل الكثير من الأنماط السلوكية والمعارف منها:

تنمية العادات والقيم والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة من خلال القدوة الحسنة.



تنمية المهارات الفنية والحركية والرياضية من خلال استخدام العروض والنماذج المختلفة، مع إتاحة الفرصة للأفراد في ممارسة هذه المهارات وتزويدهم بالتغذية الراجعة.



علاج الاضطرابات السلوكية الانفعالية كالخجل و الانطواء وغيرها من خلال عرض النماذج.



علاج اضطرابات النطق والكلام من خلال برامج التدريب على النطق في الحالات البسيطة والتي تتطلب قدراً من الممارسة والتكرار.



ضبط السلوك الأخلاقي لدى الأفراد من خلال القوانين والعقوبات المترتبة على مرتكبي بعض السلوكيات السيئة، والغير مقبولة لدى المجتمع.



زيادة الدافعية لدى الأفراد عند مشاهدتهم المعززات -مثل الترقية وغيرها- التي يحصل عليها الآخرون بمناسبة ممارستهم لسلوكيات معينة، أو توضح انتصاراتهم في التغلب على عوائق أو تحديات معينة مثل النجاح في إنقاص الوزن الزائد.



التطبيقات التربوية لنظرية التعلم بالنمذجة من قبل المعلم في صورة توجيهات :-

- ١- كن حذرًا في ألفاظك وسلوكياتك، فأنت بالنسبة للآخرين إنموذج يُحتذى به.
- ٢- تذكر أن بناء القيم الجيدة عند النشء الجديد هدف رئيس لبناء شخصيتهم مستقبلاً.
- ٣- وفر للطلبة نماذج ترغب في تعلمها، مثل (شخصية الإمام الحسين) على سبيل المثال.
- ٤- يلعب الانموذج أيضا دورًا بالنسبة للأطفال في تعليمهم السلوكيات والقيم المرغوب فيها عن طريق الإشارات لذلك على المعلم أن يقوم بالسلوك الذي يرغب في تعليمه بشكل واضح وبيطء وعدد المرات حتى يستطيع الطفل تقليده (الزغلول والزغلول، ٢٠١٤: ٩١).

المحور الثاني- دراسات سابقة :

١. دراسة (كاظم ومطر، ٢٠١٩) الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين
استهدف البحث الحالي تعرف البعد الأخلاقي والاجتماعي في زيارة الأربعين، وإبراز أهمية العلاقة بين البعد الأخلاقي والبعد الاجتماعي لزيارة الأربعين تضمن الفصل الثاني الأبعاد النفسية والتربوية والأخلاقية للزيارة الأربعينية واستعراض العديد من النظريات وقد توصل البحث لعدد من التوصيات والمقترحات
٢. دراسة (يحفوفي، ٢٠١٩) البعد الأخلاقي الاجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق

استهدف البحث الحالي تعرف الأبعاد الاجتماعية الأخلاقية لزيارة الأربعين يتناول هذا البحث أهمية زيارة أربعين الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وبيان دورها في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي ويعرض ما لها من أبعاد على المستويين من خلال ذكر الأبعاد وتحليلها تحليلًا موضوعيًا ، مستعينا بلايات القرآنية والأحاديث والروايات الشريفة،

ومركزاً على الجانب التطبيقي العملي من خلال ذكر مصاديق ونماذج عملية لكل بعد من الأبعاد ومن حيث كونه بحثاً يدور حول الأبعاد الاجتماعية، فلقد تمّ ذكر العوامل الخمسة التي تحدد الاختلاف بين المجتمعات والشعوب عند عالم الاجتماع الألماني (هوفستيد) لما لها من أهمية على الصعيد النظري وتطبيقها عملياً على الزيارة المليونية. واعتمد المنهج الوصفي - التحليلي في تبيان مفاصله. كما انه خلص إلى نتائج عملية مهمة للزيارة وبعض التوصيات.

٣. دراسة (الكازمي، ٢٠١٩) اثر زيارة الأربعين في اصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الانساني

استهدف البحث تعرف اثر زيارة الأربعين في اصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الانساني، تناول المبحث الاول المبحث الأول: الآثار الإيجابية لزيارة الأربعين (الدور الأخلاقي لزيارة الأربعين في بناء الجيل الواعي)، المبحث الثاني: الأبعاد الجوهرية لزيارة الأربعين المليونية المبحث الثالث زيارة الأربعين مناسبة للإصلاح، المبحث الرابع: عالمية الإمام الحسين في زيارة الأربعين والخاتمة

٤. دراسة (الشاوي، ٢٠١٩) البيئة الأسرية وعلاقتها بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة

استهدف البحث تعرف البيئة الأسرية وعلاقتها بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين على عينة من طالبات الجامعة بلغت (٢٧٧) طالبة، وقد استخدمت الباحثة مقياس البيئة الأسرية المعد من قبل (موس، ١٩٧٤) والمعرب من قبل فتحي عبد الرحيم وحامد الفقي، ١٩٨٠، أظهرت النتائج بوجود فروق حقيقية في البيئة الأسرية بين الطالبات حسب متغير المرحلة، ولكن توجد فروق حقيقية في الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية للزيارة الأربعينية من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات بجامعة بغداد ولصالح المجموعة الثالثة.

الاستنتاجات

يوضح بان دورا أهمية النمذجة في قوانين تعديل السلوك مؤكداً أن باستطاعة الفرد اكتساب الأنماط السلوكية المعقدة واللغة والمهارات اللفظية والاستجابات الانفعالية (من خلال مشاهدة الآخرين بكيفية التصرف في موقف حزين أو سار) والاستجابات الاجتماعية، لذلك يمكن اكتساب وتنمية اللغة منذ الطفولة بشكل جيد عن طريق ملاحظة الآخرين سواء بشكل مباشر عن طريق البيئة التي يعيش فيها أو بشكل غير مباشر عن طريق وسائل الإعلام.

التوصيات:

١. للأسرة دورا مهما في تنمية حب الحسين من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية التي تكون أساسها الحوار والتثقيف بقصة الإمام الحسين ، فضلا عن اصطحاب الأطفال للخدمة الحسينية بالموكب الحسينية وتكليفهم بأعمال خدمية تتناسب مع الوضع الجسمي والبيولوجي.

٢. تضمين المناهج الدراسية ابتداء من مرحلة رياض الأطفال وانتهاء بالمرحلة الجامعية موضوعات تتضمن قصة أهل البيت وكراماتهم ومضلوميتهم على مر العصور لاستزادة هذا الجيل بهذه الموضوعات بهدف تنمية حُبهم لآل البيت وخاصة الإمام الحسين وما جرى على عياله وأسرته قبل وبعد استشهاد

٣. على وسائل الإعلام التوعية والتثقيف بقصة الإمام الحسين

٤. استخدام أسلوب الإثابة والتعزيز بالنسبة للأطفال الذين يقدمون الخدمة لزائري أربعينية الإمام الحسين بهدف تنمية الحب الحسيني في نفوسهم كي يبقى هذا الحب مستمرا

المقترحات

تقترح الباحثان مايلي:

١. تشجيع طلبة الدراسات لعليا بتناول موضوع قصة الإمام الحسين وارتباطها بمتغيرات نفسية ك(الصلابة النفسية، الإيثار)
٢. الآثار النفسية للزيارة الأربعينية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية
٣. العمل التطوعي لدى الشباب

المصادر

١. بلحاج، عبد الكريم (٢٠٠١). التعلم الاجتماعي: نظرية في التعزيزات والتوقعات، مجلة سيكولوجية التربية، المغرب مج(٢)، ع(١١٥).
٢. بو شعيرة، خالد محمد وغباري، ثائر أحمد (٢٠٠٩): سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة، ط(١)، مكتبة المجتمع العربي، الأردن-عمان
٣. الدوجان، خالد إبراهيم (٢٠٠٩): الوجيز في علم النفس التربوي، ط(٢)، الرياض، مكتبة الرشد.
٤. الشاوي، سعاد سبتي (٢٠١٩): البيئة الأسرية وعلاقتها بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة، مؤتمر الزيارة الأربعينية، محور الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين، مجلة السبيل السنة الخامسة المجلد الخامس، العدد الثاني/ ج ١
٥. الزغلول، رافع النصير، الزغلول، عماد عبد الرحيم (٢٠١٠): نظريات التعلم، رام الله، دار الشروق، عمان-الأردن
٦. زيدان، وجدي عبد اللطيف (٢٠١٦): فعالية برنامج إرشادي قائم على نظرية التعلم

- الاجتماعي في تحسين فاعلية الذات لدى عينة من ذوى صعوبات التعلم، مجلة كلية التربية (جامعة بنها)، مصر، مج (٢٧)، ع(١٠٦).
٧. العتوم، عدنان يوسف (٢٠١٤): علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ط(٨)، دار المسيرة للنشر، جامعة اليرموك.
٨. كاظم، وفاء ومطر، نجاة(٢٠١٩): الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين، مؤتمر الزيارة الأربعينية، محور الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين، مجلة السبب السنة الخامسة المجلد الخامس، العدد الثاني/ ج ١
٩. الكاظمي، رنا فرحان طاهر(٢٠١٩): اثر زيارة الأربعين في اصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الانساني مؤتمر الزيارة الأربعينية، محور الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين، مجلة السبب السنة الخامسة المجلد الخامس، العدد الثاني/ ج ١
١٠. اللصاصمة، محمد حرب (٢٠١١): المنحنى الاستراتيجي الشامل لعلم النفس التربوي بين النظرية والتطبيق، ط(١)، دار البركة، عمان- الأردن.
١١. نشواتي، عبد المجيد (٢٠٠٥): علم النفس التربوي، مؤسسة الرسالة، بيروت
١٢. (new.educ.com).
١٣. مجغوفي، نادين(٢٠١٩): البعد الأخلاقي الاجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق
١٤. ، مؤتمر الزيارة الأربعينية، محور الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين، مجلة السبب السنة الخامسة المجلد الخامس، العدد الثاني/ ج ١

الثورة الحسينية واثرها في تجسيد مفاهيم التسامح ولغة الحوار ومواجهة التحديات الطائفية والمذهبية والدينية

أ.م. احلام اسماعيل عيسى

م.د. وفاء اسماعيل سعد

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

ahlamahmd1976@gmail.com

ahlameash@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص البحث

إن طريق الإمام الحسين هو طريق هادٍ لطلاب الحقيقة ومشعل من مشاعل العلم والمعرفة في قيادة الأمة الإسلامية إلى بر الأمان بوصفه الطريق والمنهج الحق في إيصال الفرد والمجتمع نحو الحق تبارك وتعالى، وكفى به فخراً وعظمة وعلو شأنٍ.

إن الفرد والمجتمع بهما حاجة ماسة وأكيدة لعقائد ومنهجية صحيحة نحو الله تبارك وتعالى، وكون هذه العقائد لا بد أن تكون موافقة لما أراد الله تبارك وتعالى، عن طريق الرسول اقتضت النوايا والمصالح الحسنة إيصال هذه العقائد والقيم الأخلاقية والاجتماعية عن طريق الإمام الحسين، لأن النبي يقول: حسين مني وأنا من حسين وإن الحسين عليه السلام يُعدّ منقذ الأمة الإسلامية وإن الدعاء محبوب إلا بذكرهم وأنهم أهل البيت عليه السلام سفينة النجاة من ركبها أو دخلها فهو آمن.

إن شهادة الإمام الحسين هي النتيجة الوحيدة التي تكفل بإرجاع الإسلام الصحيح إلى مكانه بعد أن حُرّفه منحرفو بني أمية. ونصرة الإمام الحسين واجبة على لسان النبي

مما يدل على حقانية ثورته وانحراف الاتجاه المخالف فكل من سمع داعية الإمام الحسين وجبت عليه النصرة.

الإمام الحجة القائم عليه السلام هو من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وإن الإمام الحسين كان عالماً بالشهادة فكان خروجه هو تلبية لإرادة الله تعالى ورسوله ولذا كان خير مصلح للامة الإسلامية ووارث الأنبياء ولا سيما النبي محمد عليه السلام فعلى الجميع نصرة الإمام الحسين كل بحسب قدرته. باتباع منهج التسامح لوحدة الصف والقضاء على الطائفية بجميع أشكالها.

الكلمات المفتاحية : الثورة الحسينية ، التسلمح ، الحوار

**The Husseinian revolution and its impact on embodying
the concepts of tolerance, the language of dialogue, and
facing sectarian, sectarian, and religious challenges**

Assistant Professor. Ahlam Ahmed Issa

Teacher Dr. Wafaa Ismail Saad

College of Education/ Al-Mustansiriya University

ahlamahmd1976@gmail.com

ahlemeash@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

The path of Imam Hussain is a guiding path for those seeking truth and a torch of knowledge and knowledge in leading the Islamic nation to safety, considering that it is the right path and method to lead the individual and society towards the truth, the Blessed and Exalted. Towards God, Blessed and Exalted be He, and the fact that these beliefs must be in accordance with what God, Blessed and Exalted be He, through the Messenger, necessitated good intentions and interests in communicating these beliefs and moral and social values through Imam Hussein. Because the Prophet says Hussein is from me and I am from Hussein and that Hussein (peace be upon him) is considered the savior of the Islamic nation and that supplication is veiled except by mentioning them and that they are Ahl al-Bayt, peace be upon them, especially Hussein, the ship of salvation from his knees or entering it. to its place after it was distorted by the perverts of Banu Umayyah. Supporting Imam Hussein is obligatory on the lips of the Prophet, which indicates the validity of his revolution and the deviation of the opposing

direction. Imam al-Hujja al-Qa'im (may God hasten his reappearance) is from the sons of Imam al-Husayn, peace be upon him, and that Imam al-Husayn was a scholar of martyrdom. Imam Hussein, each according to his ability. By following the approach of tolerance for the unity of the class and the elimination of sectarianism in all its forms.

Keywords: Hussein revolution, armament, dialogue

المقدمة

إن البحث في قضية الإمام الحسين عليه السلام والخوض في واقعة الطف في أبعادها التاريخية السياسية والفكرية والعقدية، هو استحضار لمنطلقات الرسالة المحمدية، وتتبع مسار الإسلام والمسلمين في مرحلة التأسيس والانتشار والوقوف على زاوية الانحراف وانفراجها حتى وقوع اليوم الذي انتصر فيه الدم على السيف، وانكسار سلطان الطغيان والزيف. إن القضية الحسينية عاشت قرونا عديدة بالشعائر والمجالس والمحاضرات لكن لم تدخل ميدان التحليل العلمي والبحث الأكاديمي بما تحمل من قيم أخلاقية واجتماعية وأهمية هذا الموضوع بشكل عام تكمن من أهمية المسيرة الحسينية وما تحمله من قيم أخلاقية واجتماعية تهدف إلى اصلاح المجتمع حيث اشتملت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مظاهر البطولة النادرة والسمو الإنسان ي لدى الثائرين وقائدهم العظيم المتمثل بالتضحية بكل عزيز من النفس والولد والمال والامن في سبيل المبدأ والصالح العام مع الضعف والقلة واليأس من النصر العسكري وما اشتمل عليه من مظاهر الجبن والانحطاط الإنسان ي لدى السلطة الحاكمة وممثليها في تنفيذ جريمتها بملاحقة الثائرين واستئصالهم بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

مشكلة البحث

هل كان لثورة الإمام الحسين إبعاد اجتماعية أخلاقية قومية وإسلامية تنمي روح التسامح الديني؟

فرضية البحث

كانت لتضحية الإمام الحسين وأهل بيته جوانب اجتماعية وأخلاقية وتربوية، تنمي روح الجهاد لدى الأفراد، والدفاع عن القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية. وتنمي التسامح وتدعو إلى نبذ الطائفية، والتعايش السلمي بين الأديان.

هدف البحث

يهدف البحث إلى التوصل إلى نتائج علمية ملموسة، وأكاديمية عن الشخصية الفذة للإمام الحسين، وكيف ضحى بكل عزيز من حال ونفس وولد، في ظل ظروف صعبة، لكي يستمر التعايش السلمي والروحي بين الطوائف المختلفة.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من كونها تعالج القضايا المهمة ذات الطابع الاجتماعي التي تخص كل الفئات وطبقات المجتمع العراقي.

هيكلية البحث

نظرا لأهمية البحث، فقد جاء بأربعة محاور أسس وهي:

المحور الأول: الحياة الشخصية للإمام الحسين عليه السلام.

المحور الثاني: التعايش السلمي مفهومه، وسياقاته، ومرتكزاته.

المحور الثالث: التطرف (الأسباب، والآثار، والمعالجات الممكنة)

المحور الرابع: القيم والآثار الإنسانية لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

المحور الاول

الحياة الشخصية للإمام الحسين عليه السلام.

ولادته :-

كان الحسين عليه السلام منذ ولادته شمعة مضيئة في طريق الظلام، وأنه مصلح للأمة الإسلامية، لم يشر صراحة ابن أعثم الكوفي لولادة الإمام الحسين عليه السلام وإنما ذكر رواية واحدة عن يحيى بن عبد الرحمن القرشي * عن عبد الرحمن بن مصعب القرقيسي (ابن حجر، ج ٣، ص ٧٠٢)

عن الأوزاعي عن ابن عفان عن أم الفضل (ابن سعد، ج ٨، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ ابن عبد البر، ط ١، ص ٩٣٥، ص ٩٥٩) إنها قالت: رأيت في منامي رؤيا هالتي وأفرعتني، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، رأيت كأن قطعة من جسدك قد قطعت فوضعت في حجري فقال: النبي ﷺ خيراً رأيت يا أم الفضل، إن صدقت رؤياك فإن فاطمة حامل وستلد غلاماً ادفعه إليك لترضعه، قالت أم الفضل: فوضعت فاطمة بعد ذلك غلاماً فسمي الحسين: ودفعه النبي ﷺ إليّ فكنت أرضعه. قالت أم الفضل: فدخل النبي ﷺ ذات يوم والحسين في حجري فأخذه وجعل يلاعبه وهو مسرور (الكوفي، ج ٤، ص ٢١١؛ عطاء، ج ٣، ص ١٩٤؛ القرشي، ط ١، ج ١، ص ٣٠)

بينما ذكر كل من ابن سعد والزييري، والبلاذري، وأبو فرج الأصفهاني، والشيخ المفيد، إن الإمام الحسين عليه السلام ولد لخمسة خلون من شهر شعبان سنة أربع للهجرة (ابن سعد، ج ٦، ص ٣٩٩؛ الزييري، ط ٣، ص ٤٠؛ البلاذري، ج ٣، ص ٤١٥؛ الأصفهاني،

ط ١، ص ٨٣؛ المفيد، ط ١، ص ٢٤٨؛ الحسني، ط ٢، ص ١)

في حين ذكر الطبرسي، أن أسماء بنت عميس (ابن عبد البر، ص ٨٧٣) هي التي تولت ولادة الإمام الحسين حيث ذكر: فجاء النبي ﷺ فقال: يا أسماء هاتي إبني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء (الطبرس، ط ١، ج ١، ص ٤٢٧؛ ياسين، ط ١، ص ١٥٨)

في حين ذكر أن صفية بنت عبد المطلب (ابن سعد، ج ١٠، ص ٤١؛ ابن عبد البر، ص ٩١٦) عمة النبي ﷺ هي التي تولت ولادته حيث قالت: «لما سقط الحسين ﷺ من بطن أمه، كنت قد وليته» [ولدتة]. (الصدوق، ص ١٠٨؛ الحائري، ط ١، ص ٧٠)

كنيته وألقابه:

للحسين ﷺ كنى وألقاب عديدة ومنها ما ذكر ابن أعثم الكوفي أن كنية الحسين ﷺ أبو عبد الله (الفتوح، ج ٤، ص ٢٤٠، ج ٥، ص ١٥؛ ابن س، ص ٣٩٩؛ هارون، ط ٥، ج ٤، ص ٧٢؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦١؛ الأصفهاني ص ٨٣؛ الطبرسي، (ت: ٥٤٩هـ / ١١٥٣م) الخرسان، ج ٢، ص ١٩؛ البغداديص ١٩؛ ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢١٣؛ تبرزيان، ص ٩٢؛ زامل، ط ١، ص ٢٧)، وأشار إلى لقبه ﷺ في أربع روايات أولها: رواية أعور بن خزيمة: - قائلًا: ... الطاهر بن الطاهر (الفتوح، ج ٤، ص ٢١٥) وهذا أول الألقاب الذي لقب به.

وذكر رواية ثانية: أن رسول الله ﷺ قال: (اجعله من سادات الشهداء) (الفتوح، ج ٤، ص ٢١٧) وبهذا فقد لقب سيد الشهداء (ابن قولويه، ط ١، ص ١١٧-١١٨؛ الصدوق، ط ١، ص ١٥٦؛ عطوي، ط ١، ص ٥٧٥)

أما الرواية الثالثة: عن رسول الله ﷺ قال: «حسين سيد شباب أهل الجنة (الفتوح، ج ٤، ص ٢٢٣؛ الأنصاري، ط ٤، ص ١٣٢؛ ابن ماجه ط ١، ج ١، ص ٥٦؛ الصدوق،

الأعلمي ، ط ١، ج ١، ص ١٤٣؛ معوض و عبد الموجود ، ج ٢، ص ٢٤؛ البعلاوي،
ط ١، ج ٣، ص ٥٦٨؛ الرحمة، ط ١، ص ١٨١) ويشير ابن أعثم إلى رواية رابعة، بأن
من ألقاب الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو السبط إذ قال: «السلام عليك يا رسول الله أنا
الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف (الفتوح، ج ٥، ص ٢٦؛
ابن حنبل، ج ٥، ص ١٨٢؛ البلاذري، ج ٣، ص ٣٥٩؛ عثمان، ج ٥، ص ٦١٧؛ الحسن ،
ط ١، ج ١، ص ٥٥١؛ القرشي ، ج ١، ص ٤٢)

المحور الثاني:

(التعايش السلمي، مفهومه، وسياقاته، وأقسامه، ومركزاته بحسب ما

جاء في القرآن الكريم)

اولا / التعايش لغة : مشتق من العيش والعيش الحياة .

التعايش اصطلاحا: يقصد به العيش المتبادل مع المخالفين القائم على المساواة والمهادنة.

ثانيا / مفهوم التعايش السلمي

يُعد من مبادئ الإسلام، فهو قانون إلهي يهدف إلى حفظ حياة البشرية، على وفق ضوابط تقوم على حق الاحترام والاعتراف بأحقية الآخرين في العيش الكريم. وكذلك عبارة عن قاعدة عقائدية ذات جذور إيمانية جاءت عبر سلسلة من الهدى الإلهي، فجاء الأنبياء والرسول يحملون نداء المولى عزّ وجلّ لنشر دعوة التوحيد، وتوجيه الشعوب والقبائل بأن الغاية من خلقهم التعارف والتعايش، وليس الصراعات والحروب.

ويعتبر الإنسان هو جوهر عملية التعايش والسلم، لذلك خصه الله تعالى بالوجود في الأرض لإظهار قيمته الأدمية. فالتعايش في ظلال القرآن الكريم يسعى إلى خدمة الأهداف المرجوة. (الشيخ المنتظري، ص ٤٠٩) إن التعايش السلمي مع الذات ومع الآخرين يشكل قيمة راسخة في النفس الإنسانية، والإسلام حريص على تقوية أواصر حسن الجوار مع كافة المجتمعات، كما يعتبر التسامح من خصائصه المهمة، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال أحكامه وتعاليمه الاجتماعية. ولذا فإن الشريعة الإسلامية تنظم روابط المسلمين فيما بينهم وأيضاً تؤكد على ثقافة التسامح والتساهل مع أصحاب الأديان الأخرى. وقد جعل الله تعالى علاقات البشر فيما بينهم مبنية على أساس الأخوة والإلفة وكانت سيرة النبي ﷺ مبنية على ذلك. كما يوصي القرآن الكريم المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم لحل الأمور العالقة.

ثالثاً/ التسامح والتعايش السلمي في سياق النصوص القرآنية

لقد تناول القرآن الكريم موضوع التسامح بوصفه من الصفات الأسس والخصائص اللازمة لكل فرد مسلم ودعامة أساسية من دعائم التعايش السلمي مع غيره، وذلك في آيات عديدة عبّر عنه فيها بالعفو والحلم والصفح الجميل وألفاظ أخرى لها دلالتها كالنهى عن الصفات الذميمة من كذب وكبر وعجب وبخل وتفاخر ورياء وغل وحسد والصفات الأخرى التي تسيء إلى التعايش السلمي والتسامح بين الأديان ونبذ التطرف.

فلم يكتف الإسلام بالدعوة العامة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والتخلي عن الأخلاق الذميمة، وإنما فصل القول في الصنفين فبين أنواع كل صنف، والحكمة في هذا البيان المفصل هي توضيح معاني الأخلاق وتحديد لها لئلا يختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها (الطبرسي، ج ٤، ص ٤١٥)

رابعاً / أقسام التسامح في القرآن

باتباع النصوص القرآنية نجد أن التسامح يمكن تقسيمه على:

١. التسامح بين الأفراد

وهو ما ينبغي أن تكون عليه علاقات الأفراد فيما بينهم بحيث يتبادلون الاحترام ويتعاملون بالحسنى ويتغاضون عن جهالات الآخرين، ومن الآيات التي تجسد هذا قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وروي أنه لما نزلت هذه الآية، سأل رسول الله ﷺ جبرائيل عن ذلك، فقال: لا أدري حتى أسأل العالم، ثم أتاه فقال: يا محمد! إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك (الطبرسي، ج ٤، ص ٤٤٥)

٢. التسامح بين الزوجين في الأسرة الواحدة

وهذا النوع من التسامح من الأمور الواجبة شرعاً للوفاء بما التزمه الزوجان من المعاشرة الطيبة والألفة والمودة والتراحم والتواد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بقدر ما تحبون (الطبرسي، ج ٤، ١، ص ٤١٥)

٣. التسامح بين الجماعات

التسامح بين الجماعات ان الجماعة قد تتعرض للضغط والظلم والتغليب بالقول من قبل جماعة أخرى، فالمطلوب في هذه الحالة خطوة أولى لتفادي أضرار المواجهة بالقوة، وهذا من كمال التسامح لهذا الدين فلم يأمر أتباعه بالقتال والمواجهة الساخنة أول الأمر بل فتح باباً للموادعة وتهذئة الأوضاع كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩)، أي: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة. (الطبرسي، الجزء الأول، المتوفي ٥٤٨هـ)

٤. التسامح بين الشعوب والدول

يجب أن يكون تسامح بين الشعوب وعدم الضغط على الأشخاص وإجبارهم للدخول في الإسلام فلا يوجد إكراه في الدين ولا يرضى القرآن بذلك، وقد هيأ القرآن أتباعه نفسياً لقبول التعدد والتنوع الديني بذكره مراراً وتكراراً لقصاص السابقين من الأقوام والملل، وأنه لا يتوقع هداية كل الناس وأن الاختلاف بينهم أمر طبيعي وكائن، كما في طائفة من النصوص لعل من أصرحها قوله عز وجل: (أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا) (الرعد: ٣١)، جاء ذلك في سياق تأكيده لإعجاز القرآن

وكفايته في الدلالة على سبل الخير والفلاح لكل من تدبر فيه ولم يتماد في اتباع الهوى، فإذا وجدنا مع قوة هذا القرآن المعجز في منطقهِ الواضح واستدلّاله الناصع أقوامًا لا يدينون به ولا يتخذونه مرجعًا وإمامًا فهذا أمر طبيعي لا ينبغي أن يصيبنا بفتور أو إحباط في الدعوة إلى الحق (الطبرسي، ج ١، ص ٨٩)

٥. خامسًا: مرتكزات التسامح والتعايش السلمي في القرآن

ويتدرج النظام الأخلاقي القرآني بدءًا بالفرد ومرورًا بالأسرة والمجتمع والدولة وانتهاءً بالمجتمع الإنساني الدولي، وفي كل دائرة من هذه الدوائر يمتاز التعليم القرآني بالتركيز على العلم والتزود بزيادة الحكمة والتقوى.

ومن أهم المرتكزات في هذه العملية طهارة النفس، في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس: ٧-١٠، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩).

وهذا يعني أن الإيمان يصقل شخصية المؤمن فيؤهلها لقبول الحق ونسيان الذات والتسامي على المطالب الدنيّة، ولا ننسى في هذا المجال دعوة القرآن الكريم لكظم الغيظ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤).

ولا يقف المؤمن الكامل عند هذا الحد بل يصل إلى مقام الإحسان بالتدرج من الكظم إلى العفو ثم إلى الإحسان مع المسيئين، فقد كانت (جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه فرفع علي بن

الحسين عليه السلام رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ قَالَ: عفا الله عنك﴾ (الصدوق، ص ٢٦٩)

فمفهوم التسامح يرتبط ارتباطاً عميقاً بمفهوم السلام، فالتسامح والسلام هما مفهوم واحد بوجهين متشابهين إلى حد كبير.

المحور الثالث

التطرف (الأسباب، والاثار، والمعالجات الممكنة)

أولاً / تعريف التطرف

هو تعبير يستخدم لوصف أفكار وأعمال غير مسوغة يستعمل لوصف أيديولوجية سياسية بعيدة من أيديولوجية المجتمع. يعد التطرف من الظواهر الاجتماعية التي تنشأ وترعرع في ظل عوامل نفسية واجتماعية خاصة وتحت ظروف سياسية واقتصادية وثقافية معينة وتشترك جميع هذه العوامل على نحو أو بآخر في إنتاج ظاهرة الإرهاب في الواقع الاجتماعي ومن ثم فإن أية معالجة جادة لهذه الظاهرة تتطلب معرفة دقيقة لهذه العوامل والظروف التي تساعد في وجود هذه الظاهرة.

ثانياً / أسباب التطرف

١. الأسباب السياسية: تدني مستوى المشاركة السياسية وخاصة بالنسبة للشباب ومن مختلف الطبقات في اتخاذ القرارات لتحقيق أهداف سياسية أو تصفية خصوم سياسيين.
٢. الأسباب الاقتصادية: نتيجة تدهور الظروف المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات وبسبب الشعور بالظلم والحرمان وغياب العدل وتفشي البطالة وغلاء الاسعار والتمييز الاجتماعي.
٣. الأسباب الاجتماعية: نتيجة غياب العدل والقانون وضعف وفساد اجهزة الدولة وعدم العدالة في توزيع الثروة والتفاوت في توزيع الدخل والخدمات والمرافق الاسس كالتعليم والصحة والاسكان والكهرباء بين الحضر والريف.
٤. الفهم الخاطئ للدين هنا يعد من أهم العوامل والأسباب الأسس التي أدت إلى انخراط الكثير من الشباب وحتى الاطفال في طريق الإرهاب، وهذا يعطي فرصة للجماعات

المتطرفة بأخذ الدور بملء الأفكار التي يعتنقونها، وإن غياب الحوار والمناقشة يرسخ الفكر والتطرف لدى الشباب الاستخدام المفرط للقوة الظلمة والعنف الذي يولد العنف والاقصاء والتهميش. (عبد الحميد، ورقة عمل قدمت في بيت الحكمة (الفكر التكفيري واستراتيجية المواجهة) بتاريخ ١١/٨/٢٠١٦)

٥. وقت الفراغ: يؤدي الفراغ دوراً مباشراً في انضمام الشباب للانحراف والجماعات المتطرفة، إذ أنه إذا لم يستغل الشباب أوقات فراغه في عمل مفيد يحقق أهدافه ويستثمره فيما يعود عليه بإشباع حاجاته، فإنه قد يتعرض للضجر والملل والإحساس بالدونية، ومن ثم قد لا يتردد في الانخراط في الجماعات المتطرفة التي تساعد في تحقيق ذاته.

٦. فقدان الثقة بين المواطن والسلطة لتردي الأداء الحكومي وانتشار الفساد المالي والإداري والأمن فلا يمكن النظر إلى الأمن الداخلي بمعزل عن الأمن الخارجي لأن الكثير من المشاكل التي حصلت في العراق أسبابها نتيجة الدول المجاورة، ولهذا أصبح واجب قوى الأمن الداخلي أن تدرس ظاهرة عدم الاستقرار وأسبابها ووضع الحلول لمعالجتها لأن الجهات المعادية تنتهز الفرصة في البحث عن أية ثغرة للتسلل والقيام بأعمال إرهابية معادية، فالأمن هو مسؤولية الجميع من الجيش والقوى الأمنية وأجهزة الاستخبارات والمواطنين بكل طبقاتهم وأفكارهم وانتماءاتهم فلا بد من التكاتف لدرء أي خطر يهدد الأمن لذلك لا بد من وجود توافق بين المجتمع والمؤسسات الأمنية حتى تستطيع الأجهزة الأمنية من أداء واجباتها على أكمل وجه وأفضل أسلوب لخلق بلد آمن ومستقر. (العزي، مركز الرابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٥)

وان الذي زاد وأوسع دائرة التطرف والتنظيمات المسلحة هو:

١. الافتقار لبرنامج قوي لمكافحة التطرف والإرهاب.
 ٢. ضعف الاجراءات الدفاعية المانعة للتطرف.
 ٣. حل الحاكم المدني الأمريكي بول بريمر للجيش والأجهزة الأمنية.
 ٤. قدم نظم جمع المعلومات لاكتشاف التهديدات الإرهابية المتطرفة.
 ٥. عدم الاتفاق مع بعض الأطراف على صياغة واضحة لذا يجب أن تضع الدولة العراقية بيئة مناسبة للقضاء على عصابات التطرف وخاصة البيئة الثقافية لمعالجة العنف من الجانب التربوي والاجتماعي والسياسي ولا سيما معالجة دراسة مادة التربية الإسلامية من المراحل الدراسية كافة لمعالجة الوضع حتى ينشأ الطفل في بيئة خالية من التشويش، ويكون قادراً على الوقوف بوجهه أي تنظيم إرهابي متطرف يحاول الاعتداء على بلده.
- (عز الدين، ١٩٩٤، ص ٢٣)

ثالثاً / آثار التطرف والارهاب:

مشروع التطرف هو مشروع خطير وكبير في العراق لتضيق الظروف على المواطنين ولا سيما في الحالة النفسية، التأثيرات النفسية للتطرف في المناطق المحررة (الآثار التي تركتها الجماعات المسلحة في المناطق المحررة) من الناحية الاجتماعية أثر التطرف في الأسرة والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، سواء الجانب النفسي الذي أدى إلى أن تكون هذه الأسر مضطربة نفسياً تتسم بسلوك يلجأ إلى العنف داخل الأسرة فخروج الطفل عن الدراسة والبطالة والتفكك الأسري كان أداة مهمة للإيقاع بيد الإرهاب ولدينا بعض النسب التقريبية لآثار التطرف الناتج من الجماعات المسلحة (داعش) ومنها ٣٣٪ نسبة الشباب المتعاطفين مع داعش، ٦٥٪ خسائر اقتصادية نتيجة البطالة اقتصادياً، ١٨١٢ عدد المنظمات الإرهابية المتأثرة بداعش، داعش في بداية الأمر كانت تستهدف ٩٠٪

مكوناً معيناً هو الشيعة من عام ٢٠١١ والآن أصبح الجميع وقد أصبح عدد الضحايا ٦٣٢٧١٦ ألف سنة ٢٠١٥ وعدد المصابين ٨٠٢, ٧٦٣, ١ مهاجر ونازح، وحين يلقي القبض عليهم لا يشعرون بالندم بسبب غسل الادمغة. ١٥٠ ألف طفل تم تجنيدهم، و٣,٥ ثلاثة مليون تركوا الأسرة وانظموا للداعش وأصبحت لها تأثيرات اجتماعية وتشقق ويجب علاج التطرف ليس بالأسلحة وإنما بالفكر فخطر الفتاوي التكفيرية لها دور كبير في الإرهاب والذي هو خارج العراق لا يعرف ماذا يحدث لأنه يذهب للجزيرة نت فهي قناة فضائية باللغة الانكليزية وهذا يترك أثراً كبيراً لدى الأفراد بسبب الإشاعات. (مطلق، ندوة بيت الحكمة عن فكر داعش الإرهابي بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠١٦) لمعالجة تفشي هذه الظاهرة الخطيرة التي تعرض لها العراق لابد من اتخاذ الكثير من الطرق والوسائل للحد أو لإيقاف تفشي الظاهرة التي يعاني منها العراق والتي كبذته خسائر جسيمة مادية وبشرية وتحطيماً لمعالمه الأثرية ومن أهم الطرق لمعالجة التطرف هي:

١. عدم تسويق الجريمة أياً كان شكلها ومنفذوها وعليه فالدعوة لتجفيف منابع التطرف يجب أن تنطبق على ممارسات الحكومات بإزاء شعوبها وممارسات الدول العظمى إزاء دول العالم الضعيفة.

٢. غلق المنافذ الحدودية بين العراق ودول الجوار

٣. تجفيف منابع التطرف الاعلامية من قنوات وادعاءات ومواقع الانترنت وكل وسيلة تدعو إلى التطرف الديني سواء (شيعية أو سنية أو مسيحية أو صابئة).

٤. وضع قانون يدعو إلى فرض عقوبة لأي رجل دين يدعو إلى التطرف والارهاب

٥. توعية المواطنين وزرع حب الانتماء من خلال المدارس الابتدائية وتعلمهم الإخلاص في العمل والشعور بالمسؤولية والحفاظ على أرواح الناس وإيقاف سفك الدماء والتحلي بالشجاعة.

٦. تدعيم المشاركة الشعبية التي تقضي إلى القضاء على البطالة ومواجهة مشكلة المناطق العشوائية في بعض المدن وهذه تسهم في إحساس شريحة كبيرة من المجتمع بأنه يعاني من الإهمال وتجاهل الدولة، ان جميع اجهزة الدولة يجب الاهتمام بشرائح المجتمع والنهوض بها اجتماعيا وثقافيا. (محمد، ص ٣٤)

يجب على كل مؤسسات الدولة العراقية ومنظمات المجتمع المدني (الاسرة، المؤسسات التربوية، والمؤسسات الدينية والترفيهية) وضع سياسة منظمة مدروسة للقضاء على التطرف بالتعاون مع جميع الجهات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والمدنية والسياسية، فللجانب التعليمي والتربوي والاعلامي دور كبير في القضاء على التطرف، وعلى جميع المنظمات الإرهابية، وتكذيب الاشاعات التي تثير الإرهاب للمواطنين.

لعل أشد الأخطار التي تهدد وطننا العراق هو الفتنة الطائفية التي سعى المغرضون وأعداء الدين إلى بثها بين المسلمين ممن يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويتوجهون إلى قبله واحدة هي الكعبة من أبناء المجتمع الواحد الذين جمعهم الدين وجمعتهم علاقات حميمة فتلاحم أفرادهم وجمعتهم المصاهرة والنسب فلقد سعى أعداء الدين الذين تقف خلفهم سياسات وغايات اقليمية واستعمارية إلى قتل ابناء الشعب بأيدي ضعاف النفوس والجهلة والمرترقة من خلال بث الفكر التكفيري البعيد عن قيم الإسلام. (عبد الحميد، بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الارهابي ٨/٨/٢٠١٦)

المحور الرابع:

القيم والآثار الإنسانية لثورة الحسين (عليه السلام)

أولاً/ تجسيد الروح الإنسانية

كانت ثورة الحسين السبب في انبعاث الروح في الإنسان المسلم من جديد إذ كانت الآفات النفسية والاجتماعية تحول بين الإنسان المسلم وبين أن يناضل عن ذاته، وعن إنسانيته فجاءت ثورة الحسين وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة.

كان الإطار الديني الذي أحاط به الأمويون حكمهم العفن الفاسد يحول بين الشعب وبين أن يثور، فجاءت ثورة الحسين وحطمت هذا الإطار، وكشفت عن حقيقة الحكم الأموي، فإذا هو حكم جاهلي لا ديني، لا إنساني، تجب الثورة عليه وتحطيمه.

كانت المسلمات الأخلاقية تحول بين الإنسان المسلم وبين أن يثور. كانت قوانينه الأخلاقية تقول له: حافظ على ذاتك. حافظ على عطائك. حافظ على منزلتك الاجتماعية. فجاءت ثورة الحسين وقدمت للإنسان المسلم أخلاقاً جديدة تقول له: لا تستسلم. لا تسام على إنسانيتك، ناضل قوى الشر ما وسعك. ضح بكل شيء في سبيل مبدئك. كان الرضا عن النفس يحول بينه وبين أن يثور، ويغريه بالعودة عن التضحية (شمس الدين، ص ٢٣٥) فجاءت ثورة الحسين وخلفت في أعقابها لجمهاير كثيرة شعوراً بالإثم. وتائباً للنفس، وبرماً بها. ورغبة عارمة في التكفير، كانت كل هذه الأسباب تحول بين الناس وبين الثورة فجاءت ثورة الحسين ونسفت هذه الأسباب كلها، وأعدت الناس إعداداً كاملاً للثورة. وللروح النضالية شأن كبير وخطر في حياة الشعوب وحكامها فحين تكون الروح النضالية هامة، وحين يكون الشعب مستسلماً لحكامه، يشعر حكامه بالأمان، فيفعلون كل شيء، ويرتكبون ما يشاؤون دون أن يحسبوا حساب أحد، هذا من

جهة الحاكمين، وأمّا المحكومون فنلاحظ أنه كلما امتد الزمن بهمود الروح النضالية، سهل التسلط على الشعب، واستشرت فيه روح التواكل والخنوع، واستمرّ الرضا بحياته القائمة. ولم يعد يُرجى منة القيام بمحاولة جديدة لتطوير واقعة، وإثبات وجوده إمام حاكميه. وهذا يجعل إصلاحه وتطويره أمراً بالغ الصعوبة، ولقد كان الإمام علي عليه السلام حريصاً على أن تبقى روح الإنسانية حيّة نامية في الشعب، لتبقى للشعب القدرة على الثورة حين تدعو الأحوال للثورة. وتشهد لذلك هذه الكلمة التي قالها وهو على فراش الموت، من جملة وصيته:

لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه
(الكوراني، ص ٣٨٢)

ثانياً / ماذا استفادت الأمة من انبعاث الروح الإنسانية :

وقد يقول قائل: إنّ الروح الإنسانية التي بعثتها ثورة الحسين في الشعب المسلم، لم تطور واقع هذا الشعب بواسطة الثورات التي أشعلتها. لقد كانت الثورات تنشب دائماً، ولكنها كانت تخفّق دائماً، ولتسوق إلى الشعب إلا مزيداً من الضحايا ومزيداً من الفقر والإرهاب.

ونقول: نعم، إنها لم تطور واقع هذا الشعب تطويراً آنياً، ولم تقدم في الغالب أية نتائج ملموسة، ولكنها حفظت للشعب إيمانه بنفسه وبشخصيته، وبحقه في الحياة والسيادة، وهذا نصر عظيم. إن أخطر ما يبتلى به شعب، هو أن يقضى على روح النضال فيه، إنه حينئذ يفقد شخصيته، ويذوب في خضم الفاتحين، كما قدر لشعوب كثيرة أن تضمحل وتذوب وتفقد كيانها، لأنها فقدت روح النضال، ولأنها استسلمت وفقدت شخصيتها، ومقومات وجودها المعنوي، فأذابها الفاتحون. إن هذه الشعوب التي لم يحفظ لنا التاريخ

إلا أسماءها لم تأت من ضعفها العسكري، أو الاقتصادي وإنما أتت من فلسفة الهزيمة والتواكل والخنوع التي وجدت سبيله إلى النفوس بعد أن خبت روح النضال في هذه النفوس. (شمس الدين، ص ٢٦٦)

الاستنتاجات:

١. الإمام الحسين عليه السلام سفينة النجاة فمن ركبها نجا ووصل بر الأمان.
٢. كان عليه السلام مثالا لجميع الفضائل ومكارم الأخلاق وكان عليه السلام من أعبد الناس وأزهدهم وانبعث صوته بالفتح العظيم فاستوعب صداه جميع أنحاء العالم الإسلامي.
٣. الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام لا تستوعبه مجلدات لأنه مدرسة متجددة طوال الدهر تعطينا العبرة بجميع نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والأخلاقية.
٤. نظام التعليم مهم لتحقيق التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.
٥. الإنسان خصه الله تعالى بالعقل وكرمه وجعله ذا نزعة اجتماعية.

التوصيات:

١. على شبابنا الواعي أن يدرك مسيرة الإمام الحسين البطولية فكيف ضحى بكل ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحق والسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسير على نهجه.
٢. الحسين عليه السلام مصباح الهدى، وسفينة النجاة، فمن سار على نهجه توصل إلى بر الأمان، لأنه وضع دروس وعبر من نواحي شتى لذا علينا الاقتداء بمسيرة وشخص الإمام الحسين عليه السلام.
٣. التركيز على النصوص القرآنية الداعية إلى ثقافة التسامح والتعايش السلمي.
٤. أن يبنى المسلمون علاقاتهم بالآخرين داخل ديار الإسلام على الرعاية وفي الخارج على الدعوة حيث إن دين الإسلام يسع كل الشريعة.
٥. إقامة العدل بين الناس وتحقيق نظام ديمقراطي يوفر الفرص لكافة شرائح المجتمع
٦. الاهتمام بنظام التعليم ليشمل مختلف الأعمار لأن التعليم وسيلة العيش المشترك بين أفراد المجتمع.

المصادر

١. آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية.
٢. ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد ألقمي (ت: ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، كامل الزيارات، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ١٤٣هـ / ٢٠٠٩م).
٣. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٢١١؛ ينظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، المستدرک على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ج ٣.
٤. ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٩٩؛ الزيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت: ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، نسب قریش، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).
٥. أم الفضل: هي لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت ميمونة زوج النبي (ﷺ)، زوجة العباس بن عبد المطلب، روت أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ)، ولدت للعباس: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن، وأم حبيب. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٨.
٦. الأمالي، الشيخ الصدوق، المجموعة مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة كتاب الأمالي للشيخ الصدوق ابن بابويه أبو جعفر القمي، ٣٦٧هـ.
٧. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، فضل بن حسن الطبرسي، الجزء الرابع، المتوفى ٥٤٨هـ.
٨. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، فضل بن حسن الطبرسي المشهور بأمين الإسلام، الجزء الاول، المتوفى ٥٤٨هـ.

٩. الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين (عليه السلام)، ط ١، مؤسسة البلاغ، (بيروت، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
١٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، إعلام الوري بأعلام الهدى، ط ١، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لأحياء التراث، (قم، ١٤١٧هـ)، ج ١.
١١. العسقلاني، أسمه محمد بن مصعب القرقيساني. ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب.
١٢. عبد الحميد، معتز محي، البيئة السياسية المحركة لتنظيم داعش، بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الإرهابي، ٨ / ٨ / ٢٠١٦.
١٣. عز الدين، أحمد جلال، الاساليب العاجلة وطويلة الأجل لمواجهة التطرف والإرهاب في المنطقة العربية، بحث منشور في تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية أعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه مركز الدراسات العربي الأوربي القاهرة ٢٥-٢٧-١-١٩٩٤.
١٤. علي الكوراني، جواهر التاريخ، الجزء الأول.
١٥. عبد الحميد، حسن سعد، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ورقة عمل قدمت في بيت الحكمة (الفكر التكفيري واستراتيجية المواجهة) بتاريخ ١١ / ٨ / ٢٠١٦.
١٦. الفتوح، ابن أعثم، ج ٤ و ج ٥.
١٧. محمد، جاسم، الإرهاب والإرهاب السياسي (العراق، واليمن، وأفغانستان) عمان، الأردن.
١٨. مطلق، رسول، حقائق ووثائق عن فكر عصابات التطرف، ندوة بيت الحكمة عن فكر داعش الإرهابي بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠١٦.
١٩. نظام الحكم في الإسلام، الشيخ المنتظري، تحقيق لجنة الأبحاث الإسلامية في مكتب سماحته، الطبعة الأولى، السنة ١٣٨٠هـ.

مشروعية زيارة الأربعين مشياً وأثرها القدسي

ازهار جبار هادي

العتبة العلوية المقدسة (وحدة المكتبة النسوية)

ملخص البحث

يُعدّ البحث في موضوع المشي في الزيارة الأربعينية من البحوث المهمة والحساسة والفاعلة في زماننا الحاضر؛ لما نراه اليوم من توجّه وحضور شعبي واسع ولافت للنظر نحو إحياء شعائر ومراسم النهضة الحسينية الخالدة، وقد أضحت طقوساً مليونية يتابعها ويراقبها العالم بأسره، وبخاصة زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) التي ركز عليها جميع أهل البيت (عليهم السلام) وأولوها عناية فائقة للغاية، والحديث عن هذا الجانب من الوضوح بمكان عظيم، ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات هي (زيارة الأربعين المباركة) التي نحن بصدد دراستها، فقد حفلت هذه الزيارة بعناصر عقدية وفكرية وأخلاقية في منتهى الفاعلية، ولم تقتصر آثارها في شريحة محددة، لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي، فالجميع متاح له أن يتربى على مبادئها صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً. ومع ذلك توجد هناك شبّهات حول زيارة المؤمنين للإمام الحسين (عليه السلام) ولا سيما الذهاب سيراً على الأقدام إلى كربلاء المقدسة، فهناك الأصوات الناصبية، التي تكيل التهم والإشكالات على هذه الزيارة الشريفة، وتكفير أصحابها، بل وزج الشباب المسلم المغرر بهم جهلاً إلى تفجير أنفسهم بين صفوفها تقرباً إلى الله ورسوله، ويبقى السؤال عن أمر الإرهاب من أين أتى، هل من الإسلام المحمدي؟ أو من الكفر والنفاق الأموي؟ لذا سننطلق في هذا البحث من مضامين النصوص المباركة التي تؤكد على مشروعية واستحباب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين بصورة

عامة، وزيارته مشياً بصورة خاصة، وعلى أساس ذلك جاء هذا البحث عن الأربعين والذي أسميته: مشروعية زيارة الأربعين مشياً وأثرها القدسي واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم على: مقدمة، وخاتمة، ومبحثين، وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول على مطلبين، كرس المطلب الأول لمفهوم زيارة الأربعين في اللغة والاصطلاح، وذكرت في المطلب الثاني استحباب زيارة القبور بصورة عامة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الأربعين بصورة خاصة مع ذكر الروايات الدالة على ذلك.

أما المبحث الثاني: فكان عن مشروعية المشي إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في زيارة الأربعين ويحتوي على ثلاثة مطالب، الأول كان عن تاريخ المشي إلى العتبات المقدسة وإلى الإمام الحسين (عليه السلام)، والثاني عن الراحة النفسية والعقلية والمكتسبات الصحية لممارسة المشي في زيارة الأربعين المباركة، أما المطلب الثالث فتناولت فيه الروايات الدالة على استحباب المشي إلى زيارته في يوم الأربعين.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، ثبات النهج، أثره القدسي.

The Legitimacy of the Arbaeen Pilgrimage on Foot and Its Spiritual Impact

Azhar Jabir Hadi

(Bachelor's in History Holy Alawite Threshold (Women's Office)

Abstract:

Researching the topic of walking in the Arbaeen pilgrimage is considered an important, sensitive, and influential study in our contemporary era. This is due to the noticeable trend and widespread popular participation in reviving the eternal Husseini rituals. These rituals have become a massive global phenomenon, especially the pilgrimage to the shrine of the Master of Martyrs, Imam Hussein (peace be upon him), which has received the utmost attention from the Ahl al-Bayt (peace be upon them). Discussing this aspect of the pilgrimage is of great significance, considering the doubts and suspicions raised about visiting Imam Hussein (peace be upon him), especially when undertaken on foot to the holy city of Karbala

This research aims to explore the religious and spiritual legitimacy of visiting Imam Hussein (peace be upon him) on the day of Arbaeen and the specific practice of walking to his shrine. The study is titled "The Legitimacy of the Arbaeen Pilgrimage on Foot and Its Spiritual Impact." The research is divided into an introduction, a conclusion, two main sections, and a list of sources and references.

The first section discusses the concept of Arbaeen pilgrimage in both linguistic and terminological terms, as well as the desirability of visiting

graves in general and visiting Imam Hussein (peace be upon him) on the day of Arbaeen, with reference to relevant narrations.

The second section explores the legitimacy of walking to Imam Hussein (peace be upon him) during the Arbaeen pilgrimage. It consists of three subsections: the historical background of walking to the holy shrines and specifically to the shrine of Imam Hussein (peace be upon him), the psychological and mental relief, and the health benefits gained from walking during the blessed Arbaeen pilgrimage. The third subsection highlights narrations that emphasize the desirability of walking to visit Imam Hussein (peace be upon him) on the day of Arbaeen.

Keywords:Arbaeen pilgrimage, steadfastness of faith, spiritual impact.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعترته الطاهرين الميامين وصحبه المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين.

إما بعد:

يُعَدُّ البحث في موضوع المشي في الزيارة الأربعينية من البحوث المهمة والحساسة والفاعلة في زماننا الحاضر؛ لما نراه اليوم من توجّه وحضور شعبي واسع ولافت للنظر نحو إحياء شعائر ومراسم النهضة الحسينية الخالدة وقد أضحت طقوساً مليونية يتابعها ويراقبها العالم بأسره وبخاصة زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) التي ركز عليها جميع أهل البيت (عليهم السلام) وأولوها عناية فائقة للغاية والحديث عن هذا الجانب من الوضوح بمكان عظيم ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات هي (زيارة الأربعين المباركة) التي نحن بصدد دراستها فقد حفلت هذه الزيارة بعناصر عقدية وفكرية وأخلاقية في منتهى الفاعلية ولم تقتصر آثارها في شريحة محددة لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس ولا من حيث المستوى الثقافي فالجميع متاح له أن يتربى على مبادئها صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً. ومع ذلك توجد هناك شبهات حول زيارة المؤمنين للإمام الحسين (عليه السلام) ولا سيما الذهاب سيراً على الأقدام إلى كربلاء المقدسة فهناك الأصوات الناصبية التي تكيل التهم والإشكالات على هذه الزيارة الشريفة وتكفير أصحابها بل وزج الشباب المسلم المغرر بهم جهلاً إلى تفجير أنفسهم بين صفوفها تقرباً إلى الله ورسوله ويبقى السؤال عن أمر الإرهاب من أين أتى هل من الإسلام المحمدي؟ أو من الكفر والنفاق الأموي؟ لذا سننطلق في هذا البحث من مضامين النصوص المباركة التي تؤكد على مشروعية واستحباب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين بصورة عامة

وزيارته مشياً بصورة خاصة وعلى أساس ذلك جاء هذا البحث عن الأربعين والذي أسميته: (مشروعية زيارة الأربعين مشياً وأثرها القدسي) واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم على: مقدمة وخاتمة ومبحثين وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول على مطلبين كرس المطلب الأول لمفهوم زيارة الأربعين في اللغة والاصطلاح وذكرت في المطلب الثاني استحباب زيارة القبور بصورة عامة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الأربعين بصورة خاصة مع ذكر الروايات الدالة على ذلك.

أما المبحث الثاني: فكان عن مشروعية المشي إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في زيارة الأربعين ويحتوي على ثلاثة مطالب الأول كان عن تاريخ المشي إلى العتبات المقدسة وإلى الإمام الحسين (عليه السلام) والثاني عن الراحة النفسية والعقلية والمكتسبات الصحية لممارسة المشي في زيارة الأربعين المباركة أما المطلب الثالث فتناولت فيه الروايات الدالة على استحباب المشي إلى زيارته (عليه السلام) في يوم الأربعين.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع من أبرزها مؤلفات الشيخ محمد السند الخاصة بالشعائر الحسينية ومحمد باقر المجلسي وكتابه بحار الأنوار وكتاب كامل الزيارات لابن قولويه وكتاب للساعدي زيارة الأربعين دلالات وآفاق ودراسة لصادق المخزومي زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية فضلاً عن المعجمات اللغوية كمعجم العين للفراهيدي ولسان العرب لابن منظور.

المبحث الأول

زيارة الأربعين في الروايات الشريفة

ويتكون من المطالب الآتية :

المطلب الأول : مفهوم زيارة الأربعين المباركة :

١ - المعنى اللغوي للزيارة: من مجموع كلمات اللغويين والمفسرين تحصل أن الزيارة هي القصد والملاقة.

زور زاره زيارة وزورا قصده فهو زائر و(زور) وقوم (زور) وزاور مثل سافر وسفر وسفارة ونسوه (زور) أيضا و(زور) وزائرات والمزار يكون مصدرا وموضع (الزيارة) و(الزيارة) في العرف: قصد المزار إكراما له واستئناسا به (الفيومي، ص ٢٦٠)

وذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب (تزاورا): زار بعضهم بعضا. والتزوي: كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر والتزوير: أن يكرم المزور زائره ويعرف له حق زيارته (ابن منظور، ج ٦، ص ١١)

والزور (الزائر) وهو الذي يزورك: يقال رجل زور وفي الحديث: إن لزوارك عليك حقا وهو في الأصل مصدر وضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم (الزبيدي، ج ٥، ص ١٤٥)

٢- المعنى الاصطلاحي للزيارة: لا يكاد يخرج معنى الزيارة في الاصطلاح عن المعنى اللغوي وإن كان المتبادر هو زيارة المراقدين غالبا (عبد الحميد، ص ١٥)

إن ظاهرة زيارة القبور والاهتمام بالموتى من الظواهر المتكررة في تاريخ المجتمعات البشرية والمتبع لها يجد أنها لا تختص بالمجتمع الديني ولا بالمسلمين بل هي موضع اهتمام على اختلاف مشاريعها ومعتقداتها (الموسوي، ص ١١) وستحدث عن هذا الموضوع في المباحث اللاحقة.

وتعدّ الزيارات بصورة عامة واحدة من أهم الوسائل في إحياء الدين في النفوس وأبرز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات الفذة التي أرست هذا الدين وحفظته وفدت أرواحها وأموالها من أجل عزته ومن بين هذه الشخصيات العظيمة الإمام الحسين (عليه السلام) أما ما يخص بحثنا عن زيارة الأربعين التي هي مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر إلى النور من ثم يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم رفع معدن الذات والطينة الإنسانية (السند، ص ٧)

إن يوم الأربعين هو ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق ودفنه مع الجسد الطاهر في هذا اليوم وما مسير المؤمنين اليوم بأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة ومن جميع أنحاء العالم إلا تذكرة بمسيرة كربلاء الخالدة ويسمى هذا اليوم في العراق (مرد الرأس) وهو العشرين من صفر (السعدي، ص ٨٢). ومرد الرأس كما صرح به الكثير من العلماء: هو اليوم الذي رد رأس الحسين إلى جثته حتى دفن معها (الخوارزمي، ص ٣٣١. المازندراني، ص ٧٧. الطبرسي، ص ٢٥٠. ابن الجوزي، ص ٢٦٥)

إن العشرين من صفر هو يوم الأربعين وهو موضع وفاق الجميع إلا ما ذكره الشيخ البهائي في كتابة (توضيح المقاصد) فإنه جعل يوم التاسع عشر من صفر يوم الأربعين وهو المتفرد في قوله وذلك الاختلاف ناشئ عن احتساب يوم عاشوراء أو عدمه والظاهر عدم احتسابه لأن المقصود مضي ذلك المقدار من بعد الشهادة فيكون يوم الحادي عشر من محرم مضي يوم عنها وهكذا (البهائي، ص ٦. الأميني، ج ٦ ص ٣١٩ البدوي، ص ١٥٥. المجلسي، ج ١٠١، ص ٣٣٥) وقال السيد ابن طاووس: (فان قيل: كيف يكون العشرين من صفر يوم الأربعين إذا كان قتل الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء من محرم فيكون يوم العاشر من جملة الأربعين فيصير واحداً وأربعين) (ابن طاووس، ص ٦٦) فيقال: لعل إن الشهر كان ناقصاً أو يكون تاماً ويكون يوم قتل الإمام (عليه السلام) غير محسوب لأن قتله كان

أواخر النهار فلم يحسب من العدد.

وبهذه المناسبة تكونت زيارة الأربعين إذ تفد المواكب العزائية وآلاف الزائرين مشياً إلى كربلاء المقدسة يوم العشرين من صفر فإنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد عليه السلام وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه يجددون الاحتفاء بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الإمام عليه السلام.

ولقد ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات التي تشير إلى استحباب زيارة الحسين عليه السلام بصورة عامة وزيارة الأربعين بصورة خاصة وذكر البراهين الدالة على استحباب زيارة الأربعين وسنشير بنحو الإجمال إلى بعضها في المطلب الثاني من هذا البحث.

المطلب الثاني: مشروعية زيارة الأربعين في الروايات الشريفة :

قبلولوج في هذا المطلب الذي يتحدث عن مشروعية زيارة الأربعين في الروايات الشريفة وقبل ذكر الروايات الدالة على استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين سنتحدث عن زيارة القبور بصورة عامة وعن زيارة الحسين عليه السلام بصورة خاصة.

أولاً: زيارة القبور وأثرها العقدي على الفرد المسلم:

إن زيارة القبور تنطوي على أثار أخلاقية وتربوية وعقدية مهمة وتعد من الأمور التي أجمعت الأمة الإسلامية عليها وعلى استحبابها بلا فرق بين مذاهبها المختلفة ومارس ذلك كبيرهم وصغيرهم تشكّل زيارة القبور بصورة عامة وسيلة للاتعاظ والعبرة إذ يدرك الزائر للقبور بأن مصيره مهما طال فهو الفناء روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (زوروا القبور فإنها تذكر الموت). (السيوطي، ج ٤، ص ٩٠)

وتسهم في تعميق الاعتقاد باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الدين روي عن الرسول ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة). (السيوطي، ٤، ص ٨٩) وتؤدي زيارة القبور إلى تنمية مشاعر الخير وحب الفضيلة فأنها تعد وسيلة لتربية الإنسان المسلم على أن يكون ذا قصد إيجابي في فعله هذه بعض الفوائد التي تؤديها زيارة القبور.

إن أحد الأمور الأسس التي أقرها الإسلام بالعقل والنقل هو وجود الحياة بعد الموت وإن الأرواح تعيش في عالم برزخي بين الدنيا والآخرة فيه النعم وفيه العذاب فعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (الموتى نزورهم؟ قال: نعم قلت: فيعلمون بنا إذا آتيناهم؟ فقال: إي والله إنهم ليعلمون بكم ويستأنسون إليكم) (العالمي، ج ٣، ص ٢٢٢) دل ذلك على أن هناك باباً مفتوحاً بين الأحياء والأموات وقد أرشدت الشريعة الناس إلى طرقه لغايات وأهداف نبيلة وشريفة. (شعبص ٧) ومن الفوائد الدينية والعقدية في زيارة الأربعين:

١. يقول الإمام الرضا عليه السلام: (كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا) (المجلسي، ص ٥٨) فإن الولاية والبراءة تُعد من أهم فروع الدين وهو مشتق من الإمامة التي هي أصل من أصول الدين (أسود، ص ٥٦) فإن تأكيد مبدأ الولاية والبراءة يتجسد في زيارة الأربعين فالزائر يمشي إلى الحسين عليه السلام ولسانه يلهج في زيارته (إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم).

٢. ومن المواقف الدينية والعقدية في زيارة الأربعين هو التسليم والطاعة لأهل البيت عليه السلام مستجيبين بذلك الى نداء الله عز وجل حيث يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) ولا شك في أن زائر الإمام الحسين عليه السلام يعيش كل هذه المفاهيم العقدية والدينية المهمة التي نحتاجها في حياتنا اليومية (الصميانيص ١١٧).

٣. وكذلك فإن هذه الملايين الزاحفة نحو الحسين عليه السلام ستنتهي وتقف إمام قبره الشريف وتقرأ

في زيارته (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة) (القمي، ص ٤٦٣) ومثل هذه الشهادة هي تأكيد لمبدأ العصمة التي أثبتها القرآن لأهل البيت (عليه السلام) في آية التطهير حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)

٤. وهذا الأمر دين وعقيدة وإن القول بعصمة الحسين (عليه السلام) هو إيمان بقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) (الصدوق، ج ١، ص ٢١١) ويعد هذا الحديث هو الرد على الأقلام المشبوهة التي تسيء إلى الإمام (عليه السلام) ونهضته (الصمباني، ص ١١٣-١١٨)

٥. ان زيارة الأربعين المليونية السنوية للحسين (عليه السلام) تؤكد الهوية الإسلامية الحقة على وفق عقيدة أهل البيت (عليه السلام) ولا سيما بعد أن شوّهت صورة الإسلام المحمدي الجميل بأعمال القتل والإرهاب والتفجير والاتجار باسم الدين ونصرة سيد المرسلين حتى وصل بنا الأمر إلى درجة صار العالم ينظر إلى إسلامنا على أنه دين إرهابي داع للقتل وتقطيع الأوصال فلا بد من استبدال هذه الصورة بصورة الإسلام الرحيم العطوف البر الوصول وهنا يأتي عمل وجهد الموالين لأهل البيت (عليه السلام) والسائرين على دربهم ليؤكدوا للعالم أن الإسلام الأصيل عندنا لأننا ننتمي إلى أئمة طاهرين لأننا ننتمي إلى الحسين (عليه السلام) (الصمباني، ص ١٢١)

٦. فإذا ثبت أن لزيارة الأربعين هذه الفوائد العقدية العظيمة فهي تعد امتداداً للتوحيد فإن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) كما أعلن هو إنما لإبقاء الإسلام وإحياء شعائر الله عز وجل وترسيخها في قلوب الناس فهو الذي رسم قدسية العبادة وقدسية الشهادة في آن واحد وبهذا كان الإسلام كما يقال: محمدي الوجود حسيني البقاء (معاش، ص ٢٦).

ثانياً: زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الروايات الشريفة.

أما ما يخص زيارة الحسين فإن الأحاديث والروايات فيها تفوق حد الحصر والترغيب فيها لا يضاهيه ملحظ آخر والله ينظر إلى زوار الحسين (عليه السلام) والزائر مستجاب الدعوة

مغفور الذنب مقضي الحاجة والزيارة تفرج الهم والحزن والتوسل عند قبر الحسين يقضي الدين ويشفي الأمراض.

والطريف في زيارة الحسين عليه السلام أنها لا تقتصر على وقت فهو يزار كل يوم وكل أسبوع وكل شهر وقد تقتصر زيارة على زمن معين مخصوص فيه من الفضيلة ما فيه وقد تعددت الزيارات المخصوصة للحسين عليه السلام وإن زيارة الإمام عليه السلام ذات اعتبار خاص ولها آداب مرعية ومراسم معينة تعرضت لها كتب الأدعية والزيارات (الصغير، ص ٣٦٤) لقد تواترت الروايات في فضل زيارة الحسين بن علي عليه السلام ومنها على سبيل الإيجاز:

١. رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع مواقع السوء وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله (العالمي، ج ١٤، ص ٤٣١)

٢. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. (الكليني، ص ٥٨٢. القمي، ص ٢٦٢. العالمي، ص ٤١١)

٣. ويستحب أيضاً زيارة زائر الحسين عليه السلام حين القدوم أو استقباله فإن ذلك مما يحصل به ثواب الزيارة كما دلت عليه الأخبار. (الأصطهباناتي، ص ٦٢٣)

٤. ذكر بعض المؤلفين من أصحابنا عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا انصرف الرجل من إخوانكم من زيارتنا أو زيارة قبورنا فاستقبلوه وسلموا عليه وهنئوه بما وهب الله له فإن لكم مثل ثوابه ويغشاكم ثواب مثل ثوابه من رحمة الله وأنه ما من رجل يزورنا أو يزور قبورنا إلا غشيته الرحمة وغفرت له ذنوبه (المجلسي، ج ١٠٢ ص ٣٠٢)

٥. ورد في روايات كثيرة الآثار المترتبة على ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام ويعد من الجفاء للحسين عليه السلام وينقص من العمر بنحو لا تخلف فيه (التستري ص ٣٠٢) إذ ورد في

الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: من لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين.

وإن من دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة (الطوسي ، ص ٤٤ . القمي ، ص ٣٥٥ . المجلسي ، ص ٤) ومن نأت داره وبعدت شقته فإنه يزور الإمام الحسين عليه السلام من بعيد قال أبي عبد الله عليه السلام: إذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار فلتعل على أعلى منزلك ولتصل ركعتين فلتؤم بالسلام إلى قبورنا فان ذلك يصل إلينا (الطوسي ، ج ٦ ، ص ١٠٣)

هذا في زيارة الإمام عليه السلام العامة أما زيارته الحسين عليه السلام الخاصة فإن هذه الزيارة تزيد فضيلتها بخصوصية الوقت على أصل الفضيلة المطلقة وخصوصيتها في زيادة الأجر معلومة وان لكل واحدة أيضا اثر خاص وفضيلة خاصة وقد وردت فيها الأحاديث الكثيرة حتى يغني الاستشهاد بها عن البحث عن الأسبقية التاريخية وإن كانت مهمة في التوثيق التاريخي مثلا زيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة وليلة عيد الفطر ويومه وليلة عاشوراء ويومها وزيارة الأربعين وليلة عيد الأضحى ويومها وليلة الجمعة ويومها وليلة النصف من شعبان وغيرها من الأوقات التي لم يقدر معها الزائر على الحضور إلى القبر الشريف فيمكن الزيارة من بعد كما ذكرنا في بداية المبحث إذ إن المشترك في الزيارة من قرب أو بعد هو القربة إلى الله تعالى ومحبة الحسين عليه السلام لمحبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومواساة لأهل البيت عليهم السلام عن طريق زيارة الحسين عليه السلام (الجبوي ، ص ٨١-٨٢) .

ثالثاً: الأدلة على استحباب زيارة الأربعين في الروايات الشريفة:

لما كان لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ذلك الفضل العظيم والاستحباب الأكيد بل قد يقال بوجوبها الكفائي على الأقل فقد جاءت روايات الأئمة من ولد الحسين عليه السلام لتبين لنا أن هنالك أوقاتاً خاصة ومن تلك الأوقات زيارته في العشرين من صفر (زيارة الأربعين) وعلى أساس ذلك سوف نحاول جاهدين بإذن الله تعالى أن نسلط الأضواء

على هذا الأمر عن طريق الحديث عن سند هذه الزيارة الأربعينية المليونية فقد ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات التي تشير إلى استحباب زيارة الأربعين منها:

الدليل الأول: رواية الإمام العسكري: رُوي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين زيارة الأربعين والتختم في اليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (الطوسي، ص ٥٢. ابن طاووس، ص ٦٦. الطوسي، ص ٧٣٠. المجلسي، ج ١٠١، ص ٣٢٩. العاملي، ص ٤٧٨. البروجردي الطباطبائي، ج ١٥، ص ٢٧٧) وهذه الرواية وإن كانت مرسلة إلا إنه توجد الكثير من الروايات المتواترة التي تعضدها في الجملة (اليوسف، ١٨).

ومع ذلك يدعي بعض أنه لا توجد أي رواية تدل على زيارة الأربعين وأورد بعضهم إشكالا على حمل كلمة (الأربعين) في رواية الإمام الحسن العسكري عليه السلام على خصوص زيارة أربعين مؤمنا والجواب على هذا الإشكال إن ما فهمه العلماء في زمن صدور الحديث وما بعده وإلى يومنا هذا أن المراد من زيارة الأربعين خصوص زيارة الحسين عليه السلام وسار على هذا الفهم عموم شيعة أهل البيت عليهم السلام وكذلك دخول الألف واللام على كلمة أربعين ولا شك أن المراد من هذه الألف واللام خصوص العهد لا غيرها وإن دخولها على الكلمة تحوّلها من نكرة إلى معرفة مشخصة معروفة عند المخاطب ولو كان الغرض هو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمناً لقال الإمام عليه السلام وزيارة أربعين أورد المصنف في كتابه مقتل الحسين عليه السلام والتصرف في هذه الجملة (زيارة الأربعين) بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً التواء في فهم الحديث وتمحل في الاستنتاج يأباه الذوق السليم مع خلوه عن القرينة الدالة عليه» (المصنف، ص ٤٦٠)

والحاصل حيث لا توجد قرينة تدل على أن الأربعين هو أربعون مؤمناً وحيث إن اللام تفيد العهد وإن السيرة العملية للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين

من صفر وهذه السيرة مرتبطة ومتصلة بعمل الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعقائل الوحي وبعض صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) كجابر يتضح استحباب ومشروعية زيارة الأربعين الحسينية ولا يقصد من حديث الإمام العسكري (عليه السلام) ما توهمه بعضهم (شعب، ص ٤٠).

الدليل الثاني: رواية صفوان بن مهران الجمال عن الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار فتقول: السلام على ولي الله وحبيبه السلام على خليل الله ونجيبه السلام على صفي الله .. إلى نهاية الزيارة ثم تصلي ركعتي الزيارة وتدعو بما أحبت (ابن طاووس، ص ٦٦. الكفعمي، ص ٦٤٨. الطوسي، ج ٦، ١١٤. الأصبهاني، ص ٣٧٠. العاملي، ص ٤٧٨. القمي، ص ٥٤١).

الدليل الثالث: ما يروى عن جابر أنه روى عن عطا قال: كنت مع جابر الأنصاري يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصا كان معه طاهرا ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: سعد فجعل منه على رأسه وسائر جسده ثم مشى حافيا حتى وقف عند رأس الحسين (عليه السلام) وكبر ثلاثا ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق سمعته يقول «السلام عليكم يا آل الله السلام عليكم يا صفوة الله السلام عليكم يا خيرة الله من خلقه إلى نهاية الزيارة ثم انحنى على القبر ومرغ خديه عليه وصلى أربع ركعات الخ الزيارة (المجلسي، ص ٣٢٩. العاملي، ص ٤٧٩).

إنَّ المشروعية لزيارة الأربعين مستمدة من كلام الأئمة (عليهم السلام) مباشرة وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة لا من وصول السبايا إلى كربلاء في العشرين من صفر وإلى هذا أشار العلامة المجلسي في كتابه (زاد المعاد) ولعل تأخر ظهور إعلان الأمر منهم (عليهم السلام) بزيارة الأربعين إلى أيام الإمام الصادق (عليه السلام) يرجع إلى سعيهم للحفاظ على سرية تحركات شيعتهم كي لا يتم رصدتهم من قبل أعدائهم في زياراتهم في أيام محددة (زهر، ص ٢٦).

في ضوء ما تقدم تبين أن أحاديث الأئمة عليهم السلام حثت على زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين وجعلتها سنة متبعة فإنها مستمدة من كلام الأئمة عليهم السلام مباشرة وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة فلما إذا يلام الشيعة على زيارة الحسين عليه السلام وهو سيد الشهداء الأحرار الذي أنقذ أمته من خطر المحو والزوال في الحقيقة إن الأعداء أجهدوا أنفسهم كثيرا لكي يقفوا سدا منيعا أمام زيارة الأربعين وكانت في كل الأدوار معرضة للعدوان ففي عهد المتوكل العباسي الذي كان يمثل القمة في العدوان فكان يقطع الأيدي والأرجل ويقتل النفس ثم هدم حرم الإمام الحسين عليه السلام وأغرقه لكي يمحو أثره إلى رضا خان إلى صدام اللعين والوهابيين وأمثالهم الذين جاءوا في أدوار مختلفة من التاريخ مستهدفين زيارة الأربعين فلو كانت هذه الزيارة لا تحمل مضمونا دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا لما تعرضت لهذا المقدار من العدوان ولتركت كما تركت الصوفية التي تقيم شعائر معينة فهم يجلسون في مكان ما ويؤدون طقوسهم المعينة (الحكيم، ص ٧٥) ولكن بعد عام ٢٠٠٣م اتخذت الزيارة الأربعينية منحى آخر فقد أقيمت على الطرقات الخدمات التي تجهز الزائرين السائرين إلى كربلاء بما يحتاجونه في مسيرتهم.

ان هذه الزيارة تُعد وسيلة لبناء هوية تشمل جميع الشيعة في العالم وإن الذي يتحمل هذه المشقات والمعاناة وتحمل مصاعب الطريق في أثناء السير إنما في ذلك دلالة على عمق الواعز الديني لدى هؤلاء وإيمانهم بقضيتهم وامتنالهم لما حث عليه الأئمة عليهم السلام في هذا السياق متأملين أن تقضى حوائجهم وأن ينالوا الشفاعة.

يرى البحث أنه لا يوجد كلام على خلود شعائر سيد الشهداء عليهم السلام وأنها من شعائر الله وزيارة الأربعين تحديدا لأنها تستمد توهجها من قبسه المقدس كما صرحت بذلك العشرات بل المئات من الروايات عند الفريقين.

المبحث الثاني

مشروعية المشي إلى الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين المباركة

تحدثنا في المبحث الأول عن مفهوم الزيارة وكذلك عن استحباب زيارة القبور بصورة مطلقة واستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام بصورة خاصة والادلة الروائية على استحباب زيارته عليه السلام في يوم الأربعين ولما كان أهم مميزات هذه الزيارة هي ظاهرة المشي على الأقدام حرصاً من المؤمنين والمؤمنات على الزيادة في الأجر والثواب وتعظيماً لمقام السبط الشهيد عليه السلام واستجابة للنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في الحث على ممارسة المشي في زيارة الأربعين إذ يعدُّ المشي علامة بارزة في طقوسها فالمشي من الطقوس الدينية عموماً ليس فعلاً جسدياً أو حركياً فقط وإنما هو إحدى الفعاليات الحيوية التي يحصل الممارسة عن طريقها على حالة من التطابق الروحي والجسدي داخل الطقس وزيارة مرقد الحسين عليه السلام في كربلاء هو جزء من رحلة مقدسة يرغب الزائر بممارستها بمعزل عن الاستعانة بالوسائل التقليدية في التنقل والاستعانة بهذه الوسائل لا تحقق لممارسة الطقس انفصالاً كاملاً عن عالمه اليومي المعتاد ولا سيما إذا علمنا بأن الانفصال عن العالم المعتاد هو إحدى المراحل الأولى التي يتم عن طريقها الدخول في أجواء الطقس الأساسية (الخطاب، ص ٢٣٧).

لذلك عمدنا إلى ذكر الروايات الدالة على استحباب المشي إلى الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين المباركة مع ذكر الشبهات والإشكالات على هذه الروايات وقبلولوج في الروايات التي تدل على استحباب زيارة الأربعين مشياً يرى البحث أن يشير إلى نبذة تاريخية عن المشي إلى العتبات المقدسة وما هي تأثيرات المشي في الصحة العقلية والنفسية وما هي المكتسبات الصحية لممارسة المشي ولكي يتم المراد لا بد من الولوج في المطالب الآتية:

المطلب الأول

تاريخية المشي إلى العتبات المقدسة عامة

وإلى الإمام الحسين عليه السلام خاصة :

لا يخفى أن أصل المشي إلى العتبات المقدسة بصورة عامة كالمشي إلى مكة المكرمة يرجع تاريخه إلى آدم عليه السلام فإنه مشى إلى بيت الله سبحانه سبعين مرة ولقد حج الإمام الحسن المجتبي ماشياً على قدميه عشرين مرة (المجلسي ، ص ٣٣٢؛ الخرسان ، ص ٣٠؛ الموسوي ، ص ١٥٥) وأروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حج ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة من حسنات الحرم (ابن عابدين، ج ٢، ٥٠٧) وأولا يعود المشي لعدم راحلة يركبها وإنما كان تعظيماً لبيت الله الحرام والمقصود إليه.

أما المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً فقد جاء في بعض الروايات أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، زار الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء ماشياً على قدميه وكان جائياً من المدينة (المجلسي ، ج ٩٨ ، ٣٣٤ - ٣٣٥).

وقد قسم بعض الباحثين زيارة الحسين عليه السلام مشياً على أطوار (المخزومي، ص ١٨٥ - ١٨٦) الطور الأول: البدايات (طور إقليم ضيق): أن بداية المشي إلى قبر الحسين عليه السلام كائنة بقدم أهل بيته مشياً عائدين من الشام قدوم الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة مشياً.

الطور الثاني: (طور محلي ضيق): وهو الطور الممتد من زيارة الصحابي الأنصاري حتى منتصف القرن التاسع عشر إذ كان الموالون يأتون مشياً لزيارة قبر الإمام عليه السلام وكثير من آل البيت عليه السلام يأتون مشياً لزيارة القبر الشريف.

الطور الثالث: (طور محلي واسع) ١٨٥٠ - ١٩٦٠ م: خلال هذه المدة التي تزيد عن مئة سنة كان المواليون ينطلقون مشياً من النجف والحلة والكوفة ابتداء من ١٥ صفر سالكين طرق الحقول الزراعية في مجاميع صغيرة متفرقة.

الطور الرابع: (طور التسمية والوضوح وهو طور محلي متسع) ١٩٦٠ - ١٩٦٨ م: يطلق هذا الطور على الذين يمشون من ١٠ صفر حتى العشرين منه بـ (المشاية) يمشون إليه شوقاً على الرغم من توافر وسائل نقل حديثة وخلال هذه المدة أصبح طريق المشاة واضحاً يسلكه الآلاف من النجف والكوفة وسائر المحافظات.

الطور الخامس: (طور الانحسار والمنع) ١٩٦٨ - ٢٠٠٣ م: خلال هذه المدة تحجم إداء الشعائر الحسينية عامة بسبب ملاحقة النظام الصدامي لمقيمي هذه الشعائر وحبس الكثير منهم فتقلصت الشعائر عامة ومنها التحرك مشياً لزيارة الأربعين وظلت الحال هكذا حتى عام ١٩٧٧ م وفي هذه السنة منعت الشعائر عدا الطبخ وإقامة التعازي.

الطور السادس: (الطور الانفجاري) ٢٠٠٣ - ٢٠١٠ م: حينما سقط النظام الجائر وعادت الشعائر الحسينية على نحو انفجاري وتحولت حركة المشي إلى مواكب ومسيرات وسميت الحركة كلها بـ (مسيرة الأربعين) وهي مسيرة مترافقة متصلة لم يُشهد لها مثيل من قبل.

الطور السابع: (الطور الانفجاري العالمي) ٢٠١٠ - ٢٠١٦ م: خلال هذه المدة تدفقت الملايين من الزائرين القادمين من إيران والخليج والباكستان ولبنان ومن أوروبا وأمريكا بالطائرات والسيارات ليلبغوا النجف والمسير مشياً من هناك إلى كربلاء ثم أصبح المشي يبدأ من البصرة والعمارة والمثنى والكويت والديوانية وبغداد وديالى.. وسائر المحافظات.

إذن كان الناس في العراق منذ القدم يقصدون الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام في مناسبات معينة إلى يومنا هذا وأوضح تلك المناسبات هي زيارة الأربعين إلى أن جاء نظام البعث البائد فمنع هذه الشعيرة في مدة حكمه السوداء ولم يترك الناس هذه الشعيرة فكانوا يمشون إلى زيارته (عليه السلام) بالخفاء وبسبب الاضطهاد والظلم في العراق انتقلت هذه الشعيرة على نحو واضح إلى الأضرحة المقدسة في إيران وسوريا (الساعدي، ص ٢٥٥).

المطلب الثاني

الراحة النفسية والعقلية والمكتسبات الصحية لممارسة المشي

في زيارة الأربعين المباركة

إن ظاهرة المشي حافلة بالعديد من العناصر النفسية الإيجابية التي يمكن الاستفادة منها في علاج الأمراض النفسية والعقلية الصعبة فإن عملية المشي وحدها تعدّ من الأنشطة الصحية العامة إذ تقي أمراض القلب والأوعية الدموية ومرض السكر وضغط الدم والسمنة وقد أثبتت الدراسات النفسية تأثير المشي بنحو خاص على اعتدال المزاج عن طريق مساعدة الجسم لي توليد بعض الكيمائية المعروفة بالنقلات العصبية (السيروتونين والاندورفين) أو (endorphins and neurotransmitters serotonin) والتي ينتج عنهما الشعور بالراحة والفرح وتدخلهما بتنظيم العديد من النقلات العصبية المهمة ومن النتائج العلمية في هذا الصدد نفسه منها ما توصلت إليه جامعة أوترخت الهولندية إذ أشارت في دراستها إلى أن المشي ينفع الأشخاص المصابين بأولى مراحل الخرف وهو من الأمراض العقلية الشائعة عند كبار السن والتي يعاني المصاب بها من اختلال الذاكرة وعن طريق المشي تحصل على الراحة وانخفاض التوتر مع الشحن العصبي من جديد وقد أشارت دراسات كذلك إلى أن الإنسان يحتاج على الأقل أن يمشي عشرة آلاف خطوة في اليوم لكي يتمكن من أن يعيش حياة صحية (الساعدي، ص ١٤٥-١٤٦).

وإلى جانب ذلك فإن ظاهرة المشي في أثناء زيارة الأربعين فرصة حقيقية لمعالجة الأمراض ولا سيما الأمراض النفسية مثل الكآبة والخوف ويمتاز علاج المشي في هذه الزيارة بعناصر لا تتوافر خارج نطاقه إذ يؤدي السلوك الجمعي دوراً ملحوظاً في فاعلية العلاج بلا شك.

إن مشاركتك في أداء هذه الممارسة سوف تختلف طبيعتها ونتائجها عن ممارستك للمشي بنحو فردي ومنعزل عن الآخرين فالمشي ضمن المسيرة المليونية يزيد من إلفة الممارسة ويمنح الشعور بالأمن ويرفع من معنويات الممارسة ببذل الجهد المضاعف فضلاً عن معطيات الزخم الجماهيري وانعكاساته على الصحة النفسية إذ يعزز المشي مع الآخرين بدلاً من الانطواء على الذات والصراع مع مشاكل الوحدة والعزلة والوحشة وعادة ما ينجم من مشاركة المشي مع ذلك الجمهور الكبير صداقات حميمة وحوارات قصيرة تترك آثار طيبة في النفس ما ينعكس على الفرد بأحاسيس الرضا والسعادة (بشير، ص ٧٨-٧٩)

ومن المكتسبات الصحية للمشي في الزيارة الأربعينية:

فضلاً عن معالجة الأمراض وبخاصة الأمراض النفسية المعقدة المشار إليها فإن الخدمات التي يقدمها أثناء الطريق المتطوعون كالطعام والشراب أو محطات الاستراحة والتحفيز المعنوي يكاد لا يوجد له نظير في جميع أنحاء العالم والأهم من ذلك أن المشي في زيارة الأربعين المباركة يمتاز بشرف النية العبادية فالماشي لا يمشي لمجرد الرياضة أو تحسين حالته الصحية حسب بل ينطلق من نية التقرب الى الله سبحانه عن طريق الممارسة عينا وهذا ما يمنحه زخماً من التفاعل ومواصلة الأداء والشعور بالرضا المزدوج إذ يحصل جراء العمل على وفق النية العبادية على رضا الله وهو ما يترتب عليه الرضا النفسي والنظرة الإيجابية في تقييم المرء لذاته (الساعدي، ص ١٤٩).

ومن كل ما تقدم فإن عملية المشي ضمن إطار ممارسة زيارة الأربعين المباركة تعطي عناصر وأبعاداً ومعطيات نفسية في غاية الأهمية إذ تشترك العناصر العقلية والنفسية المتأتية من التواصل مع الله والآخرين في مشهد تفاعلي مستظل بمناجاة السماء ومكسو بطهر التراب الملامس لأقدام الزائرين مع تردد الندب الولائي الهادر في أجوائه ب «يا حسين.. كل هذه العناصر تشترك لتمنح هذه الممارسة طابعاً روحياً مميزاً غير قابل للتقليد والاستنساخ.

المطلب الثالث

مشروعية المشي في زيارة الأربعين المباركة في الروايات الشريفة والإشكالات والشبهات عليها.

اما بالنسبة لزيارته عليه السلام مشياً وهو ما يقوم به الموالون لأهل البيت عليهم السلام ولا سيما في الزيارات المخصصة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام كزيارة الأربعين فقد ورد في ذلك عدة من الروايات تدل على استحباب هذا العمل منها:

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا علي زُر الحسين ولا تدعه قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة. فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيء ولا غير ذلك فإذا انصرف ودعوه وقالوا: يا ولي الله مغفور لك أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً» (العالمي، ج ١٤، ص ٤٣٩).

٢. وعن الحسين بن ثوير ابن أبي فاختة قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين انه من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي عليه السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا

عنه سيئة وان كان راكبا كتب الله له بكل حافر حسنة وخط بها عنه سيئة حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين (البروجردى، ج ١٢، ص ٤٢٢)

٣. وورد في الرواية بين الخاصة والعامة عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «أفضل الأعمال أحمرها» (الفراهيدي، ج ٣، ص ١٦٨) (الخليج ٨، ص ١٧١) والمشي من أشد وأصعب وأكثر جهداً من الركوب فيكون أفضل قطعاً وكلما كانت مسافة أطول فهو أشد جهداً ومشقة فيكون أفضل بل وكلما كانت الظروف أصعب كان المشي أعظم أجراً فالمشي في زمن الخوف أو الحر أو البرد الشديد أو غير ذلك من الظروف الصعبة أكبر منفعة وثمرة دنيوية وأخروية من المشي بغير تلك الظروف عملاً بالحديث النبوي الشريف) (طالب، ٢٥٢-٢٥٣)

٤. أما الروايات التي تدل على الاستحباب في مشي النساء خاصة فمنها: ما جاء في كتاب (فضل زيارة الحسين) لمحمد بن علي العلوي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد النحوي قال حدثنا محمد بن علي بن شاذان قال لنا حسن بن محمد بن عبد الواحد قال لنا عباد بن جعفر قال أخبرني محمد ابن عبدويه عن يحيى بن مساور قال: كان جعفر بن محمد ﷺ جالساً فأقبلت امرأة من العرب فقال: مالي لم أرك منذ أمس قالت: كنت عند قبور الشهداء قال: تركت سيد الشهداء عندك قالت: من هو؟ قال: الحسين ﷺ قالت: أزوره؟ قال: نعم زوريه فإنه أفضل من حجة وحجة حتى عد عشر أفقلت: فما لمن زاره ماشياً؟ قال: له بكل خطوة حجة وعمرة (الشجري، ص ٦٢).

٥. وعن أم سعيد الأحسية عن أبي عبد الله ﷺ قالت: قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم فقال لي: زوريه فإن زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء (القمي، ص ٢٣٧. المجلسي، ج ١٠١، ص ٣. العاملي، ج ١٤، ص ٤٣٧) هذه الروايات وغيرها حثت الرجال والنساء على الزيارة وحدد لها أجر المشي وهو بكل

خطوة حجة وعمرة ولرب قارئ لهذه الأحاديث معاتباً بأن هذه الأحاديث عامة وليس فيها تقييد بزيارة الأربعين؟ إن من غايات زيارة الأربعين هو التأسّي والاقتداء بمسير سببا الإمام المظلوم عليه السلام حين رجوعهم من الشام إلى مدينة جدهم رسول الله ﷺ مروراً بكربلاء وكأن المواليين قائلين لهم: إن كنتم يا عيال ونساء الإمام الحسين قاسيتم الحر وعانيتم من صعوبة التضاريس الأرضية وأنتم مشاة فنحن مواسيكم على مر الدهور والأعوام وسائرون كما سرتهم مشاة حفاة حاملين على اكتافكم شدو الخلود ونشيد التضحية: لبيك يا حسين لبيك يا زينب لبيكم يا آل الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين) (الحسيني، ٢٦٨)

الاشكالات والشبهات على المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً:

هناك عدة من شبهات وإشكالات طرحها بعض المخالفين أو غيرهم وفي الحقيقة إنها لا تعدو عن كونها شبهات لا تصمد إمام الحقائق العلمية النيرة ولكن لما كان جملة من الناس قد يقع تحت تأثير هذه الادعاءات الباطلة لذا وجب علينا طرحها هنا ومنها:

أولاً: إن قطع مسافات طويلة يلزم الضرر:

إذا ترتب على أمر ما ضرر فلا يستحب بل يكون حراماً لكن نحن نعلم بأن هذا العمل (المشي) فيه ضرر ولكنه ليس من الضرر الذي لا يؤدي إلى هلاك النفس مثل قطع عضو من أعضائه أو ما شابه ذلك وعلى الخلاف من ذلك كما أشار البحث بأن للمشي منافع كثيرة منها الراحة النفسية وكذلك يبعث على حيوية الإنسان ونشاطه ولا سيما في عصرنا الحاضر فإنه أصبح قليل الحركة بسبب مستلزمات النقل الحديثة (السند محمد، ٣٣٥-٣٣٨)

ثانياً : الاختلاط بين الجنسين :

ومن جملة الاشكاليات ايضاً هو الاختلاط بين الجنسين أثناء المشي إلى زيارة الأربعين وهذا الاختلاط محرم والزيارة مستحبة فإن الركوب أولى من المشي .

إن هذا الاختلاط ليس محرماً فلا يوجد فتوى بحرمة الاختلاط المشار إليه؛ لأن الاختلاط تارة يكون من الازدحام كالحج وصلاة الجمعة وصلاة العيدين والمشي لزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أو الازدحام داخل الحرم الشريف فهذا العمل ليس محرماً في ذاته بل أفتى الفقهاء بكرامته على نحو عام كذلك الاختلاط الحاصل في الأسواق والجامعات والكلليات فلا يمكن منع الاختلاط مطلقاً وإنما الممكن هو نشر الدين والثقافة الدينية الشرعية (النجفي، ص ٢١٣)

يكتفي البحث بهذه الاشكاليات لأن المقام لا يسمح بذكر جميعها والمهم أن تحترم الشعائر الحسينية سواء كان مشياً أو ركوباً وذلك بالتزام الآداب العامة الموجودة فيها حتى لا تختلط هذه الشعائر ببعض المنافيات للآداب أو الضجيج أو الضوضاء فعلينا عكس هذه الشعائر على النحو اللائق بها .

واليوم ونحن نعيش في الألفية الثالثة وفي القرن الواحد والعشرين الميلادي نجد هذه الملحمة الحماسية التي لا نظير لها وهذا الطوفان البشري الهائل يزحف نحو قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وكلهم ينادون: لبيك يا حسين وهذا الانجذاب القلبي والعاطفي نحو الإمام وموقعيته المتجذرة في الوجدان الشعبي هو تحقيق لهذا الدعاء القرآني قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ (إبراهيم: ٣٧) فهذا هي أفئدة الملايين من الناس تهوي نحو قبر الحسين (عليه السلام) وتتلهم لزيارته فالزيارة لها مفاعيل وآثار روحية ومعنوية كبيرة وتعطي الإنسان طاقة حيوية قادرة على نقله من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية ومن النظرة المتشائمة إلى الشعور بالاطمئنان والسكينة والراحة النفسية .

إن الحشد الذي نشهده اليوم في مسرح زيارة الأربعين المباركة هو الحشد نفسه الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة فما أروع هذا التلاحم والترابط بين التزام قيادة المرجعية الشريفة وبين الذوبان في حب سيد الشهداء عليه السلام والوعي الكبير في إحياء شعائره وقد انعكست بركات إلتزام القيادة الشرعية كما انعكست نفحات هذه الزيارة المباركة بالذات على تحشيد أبناء الحشد ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو لافت للغاية (الساعدي، ص ٣١٦) فإن هذه الملايين تبعث برسالة مهمة فإنها ترفع صوتها الى كل حاكم جائر وظالم في داخل العراق وخارجة وانها تمثل أبواق وعيده للحكومات الظالمة لكل ما تقدم نقول هنيئاً لمن أخلص واهتدى الى محبة الحسين عليه السلام.

وعلى سبيل الختم يجدر بنا التذكير بأن ممارسة زيارة الأربعين المباركة تمثل أكبر تظاهرة إسلامية وإن تلك الجموع التي تسير كل عام لزيارة الأربعين مشياً على الأقدام ومرأى من العالم بأسره ومن كل مكان هي من أبرز مظاهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام وهي تظهر بحق انتصار الإمام الحسين عليه السلام على الطغاة على مدى التاريخ إلى يوم القيامة وإن تلك الشعيرة التي تتجلى في كل عام قد أدهشت وحيرت عقول المخالفين وأدخلت السرور والبهجة على قلوب الموالين.

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الآتية:

١. إننا وإن لم ندرك محضر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لتتعلم منهم ونترى على أيديهم إلا إن الله حفظ لنا تعاليمهم ومواقفهم وورغبتنا إلى زيارة مشاهدهم.
٢. إن مركز العتبات المقدسة يمثل فضاء يجتمع تحته جميع المؤمنين الذين يشتركون في وحدة المبدأ ووحدة الهدف ليمدوا جسور الترابط فيما بينهم فهي محطة إنسانية يقف عندها كل

من ينتصر للقيم الروحية ويقدر أصحابها والمضحين من أجلها ويتجلى ذلك واضحا في زيارة الأربعين.

٣. تُعد زيارة الأربعين المدة إلهيا ثورة مزعزة لكل الطواغيت في كل زمان ومكان لكونها حينما تعود وتعاد ليعتاد على ذكرها بزيارة صاحبها ﷺ والتي تسهم في إحياء الذكرى وإبقائها وأدامتها والتصدي لكل طاغوت ظالم وكافر بمن يشبه يزيد بن معاوية تحت شعار: هيهات منا الذلة.

٤. ثبت أن شعيرة المشي في أربعينية الإمام الحسين لها أصل في الروايات الشريفة لا كما يدعي بعض بأنها بدعة من بدعهم.

٥. من أعظم مظاهر الولاء لأهل البيت ﷺ هي تلك الجحافل والجموع التي نراها ويراهها العالم بأسرة تسير ولا من هدف لها إلا الوصول إلى البقعة التي اقتطفها الله سبحانه من الجنة ووضعها على الأرض.

٦. إن السير إلى أبي عبد الله ﷺ لا يمثل رفضاً للظلم الذي تعرض له آل بيت النبوة وينتهي الأمر عند هذه النقطة بل هو إعلان قائم لرفض الظلم والطغيان في أي زمان ومكان وهذا سر خوف الطغاة من هذه الملحمة الحسينية ومبادئها التي هددت ولا تزال تهدد عروش الظلم.

٧. إن الحشد الذي نشهده اليوم في مسرح زيارة الأربعين المباركة هو الحشد نفسه الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة فما أروع هذا التلاحم والترابط بين التزام قيادة المرجعية الشريفة وبين الذوبان في حب سيد الشهداء ﷺ والوعي الكبير في إحياء شعائره وقد انعكست بركات التزام القيادة الشرعية كما انعكست نفحات هذه الزيارة المباركة بالذات على تحشيد أبناء الحشد ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو لافت للغاية..

٨. إن الحسين ﷺ هو الناصر لولده المهدي وهو الذي يعد العدة له ﷺ لأن هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد

الحسين عليه السلام فهو الذي يوطئ للظهور ولنصرة ولده المهدي عليه السلام إذن المشروع المهدي قائم بالمشروع الحسيني.

٩. نقول أخيراً: إن العزة لله والعظمة لله والكبرياء لله وكل خير وفضيلة له لذلك عندما يقرأ الإنسان زيارة الأربعين يجد أنها تحتوي على أكبر عدد ممكن من كلمات «الله» لماذا... لأن فضل الأئمة إنما هو من الله فعندما يكرم الأئمة يكرمهم لأنهم عباد الله وداعون إليه وإدلاء عليه فإن الإسلام محمدي الحدوث علوي حسني التمهيد حسيني الخلود والبقاء.

١٠. التوصيات:

١. اجتناب إثارة المشاكل الخلافية أثناء الزيارة التي تؤدي إلى الفرقة والنزاع والصدام لأن التنازع يؤدي إلى الفشل.

٢. التركيز على الأهداف الكبيرة والعظيمة التي نهض واستشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام ومن أبرزها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفاظ على الدين والإصلاح والدفاع عن الإسلام.

٣. زيادة منسوب الوعي الديني والثقافي والعلمي عن طريق عقد الندوات العلمية والثقافية ونشر الكتب الدينية المفيدة بمختلف اللغات العالمية لتعريف العالم برسالة الإمام الحسين عليه السلام.

٤. تحويل هذه الزيارة إلى طاقة معنوية وعلاج روحي فالعلاج بالدين من أهم العوامل في علاج الكثير من الأمراض النفسية والروحية.

المشي في القرآن والسنة .. زيارة الاربعين أنموذجاً

م.هاشم محمد الباججي

مدير مركز الامام أمير المؤمنين للدراسات والبحوث التخصصية،

وايضاً اعلامي وكاتب ومحقق في العتبة العلوية المقدسة

info@imamali-cfssar.com

ملخص لبحث

فإنه ليس حرف في كتاب الله ولا كلمة ولا آية إلا ولها في مكانها التي هي فيه أسرار وحكم ومقاصد، علمها من علمها، وجهلها من جهلها؛ لذلك كثيراً ما ينبهنا الله تعالى إلى تدبر كتابه، وإلى التفكير في آيات هذا القرآن العظيم، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، بل لقد نعى الله تعالى على المؤمنين عدم لين قلوبهم وخشوعها عند سماعها لهذا القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (إلا أربع سنين).

ولهن القلوب أكثر وأكثر لتصحو وتستفيق من غفلتها نحو التدبر والتفكير في هذا القرآن العظيم، يضرب الله تعالى هذا المثل الذي يتخلل القلب ويهزه؛ وهو يعرض أثر القرآن في الصخر الجامد لو تنزل عليه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وهي صورة تمثل حقيقة؛ فإن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً، لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته. ولقد وجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجد، عندما سمع

قارئاً يقرأ: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [الطور: ١ - ٨] فارتكن إلى الجدار، ثم عاد إلى بيته يعودته الناس شهراً مما ألم به!

الكلمات المفتاحية : المشي، الأربعين ، القرآن الكريم ، السنة النبوية

Walking through the Qur'an and Sunnah...visiting the forty examples

M. Hashem Muhammad Al-Baji

Director of Al-Imam Amir al-Mu'minin Center for Specialized Studies and Research, and also a journalist, writer, and investigator a Imam Ali holy Shrine.

Abstract

It is not a letter in the book of Allaah, nor a word, nor a verse, except that it has in its place secrets, judgments and purposes, taught by those who know it, ignorance by ignorance; therefore, Allaah, May he be exalted, often warns us to study his book, and to reflect on the verses of this great Qur'an, as he says : لا do they not study the Qur'an { [women: 82], rather, Allaah, may He their hearts are to remember Allah and what has come down from the truth { [iron: 16] Ibn mas'ud said May Allah be pleased with him: "There was no difference between our Islam and the fact that we were punished by Allah with this verse ألم has it not been for those who believe that their hearts should fear the remembrance of Allah لا only four years".

To shake the hearts more and more to wake up and wake up from their inattention towards contemplation and reflection on this great Qur'an, Allah Almighty strikes this proverb that "permeates the heart and shakes it; it displays the trace of the Qur'an in the solid rock if you descend on it: ﴿ if we were to lower this Qur'an on a mountain, I would see it cracked out of fear of Allah and those proverbs we strike to people so that they might think { [Hashr: 21].

It is an image that represents reality; this Qur'an has a weight, authority, and a seismic effect, for which nothing that it receives is proven by its truth. Umar ibn al - Khattab (may Allaah be pleased with him) found what he found, when he heard a reader reading: ﴿ and the tur * and a book written in Parchment * and the built house * and the raised roof * and the jammed Sea * the torment of your Lord is for the reality * of his motive ﴾ [Tur: 1-8] so he leaned against the wall, and then he returned to his house, people return for a month from what he suffered!

Keywords: walking, forty , Holy Quran, Sunnah of the Prophet

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله المبعوث رحمة للعالمين

وعلى آله الغر الميامين

المشي كما هو معروف هو حركة الأقدام لتحريك الجسم والانتقال من مكان إلى آخر وقد ورد ذكر المشي في القرآن الكريم في عدد من السور مثل سورة (لقمان والفرقان والاسراء) حيث أعطى القرآن مساحة مهمة للمشي والمشي وصفته و أول صفة لعباد الرحمن ذكرها كتاب الله المجيد: أنهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ كما في (الفرقان: ٦٣) فهم يمشون بسكينة ووقار من غير أنفة أو استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر وهناك آيات كثيرة ذكرناها في البحث نُخبر عن هيئة المشي والمشي وصفاته وانواعه .

وكذلك أفردت السنة النبوية الشريفة وسيرة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين مساحة واسعة لكيفية المشي وآدابه وصفات المشي وحتى كيفية حركته فقد جاء عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا مشى مشى مشياً يعرف أنه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار سلام الله عليهم تذكر كيفية المشي و صفات الماشي ولم يغفل القرآن الكريم والسنة النبوية المشي بالنسبة للمرأة فقد وصف كيفية مشيها كما في (القصص: ٢٥) ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وقد فصلت السنة النبوية كيفية مشي المرأة المسلمة.

وقد قسّم العلماء من الناحية الشرعية المشي على عدة من أقسام (الواجب والمحرم والجائز والمستحب والمكروه) وبينوا تفصيلاته في كتبهم إذا طبقنا المشي في زيارة الأئمة سلام الله عليهم ولا سيما زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام) وجدناه ضمن القواعد الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية بل هو من الأعمال الممدوحة التي ندب إليها الأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين وقد ذكرنا في هذا البحث المتواضع الذي تم تقسيمه على مبحثين المبحث الأول (المشي في القرآن والسنة) والمبحث الثاني (المشي لزيارة الأربعين .. أنموذجا) وفي كل مبحث مطلبان.

المشي في القرآن والسنة

ورد ذكر المشي وكيفيته وصفات الماشي في العديد من آيات القرآن الكريم نذكر منها
الآتي:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢٠)

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾
(لأنعام: ١٢٢)

﴿أَلَمْ أَرْجُلٍ يَمْشُونَ فِيهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ فِيهَا﴾ (الأعراف: ١٩٥)

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ (الإسراء: ٣٧)

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا
رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٥)

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ (طه: ٤٠)

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ (طه: ١٢٨)

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ (طه: ١٢٨)

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ (النور: ٤٥)

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ (النور: ٤٥)

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (سورة الفرقان: ٧)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾

(الفرقان: ٢٠)

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص: ٢٥)

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (لقمان: ١٨)

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لقمان: ١٩)

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ (السجدة: ٢٦)

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (الحديد: ١٨)

﴿وَانْطَلِقْ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ (ص: ٦)

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك: ١٥)

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ (الملك: ٢٢)

﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾ (القلم: ١١٩)

ومن هذه الآيات البيّنات يتضح أن كلمة (المشي) أراد الله بها كحركة المشي والماشي وكذلك أراد الله بها الهدى.

المطلب الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشي وأنواعه

نعرض في هذا المطلب المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشي فالأول يطلق على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة والثاني يقصد به المعنى الذي اصطلح أهل فن معين على إعطائه لتلك الكلمة.

المعنى اللغوي:

فكلمة مشي تعبر عن نفسها بمجرد النطق بها (الجوهري: ج ٦، ص ٢٤٩٣. ابن منظور: ج ٦، ص ٤٢١٢)

وحقيقة هذه الكلمة ما يلي:

قال الراغب: المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة (الأصفهاني: ج ٢، ص ٣٧٧) وقال ابن فارس: الميم والشين والحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدل على حركة الإنسان وغيره والآخر النماء والزيادة.

والأول: مشى يمشي مشياً ومشيت مشواً ومشياً وهو الدواء الذي يمشي أي: يطلق البطن.

والآخر: المشاء وهو التناج الكثير وبه سميت الماشية. وامرأة ماشية: كثر ولدها. وأمشى الرجل: كثرت ماشيته (ابن فارس: ٥، ص ٣٢٥)

وفي المصباح المنير: «مشى: (يمشي) (مشياً) إذا كان على رجليه - سريعاً كان أو بطيئاً - فهو (ماشٍ) والجمع (مشاةً) ويتعدى بالهمزة والتضعيف و(مشى) بالنيمة فهو (مشاء). و(الماشية): المال من الإبل والغنم وهذا ما قال به ابن السكيت وجماعة وبعضهم يجعل

البقر من (الماشية) (الفيومي: ج ١، ص ٢٩٦)

فالشي إذا: الانتقال من مكان إلى آخر مشياً على الأقدام.

المعنى الاصطلاحي:

لا يخرج المشي في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فقد وردت كلمة المشي في الاستعمال القرآن ي (٢٣) مرة (عبد الباقي: ص ٦٦٧-٦٦٨) وجاء المشي في القرآن على وجهين (الدامغاني: ص ٤١٤-٤١٥)

الأول: المشي بعينه: [الفرقان: ٦٣]. يعني: المشي بعينه.

الثاني: الهدى: [الأنعام: ١٢٢]. يعني: يهتدي به.

أنواع المشي

جاء ذكر أدب المشي وأنواعه في القرآن الكريم في عدد من السور مثل سورة لقمان وسورة الفرقان وهناك أنواع للمشي ذكرها بعض العلماء (الجوزية: ج ١، ص ٧٥ و ٧٦) كالآتي:

١. مشية الخيلاء

قال الله تعالى عن وصية لقمان لولده: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٨-١٩)

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يعني مشية الخيلاء متكبراً جباراً عنيداً ﴿فإذا فعلت ذلك أبغضك الله يقول الله تعالى: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي:

مشية خيلاء متكبراً جباراً عنيداً فإن فعلت ذلك أبغضك الله ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لمختال المعجب في نفسه والفخور أي على غيره.

٢. مشي التماوت

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: بعد الاجتناب عن المرح فيه أي توسط فيه بين الدبيب والإسراع من القصد وهو الاعتدال (الالوسي: ج ١١، ص ٨٩)

فإذا مشي التماوت الذي يخفى فيه الصوت وتقل الحركات ويتزيا صاحبه بزي العباد كأنه يتكلف في اتصافه بما يقربه من صفات الأموات ليوهم أنه ضعف من كثرة العبادة هذا الذي يمشي مشية التماوت يريد أن يقول للناس: تعبتُ من كثرة عبادتي وصيامي إنني متعب في المشي.

هذا من أنواع الرياء لأن المسلم مطالب بإخفاء عمله حتى لا يظهر أثر العبادة أو لا يظهر الصيام فيكون خفياً وهو أقرب إلى الله تعالى.

فمشية التماوت التي يظهر صاحبها أنه عنده تعب شديد من العبادة فهذا أمر مذموم.

٣. مشي الهون

يقول الله -تعالى- في سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)

أول صفة لعباد الرحمن ذكرها: أنهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. ومعنى: هَوْنًا: أي بسكينة ووقار من غير جبرية يعني من دون تجبر ولا استكبار كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧)

فأما هؤلاء -يعني المؤمنين عباد الله- فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر.

والمراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله ﷺ: إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون تركض ركضاً وتهول هرولة وتسرع إسراعاً مبالغاً فيه مفرطاً فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة السكينة والوقار معناها أن نسحب أرجلنا سحباً على الطريق. وأتوها تمشون عليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا (البخاري: ٩٠٨. مسلم: ١٣٨٩)

٤. مشي السعي مشي الرمل

الرمل أكثر من السعي وهو إسراع المشي مع تقارب الخطى ويسمى الخشب أيضاً.

٥. مشي النسلان

وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي ولا يكرثه يعين العدو الخفيف الذي لا يسبب الإجهاد الكثير الهرولة اليسيرة فإذا أنت كنت تمشي مسافة طويلة وأردت أن تستعين بشيء لا يتعبك أو يخفف عنك المشي الطويل فعليك بالنسلان وهو الهرولة الخفيفة فعند ذلك ستجد أنك قطعت مسافة أكثر براحة أكثر.

٦. مشي الخوزلة

وهي مشية التمايل

ويقال: إن فيها تكسراً وتخشاً.

٧. مشي القهقري

وهي مشية إلى الوراء.

٨. مشي الجمزة

وهي مشية يثب فيها الماشي وثبة يقفز قفزاً.

٩. مشية التبخر

وهي مشية أولي العجب والتكبر وهي التي خسف الله - سبحانه - بصاحبها لما نظر في عطفه وأعجبته نفسه فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة قيل: إنه قارون.

وأعدل هذه المشيات: مشية الهون والتكفؤ.

مشي المرأة

حافظ الإسلام على كيان المرأة وهيتها وأنزل الله تعالى من فوق سبع سموات قرآن يتلى عن مشي المرأة العفيفة في الشارع قال الله سبحانه: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص: ٢٥)

لأن مشية النساء في الشارع تختلف عن مشية الرجال فالنساء لا بد أن تمشي بعفة وحشمة وحياء من دون أن تثير الآخرين وأن يكون مشيها على جانب الطريق والرجال في الوسط كما أخبر النبي ﷺ وهذا ما أخبر الله - تعالى - به في كتابه في سورة القصص عن المرأة بنت الرجل الصالح لما جاءت إلى موسى عليه السلام للحاجة لأن أباه لا يستطيع

أن يأتي هو بنفسه ليست بسلفعة خراجه ولاجة: تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وهذا من الأدب الإسلامي في مشية المرأة المسلمة.

المطلب الثاني

آداب المشي في القرآن والسنة

١. مشي عباد الرحمن

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩)

وجاء عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا مشى مشى مشيا يعرف أنه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان (المجلسي: ج ١٦، ص ٢٣٦) وروي عن رسول الله ﷺ: سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن (الريشهري: ج ٤، ص ٢٩٠٨)

وروي عن الإمام علي عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنها يتقلع من صلب لم أر قبله ولا بعده مثله (المجلسي: ج ١٦، ص ٢٣٦)

وكان الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام إذا مشى لا يجاوز يده فخذ ولا يخطر بيده وعليه السكينة والخشوع (المجلسي: ج ٤٦، ص ٩٨) وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: كان - علي بن الحسين عليه السلام - لا تسبق يمينه شماله وعنه أيضا عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يمشي مشية كأن على رأسه الطير لا يسبق يمينه شماله (المجلسي: ج ٤٦، ص ٧١)

وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): المشي المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويطفئ نوره
(الريشهري: ج ٤، ص ٢٩٠٨)

٢. المشي بتواضع

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾
(الاسراء: ٣٧)

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾
(لقمان: ١٨)

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض ومن تحتها ومن
فوقها (الأمين: ج ١٥، ص ٣٨١)

وعنه (عليه السلام): من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه
غضبان (الريشهري: ج ٤، ص ٢٩٠٩)

وروي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) - في صفة الطاؤوس : يمشي مشي المرح المختال
ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله (نهج البلاغة: ج ٢، ص ٧٣)

وعنه أيضا (عليه السلام) اعتم أبو دجانة الأنصاري وأرخى عذبة العمامة من خلفه بين كتفيه
ثم جعل يتبخر بين الصفين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلا عند
القتال (الحراي: ص ٣٤٤)

خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أصحابه وهو راكب فمشوا خلفه فالتفت إليهم فقال:
لكم حاجة؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين ولكننا نحب أن نمشي معك فقال لهم: انصرفوا
فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي.

قال: وركب مرة أخرى فمشوا خلفه فقال:

انصرفوا فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى (المجلسي: ج ٤١، ص ٥٥) وجاء عن الإمام علي (عليه السلام) - لما ورد الكوفة قادما من صفين أقبل حرب يمشي معه وهو (عليه السلام) راكب -: ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن (الريشهري: ج ٤، ص ٢٩٠٨)

٣. المشي حافيا

عمل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) على تربية أصحابه وتأديبهم في كل مفاصل الحياة لذا أمر النبي (صلى الله عليه وآله) الصحابة أن يحتفوا أحيانا من أجل أن يتعود الإنسان على الخشونة يخشوشن كما قال: وَتَمَعَّدُوا انتسبوا إلى معد بن عدنان يعني في هيأته وشيئله وأخشوشنوا (الطبراني: ١٥٤٣٠)

وفي رواية: واخشوشفوا: أي اعتادوا الخشونة لأن الإنسان تمر عليه ظروف ليس دائما يكون عنده أماكن الترف والأماكن المهيأة قد يضطر أن ينام أحيانا على الحجارة وأن يمشي بلا نعال فإذا كان هذا الإنسان مرفه ومترف لا يستطيع أن يتحمل شيء.

ولذا تجد الناس أصحاب الترف والميوعة لا يكادون يطيقون الحج ويقولون: تعبنا وجهدنا ونحو ذلك لأنه غير معتاد على المشقة هذا أول ما يقع في نوع من المشقة طواف طويل أو زحام ونحو ذلك يتأفف تأففا عظيما حتى أن بعضهم يفقد صبره ويتكلم بكلام لا يرضي الله تعالى.

وقد جاءت روايات كثيرة عن أهل البيت سلام الله عليهم تحبب المشي حافيا ولا سيما في زيارة بيت الله الحرام أو المسجد النبوي الشريف أو المشاهد المشرفة للأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وجاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وقد ذكر أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب عليه السلام فقال ابن مارد لأبي عبد الله عليه السلام ما لمن زار جدك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: يا ابن مارد من زار جدي عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدما اغبرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشيا كان أو راكبا. يا ابن مارد أكتب هذا الحديث بهاء الذهب (العالمي: ج ١٤، ص ٣٧٧)

و جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في مستحبات زيارة الإمام الحسين عليه السلام قَالَ: (إِذَا أَتَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَاغْتَسِلْ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ثُمَّ الْبَسْ ثِيَابَكَ الطَّاهِرَةَ ثُمَّ امْشِ حَافِيًا فَإِنَّكَ فِي حَرَمٍ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ وَ حَرَمِ رَسُولِهِ) (الكافي الكليني، ج ٤، ص ٥٧٥) وهناك الكثير من الأحاديث التي تحت على زيارة الأئمة سلام الله عليهم ونيل الأجر والثواب ماشيا أو راكبا منتعلا أو محتفيا ولكن الفیصل لهذه الأحاديث هو المعرفة وبشرطها وشروطها.

المشي في الاحكام الشرعية

مثل باقي الأفعال يمكن تصنيف فعل المشي في واجب ومكروه وجائز ومحرم ومستحب فلا بد أن يكون المشي في طاعة الله وأن لا يكون المشي الى معصية أو ما لا يرضاه جل وعلا فمثلا من الواجبات في المشي هو المشي للطواف حول الكعبة في الحج والعمرة والمشى بين الصفا والمروة وغيرها مما أبانه العلماء في موارد معينة وهناك المشي المستحب كالمشي الى صلاة الجماعة والجمعة والمشى خلف الجنائز والمشى لزيارة الأئمة والعلماء والصالحين وصلة الأرحام والأصدقاء والمشى الى مجالس العلم والمنفعة والمشى لعيادة المريض وغيرها من الأعمال المشابهة أما المشى الحرام فهو المشى الى معصية الله وهو من رجل الشيطان قال تعالى ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ (الاسراء: ٦٤)

أو مشى الخيلاء والتبختر والتغطرس فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها (الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٣٢٤)

أما المشي الجائز فهو المشي ليس في طاعة أو معصية مثلاً المشي للترفيه أو الرياضة أو ما شابه وهناك مشي مكروه فمثلاً سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن وكذلك بطء المشي بصورة كبيرة من غير مرض أو علة وأيضاً من المشي الكروه المشي بنعال واحدة.

كيف كان رسول الله ﷺ يمشي

روي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأً تكفؤاً كأنما ينحط من صلب إذا مشى تقلع - والتقلع الارتفاع من الأرض بجملته أي لا يسحب رجله سحباً كما يفعل بعض الناس وإنما كان يرفعها رفعاً ويضعها وضعاً - فكان يرتفع من الأرض بجملته كحال المنحط من صلب وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء وكان ﷺ أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها فكان ﷺ يمشي بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت (زاد المعاد في هدي خير العباد: ١/ ١٦١)

فهكذا كانت مشية رسول الله ﷺ فعباد الله المؤمنون يمشون على الأرض هوناً أي بسكينة ووقار وبلا تجبر ولا استكبار فلا تمش في الأرض مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً فهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أسر ولا بطر.

المبحث الثاني

(المشي لزيارة الأربعين .. انموذجا)

بعد أن عرفنا مشروعية المشي في الشريعة بصورة عامة وأقسامه وتفصيلاته من الناحية الشرعية من واجب ومستحب وحلال وحرام وجائز والمشي لزيارة الأربعين هو من مظاهر الولاء لأهل البيت عليه السلام إذ تُظهر بحق انتصار الإمام الحسين عليه السلام على الطُغاة على مدى التاريخ وإلى يوم القيامة وإنّ هذا العمل الذي يتجلّى في كلّ عام قد أدهش وحير المخالفين وأسبغ السرور والبهجة على قلوب الموالين المؤمنين وإنه عمل مستحب هدفه الوصول الى طاعة الله ورضوانه.

المطلب الأول

المشي لزيارة الأئمة عليهم السلام في التاريخ والشريعة

في البدء لابد من معرفة أن التنقل في زمن الأئمة عليهم السلام عبر وسائل النقل الدارجة في زمنهم عليهم السلام كان عبارة عن أمرين:

١. ركوب الدواب كالخيل والجمال والبغال والحمير.

٢. المشي على الأقدام.

ومما لا شكّ فيه أنّ جملة من الناس لا يمتلكون الدواب للتنقل في ذلك الزمان فيتنقل من مكان إلى آخر عن طريق المشي على الأقدام ولذا كانت تتم زيارة الأئمة عن طريق المشي وأول من يُنسب المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً - كما جاء في بعض الروايات - إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه إذ إنّه زار الحسين عليه السلام في يوم العشرين من صفر سنة ٦١ هـ - وقد كان هذا اليوم يصادف أربعين يوماً على شهادة الإمام الحسين عليه السلام - مشياً على الأقدام وكان قادماً من المدينة (المجسلي: ج ٩٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥)

فضلاً ذلك إنّ هذا اليوم قد رجعت فيه السبايا من أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) من الشام إلى كربلاء بعد ما لاقوا العذاب والعناء الشديد والظلم وقد حصل في هذا اليوم لقاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي جاء لزيارة الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام ثم زار التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي قبر الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام من الكوفة إلى كربلاء وكان تعدادهم في ذلك الوقت أربعة آلاف راجل وهذا مما أعطى زخماً كبيراً لزيارة الإمام الحسين في المناسبات فالموالون من الشيعة إنّما يزورن الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على أسرة الحسين (عليه السلام) وتأسياً بالصحابي الزائر جابر بن عبد الله الأنصاري والتوابون وغيرهم واستمر الموالون في العراق منذ ذلك الوقت يقصدون الإمام الحسين (عليه السلام) للزيارة مشياً على الأقدام في مناسبات معينة منها زيارة الأربعين.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: (اعلم أنّه ليس في الأخبار ما العلة في استحباب زيارة الحسين صلوات الله عليه في هذا اليوم والمشهور بين الأصحاب أنّ العلة في ذلك رجوع حرم الحسين صلوات الله عليه في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام وإلحاق عليّ بن الحسين صلوات الله عليه الرؤوس بالأجساد ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أنّه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في مثل هذا اليوم وصل من المدينة إلى قبره الشريف وزاره فكان أول زائر له من الإنس ظاهراً فذلك يُستحب التأسي به) (المجلسي: ج ٩٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥)

أمّا وجه التسمية فقال الشيخ الكفعمي: إنّما سمّيت بزيارة الأربعين لأنّ وقتها يوم العشرين من صفر وذلك لأربعين يوماً من مقتل [الإمام] الحسين (عليه السلام) وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب النبي رحمه الله من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين فكان أول من زاره من الناس وفي هذا اليوم كان رجوع حرم الحسين (عليه السلام) من الشام إلى المدينة (المجلسي: ج ٩٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥)

استحباب المشي لزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام

كما بينا في المبحث الأول هناك المشي المستحب وبيننا تطبيقاته كالمشي لأداء الصلاة في المسجد والمشي لصلاة الجمعة والمشي لزيارة المراقد المقدسة والمشي لزيارة المؤمن وغيرها وقد جاءت العديد من الروايات على ذلك.

فزيارة الأئمة عليهم السلام كزيارة النبي صلى الله عليه وآله من العبادات المستحبة عند جميع علماء الإمامية (رضوان الله عليهم) منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (من زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجةً وعمرةً فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجّتين وعمرتين) (العالمي: ج ١٤، ص ٣٨٠)

وقد وردت في ذلك الكثير من الروايات المتواترة المروية في الكتب ولا سيما الكتب الأربعة والإتيان إلى زيارة المشاهد المقدسة مشياً على الأقدام هو من الأمور المستحبة فمن الروايات الواردة في المشي إلى زيارة أبي الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام كثيرة جداً وقد عقد صاحب كتاب وسائل الشيعة باب مستقل في فضل المشي إلى زيارة الإمام عليه السلام فقد ورد في صحيحة الحسن بن علي الوشاء التي رواها الصدوق قضى في ثواب الأعمال (الصدوق: ص، ٩٨)

ورواها أيضاً (ابن قولويه) في كتاب المزار (ابن قولويه: ص ٣١٣-٣٢٧)

بسند صحيح قال: قلت للرضا عليه السلام: ما لمن أتى قبر أحد من الأئمة عليهم السلام؟ قال عليه السلام: له مثل ما لمن أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام. قلت: ما لمن زار قبر أبي الحسن عليه السلام؟ قال: مثل ما لمن زار قبر أبي عبد الله عليه السلام وظاهر هذه الرواية راجع إلى ثواب الإتيان فإذا كان المشي في الإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام أفضل من الركوب لزيارته كما أشرنا إلى الروايات فيه فيكون الثواب في الإتيان لزيارة سائر الأئمة عليهم السلام مشياً وركوباً كالإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام.

وهناك الكثير من الأخبار في فضل المشي إلى مرقد الحسين (عليه السلام) عن أبي عبد الله (عليه السلام):

(من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل) (بن قولويه: ص ٢٥٧)

عن جعفر بن محمد (عليه السلام):

أنه سئل عن الزائر لقبر الحسين (عليه السلام) فقال:

(من اغتسل في الفرات ثم مشى إلى قبر الحسين (عليه السلام) كان له بكل قدم يرفعها ويضعها حجة متقبلة بمناسكها) (الاميني: ج ١٤، ص ٤٨٣ - ٥٠٢)

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

(يا علي زر الحسين ولا تدعه) فقال له ابن ميمون: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال (عليه السلام): «من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحاه عنه سيئة ورفع له درجة. فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما يخرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شر ولا غير ذلك فإذا انصرفوا ودعوه وقالوا: يا ولي الله مغفور لك أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً) (ابن قولويه: ص ٢٥٥ - ٢٥٦)

لقد توزعت مراسيم المشي الى المشاهد المشرفة للأئمة في كثير من المناسبات نذكر منها:

١. المشي الى قبر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرى شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ٢٨ من شهر صفر.

٢. المشي في زيارة الأربعين الحسيني (٢٠ صفر).

٣. المشي في النصف من شعبان لزيارة الحسين (عليه السلام).

٤. المشي يوم عرفة (٩ ذي الحجة) لزيارة الحسين عليه السلام.

٥. المشي لزيارة موسى بن جعفر في ذكرى شهادته ٢٥ رجب الأصعب

علة استحباب زيارة الأربعين عند علماء الإمامية :

قال العلامة المجلسي رحمته الله (المجلسي: ج ٩٨، ص ٣٣٤): اعلم أنه ليس في الأخبار ما العلة في استحباب زيارة الحسين عليه السلام في هذا اليوم والمشهور بين الأصحاب أن العلة في ذلك رجوع حرم الحسين عليه السلام في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام وإلحاق علي بن الحسين عليه السلام الرؤوس بالأجساد وقيل: العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أنه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في مثل هذا اليوم وصل من المدينة إلى قبره الشريف وزاره فكان أول زائر له من الإنس ظاهراً فلذلك يستحب التأسي به.

وقال الشيخ الكفعمي (المجلسي: ج ٨٩، ص ٣٣٤): إنما سميت بزيارة الأربعين لأن وقتها يوم العشرين من صفر وذلك لأربعين يوماً من مقتل الإمام الحسين عليه السلام

رجحان المشي إلى زيارة المعصومين عليهم السلام وهذه بعض من آراء العلماء :

قال المحدث الفقيه الشيخ الحر العاملي قدس سره: ويستحب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً ذهاباً وعوداً (الطوسي ج ١، ص ٣٩٢)

وقال في موضع آخر: ويستحب المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وغيره (الطوسي: ص ٣٩٨)

وكلامه هذا ظاهر في استحباب المشي إلى زيارة جميع المعصومين عليهم السلام لا الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

وقال فقيه أهل البيت عليهم السلام الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره: والأفضل زيارته - أي: أمير

المؤمنين عليه السلام - ماشياً ذهاباً وعوداً (المامقاني: ج ٣: ص ١٥٦)

وقال قدس في موضع آخر: ويستحب اختيار المشي في زيارة الحسين عليه السلام على الركوب (المامقاني: ج ٣: ص ١٧٢)

وقال الفقيه الكبير الشيخ الميرزا جواد التبريزي قدس: فإذا كان المشي في الإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام أفضل من الركوب فيكون الثواب في الإتيان لزيارة سائر الأئمة عليه السلام مشياً وركوباً كالإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام (التبريزي: ص ١٣٠)

قال المرجع الأكبر السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس: لو نذر أن يحج أو يزور الحسين عليه السلام ماشياً انعقد مع القدرة وعدم الضرر (الكلبيكاني: ج ٢: ص ٢٠١)

وقد وافقه على هذه العبارة نفسها عدة من أعلام الفقه.

والوجه في دلالة العبارة المذكورة على رجحان المشي للزيارة هو: أن من الأبجديات المعروفة في فقه النذر: أن متعلق النذر يراعى فيه أن يكون راجحاً كأن يكون صوماً أو صلاة أو حجاً وإلا لم ينعقد النذر.

وهذا يعني بالضرورة أن المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام لو لم يكن راجحاً في حد نفسه بنظر هؤلاء الأعلام لما أفتوا بانعقاد النذر مع توافر القدرة وعدم الضرر.

وتدل بعض الروايات على استحباب المشي لزيارة الأئمة على نحو عام منها ما رواه الصدوق قدس سره في ثواب الأعمال والمشهدى قدس سره في كتاب المزار والسند صحيح في كليهما قال: قلت للرضا عليه السلام: ما لِمَن أتى قبر أحد من الأئمة عليه السلام؟ قال عليه السلام: له مثل ما لِمَن أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام. قلت: ما لِمَن زار قبر أبي الحسن عليه السلام؟ قال: مثل ما لِمَن زار قبر أبي عبد الله عليه السلام (الصدوق ص ٩٨. المشهدى ص ٣٢) ومن هنا نستدل بأن

قول الراوي: «ما لَن أتى قبر أحد من الأئمة؟ يشمل بإطلاقه جميع الأئمة عليهم السلام وقد أجابه الإمام: له مثل ما لَن أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام وهذا يعني أنَّ زيارة الأئمة الباقيين مستحبة كاستحباب زيارة الحسين عليه السلام هذا بالنسبة إلى أصل الزيارة.

وأما استحباب المشي إلى زيارة سائر الأئمة عليهم السلام فيقال فيه: بعد ما ثبت استحباب زيارة سائر الأئمة عليهم السلام وإنَّ زيارتهم كزيارة الإمام الحسين عليه السلام وبضميمة الروايات الأخرى الدالة على أفضلية المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام على الركوب لزيارته حيثُ ثبت أفضلية المشي واستحبابه لزيارة بقية الأئمة عليهم السلام.

المطلب الثاني

تجليات زيارة الأربعين في القرآن الكريم والسنة النبوية

لقد تجلت في زيارة الأربعين بصورة عامة ولا سيما في طريق المسير والمشي الى كربلاء الاخوة والوحدة الإسلامية بأجمل صورها من التعاون والمساعدة وإحياء ثقافة الأخوة من جديد وإعادة أواصر الأخوة التي تقطعت بفعل الجهل والمترفين.

فثقافة الأخوة تجمعنا جميعاً أصحاب طريق واحد يقول الله تعالى ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الانعام: ١٥٣)

وهذه الثقافة تدفع المسلم لمساعدة كل إنسان بغض النظر عن جنسه وقوميته ورفع الظلم عنه وتقديم الصدقات والمساعدات وتجعل المؤمن لا ينام وجاره جائع ولا يتأخر عن فك كرب المكروبين وهذا ما نلمسه واقعا في المسير الى كربلاء فترى الأخوة تتجسد بكل مصاديقها في هذه الزيارة فترى الناس يتسابقون في تقديم أفضل الخدمات يطلبون بها رضا الله لا غير.

إن ثقافة الأخوة تغلب دائماً المصلحة العليا على الصغرى وترفع راية العزة للمسلمين وتنصر المظلوم متى استنصر المؤمنين وتجعل كل فرد قبل الحاكم والعالم يعيش ليتعاون مع إخوان العقيدة ويتعارف معهم ويتبادل المعلومات والتجارب وهذا مظهر من مظاهر الوحدة بين بني الإنسان فكيف بين بني الدين الواحد والمنهج والشرع الواحد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)

ويحفظ الأرض والمال والعرض لأمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس فلذا أخذت مسيرة الأربعين صداها في العالم فكان لها حيز واسع من نفوس المؤمنين والمحبين لابي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأقل ما توصف به أنها تظاهرة واستعراض عظيم وحضور ذو مغزى لعشاق الإمام الحسين (عليه السلام) فهي مسيرة عشق وطاعة لله ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وتجسيد لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) لأن حب الإمام الحسين (عليه السلام) هو حب وطاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وحب الرسول وطاعته هو حب الله عز وجل وطاعته ومن ثم أصبح هذا الحب والطاعة مظهر يعكس الوحدة والتكاتف بين المسلمين وحتى غير المسلمين.

لقد مثلت الزيارة الأربعينية المعنى الصادق والحقيقي للوحدة والتعاون والتكاتف بين المسلمين في العراق إذ شكلت نوعاً من التوافق المشترك لجميع المكونات العراقية القومية والدينية والتعاون والتكاتف ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة آية: ٢) فكانت الأرضية المناسبة للاتفاق على القيم الدينية والتاريخية والإنسانية فالإمام الحسين (عليه السلام) وتضحيته أصبح رمزا يجمعهم ويوحدهم إذ وحد الشيعة عن طريق حبهم وولائهم وإخلاصهم لآل البيت (عليهم السلام) ويوحد العامة من أهل السنة عن طريق الولاء والانتماء الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويوحد أتباع جميع الأديان عن طريق الشعور الإنساني في

تحقيق العدالة ومحاربة الظلم ونصرة المظلوم وقد اتضحت بوادر الوحدة ومظاهرها في الزيارة الاربعينية من خلال الأنشطة المختلفة التي يقوم بها الجميع لاستقبال حشود الزائرين من داخل العراق وخارجه وهم يتوجهون الى كربلاء المقدسة لإحياء مراسم الزيارة نصرة منهم للمبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) ضد الطغاة في كل عصر ومصر ويمكن من خلال هذه الزيارة وهذا التجمع العظيم المتنوع يحقق الأهداف العظيمة التي وردت في القرآن الكريم من الإخوة والوحدة الإسلامية من خلال نشر الوعي والدعوة إلى بناء الإنسان فكريا وثقافيا وروحيا وترسيخ ثقافة السلام والاعتدال ومواجهة التطرف والعنف والإرهاب والوقوف بوجه كل من يحاول بث روح الفرقة والتناحر بين المسلمين (الشمري) (25/9/2021) <https://almerja.com/newsRead-25/9/2021-ing.php?idm=158296> h

الزيارة الاربعينية وتجلياتها في السنة النبوية

أكد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أقواله وأحاديثه ضرورة الوحدة والتعاقد بين أفراد الأمة الإسلامية فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (ابن حجر: ج ١: ص ٤٣٩) وفي الحديث الشريف شبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإيمان بالجسد الواحد بالمؤمنون لأن الإيمان أصل وفروعه التكليف فإذا أخل المرء بشيء من التكليف فإنه أخل بالأصل وكذلك الجسد أصل كالشجرة فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب وفي هذا الحديث يحث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين على ضرورة التراحم فيما بينهم.

لقد عمل الرسول المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على دفع المجتمع المسلم الذي عاش في كنفه للتطلع نحو القيم والمثل والكمال في أسمى مراتبه وأراد له التخلص من الميول والرغبات

المادية الدنيوية التي تُقعد المسلم في وحول الغريزة الحيوانية والنزعة الفردية الذاتية ليضمن من خلال ذلك السعادة والعدالة والخير للمجتمع ويحقق احتياجاته ومتطلباته في أرقى وأجلى صورها.

لذا وضع الرسول الأكرم ﷺ جملة من المبادئ الضرورية في إطار عمله لبناء مجتمع متماسك مترابط متواد متراحم وهذه المبادئ لا تتحدد في بيئة معينة وبجغرافيا خاصة وإنما هي صالحة لكل بيئة ولكل زمان ومكان ليكون أفرادها كتلة مترابطة متآخية متكاتفه مشعة بالعلم والإيمان والنور.

ومن أبرز القيم التي رسخها النبي الأكرم ﷺ هي الأخوة والتعاون في طرق الخير والبر ولا توجد فوارق بين الناس إلا على أساس التقوى والإيمان والعمل الصالح وحث أفرادها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنافسة في مساعدة الناس وتقديم الخدمات إليهم والانفتاح على كل الأجناس والأعراق والألوان وغيرها من القيم التي دعا لها الرسول الأكرم ﷺ من خلال الحكمة والموعظة الحسنة فكانت هذه القيم من الثوابت الإسلامية التي أرساها النبي الأكرم ﷺ وكانت منهجه وسيرته التي سار عليها في حياته ليكون الأسوة الحسنة التي تتصف بالديمومة والثبات (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة) (الكافي. الكليني: ج ١، ص ٥٨).

ومن خلال تطبيق عملي وتجربة واقعية عشتها سنين طوال في خدمة الزائرين ولا سيما في أيام زيارة الأربعين التي قد تستمر عشرة أيام أو أكثر فطوال الطريق الموصل الى كربلاء تتجسد كل هذه القيم التي أرادها الرسول الأكرم ﷺ فترى الزائرين متعاونين ويساعد بعضهم بعضا ومنهم من وطن نفسه لخدمة الزائرين وقضاء حوائجهم المادية والمعنوية من خلال بذل الأموال وغيرها. وترى التحول حتى في طريقة المعاملة والاحترام والتقدير والتعامل بالحكمة والموعظة الحسنة.

حقيقة تشهد أيام الزيارة الأربعينية في العراق من خلال المحافظات والطرق الموصلة الى كربلاء تجسيد حقيقي للقيم الإسلامية والسيرة النبوية الحقة في التأخي والتعاون وبذل الأموال والأنفس والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنافس في تقديم الخيرات بكل أشكالها.

نتائج البحث وتوصياته :

١. لقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية مساحة واسعة للمشي الممدوح الذي يكون في طاعة الله والمشي في زيارة الأربعين لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) هو من المشي الممدوح والمستحب لأنه طاعة لله ولرسوله ونوع من أنواع إظهار المودة والحب للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم كما جاء في الآية الكريمة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

٢. هناك صفات وآداب للمشي والمشي لابد للمؤمن أن يتصف بها وهي السكينة والوقار والتزام طاعة الله ووصايا الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين في آداب المشي ولا سيما المرأة المؤمنة التي يجب عليها أن تمشي باستحياء وأن تمشي على جانب الطريق بأدب واحترام وحشمة.

٣. لقد أضحي المشي لزيارة الأئمة ولا سيما الإمام الحسين (عليه السلام) في زيارة الأربعين شعاراً مهماً وواضحاً لمحبي أهل البيت (عليهم السلام) فلا بد من أن نجعل هذا الشعار مثلاً يحتذى به في المشي وآداب الطريق والتعاون والتألف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليمثل الصورة الحقيقية لمحبي أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم وليكونوا مصداق قول الإمام (شيعتنا كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم).

الخاتمة

لقد ورد عن الإمام المعصوم أن المشي الى الإمام الحسين عليه السلام له ثواب خاص يختلف عن الركوب وهذا يشمل جميع الأوقات وكل المناسبات الخاصة بزيارة الحسين عليه السلام فقد ورد عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: (من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحى عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة) وفي رواية أخرى عن أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غريفة له وعنده مرآزم فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبه من ولد اسماعيل).

ثم إن هناك خصوصية في زيارة الأربعين في المشي الى كربلاء فضلاً عما أسبق كونه تأسيساً بأسرة الحسين عليه السلام التي تحملت الآلام والمتاعب حتى وصلت الى الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين فمحبو الحسين عليه السلام يتحملون المتاعب مواساة لأسرة الحسين عليه السلام.

ولا شك أن تلك الجموع التي تسير كلّ عام لزيارة الأربعين مشياً على الأقدام بمرأى من العالم بأسره ومن كلّ مكان هي من مظاهر الولاء البارزة لأهل البيت عليهم السلام وهي تُظهر بحق انتصار الإمام الحسين عليه السلام على الطُّغاة على مدى التاريخ إلى يوم القيامة وأصبح المشي في كل عام في زيارة الأربعين ظاهرة تتجلى فيها كل القيم الإسلامية لذا قد أدهشت هذه الزيارة وحيرت عقول المخالفين وأفرحت المحبين والموالين.

المصادر

- القرآن الكريم

١. المصاحح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢. لسان العرب جمال الدين ابن منظور الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٣. المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٤. معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس الرازي المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت بلا.
٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب المصرية ٢٠٠٨ م.
٧. الوجوه والنظائر في القرآن العظيم الدامغاني تحقيق: عبد العزيز سيد الاهل ١٩٨٣ م.
٨. زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية مؤسسة الرسالة بيروت - مكتبة المنار الإسلامية الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
١٠. بحار الأنوار المجلسي وزارة الإرشاد الإسلامي ط ٢ ١٩٨٣ م.
١١. ميزان الحكمة الري شهري دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ ١٤٢٢ هـ.
١٢. وسائل الشيعة الحر العاملي تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ط ٢ ١٤١٤ هـ.

١٣. نهج البلاغة الشريف الرضي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بلا.
١٤. تحف العقول ابن شعبة الحراني تحقيق: علي أكبر الغفاري ط ٢ ١٤٠٤ هـ.
١٥. المعجم الكبير أبو القاسم الطبراني المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية بلا.
١٦. الكافي الكليني تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية طهران ط ٥ ١٤١٥ هـ.
١٧. ثواب الأعمال الشيخ الصدوق منشورات الرضى قم ط ٢ ١٣٦٨ ش.
١٨. كامل الزيارات (المزار) ابن قولويه تحقيق: الشيخ جواد القيومي لجنة التحقيق ط ١ ١٤١٧ هـ.
١٩. بداية الهداية أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٠. مرآة الكمال عبد الله المامقاني دار الأميرة - دار القارئ بيروت ط ١ ٢٠٠٥ م.
٢١. الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية الميرزا جواد التبريزي دار الصديقة الشهيدة ط ٤ ١٤٢٥ هـ.
٢٢. وسيلة النجاة وعليها تعلقتان شريفتان للسيد محمود الشاهرودي وروح الله الخميني أبو الحسن الأصفهاني مكتبة دار العلم قم بلا.
٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر أبو الفضل العسقلاني دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ هـ.

الأثر التربوي للخطاب الحسيني ودوره في الزيارة الأربعينية (شباب الأربعين أنموذجاً)

حوراء خضير عبيس

مجلة رياض الزهراء / العتبة العباسية المقدسة

hawraaalklabi6@gmail.com

ملخص البحث:

الخطاب الحسيني هو خطاب إسلامي أصيل متكامل الجوانب شرعياً وإنسانياً وأخلاقياً وقيماً واجتماعياً وسياسياً، إنه باختصار: منهج حياة

وتمّ لا شك فيه أنّ النهضة الحسينية قد رفدت الأمة بدروس وعبر، حري بها أن تتخذ منها مناراً تهتدي بهديه، ومنهجاً ترسم خطاه إذا ما أرادت أن تنجو من العثرات، وما يعصف بها من انحرافات، فقد كان الباعث الأهم لهذه النهضة، هو تصحيح المسار الذي جنح بالأمة، وإصلاح ما لحق بها من مفاسد.

لقد تصدى الإمام الحسين (عليه السلام) لهذه المهمة الصعبة، وما انطوت عليه من مخاطر، فكان للكلمة وقعها المدوي، أعقبه بالعمل ليكون العمل مصداق القول، في زمن خفت فيه صوت الحق؛ إذ أثر الناس العافية، فلاذ بالصمت من لاذ، وتهاوى من أخذه بريق الذهب.

الكلمات المفتاحية . الأثر التربوي الخطاب الحسيني الأربعين

The educational impact of the Hussein speech and its role in the Arbaeen visit "Young Forty Models"

Hawra Khudair Abbas

Journal of Riyadh al-Zahra (peace be upon her) / the al-Abbas's holy shrine

Abstract

Al-Husseini discourse is an authentic Islamic discourse that is integrated in its legal, human, moral, ethical, social and political aspects. In short, it is a way of life.

There is no doubt that the Hussaini renaissance has enriched the nation with lessons and lessons, from which it should take a beacon to guide its guidance, and a method that it should follow if it wanted to escape from the obstacles and the deviations that afflicted it. Misdemeanors of the nation, and fix the evils that befell it. Imam Al-Hussein, peace be upon him, faced this difficult task, and the dangers it entailed. The word had its resounding effect, followed by action, so that the action would be true to the word, at a time when the voice of truth was fainter. When people preferred wellness, he took refuge in silence from those who sought refuge, and he collapsed from taking the sparkle of gold.

keywords . The educational impact, Al-Husseini's speech, the forty

المقدمة

بسم الله العليّ القدير، بسم الله بديع السماوات والأرض ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على الأحمّد المحمود، قطر دائرة الوجود، والحبل الممدود بين العبد والمعبود، الذي تشهد باسم الله الأوحد، وقبل جميع الخلق تشّهد، ليعث في الأرواح السؤدد، ذاك أبو الزهراء محمد عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من التحيات أزكاها.

إنّ الخطاب الحسيني خطاب عالمي بامتياز يلاطف الوجود الإنساني لأنه أخذ من النبع القرآني الصافي وما يؤديه من تفعيل حركية النص والخطاب في هداية المجتمع الإسلامي خاصة، والبشرية عامة.

ويعدّ من أهمّ مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هوية الإنسان، فضلاً عن كونه المرأة التي تعكس مشاعره وانفعالاته واتجاهاته النفسية، يقابل ذلك متلقّي الخطاب الذي لا بدّ من أن تظهر آثار ذلك الخطاب عليه، وهو ما يعبر عنه بالانفعالات العاطفية سواء إيجابية كانت أم سلبية، وبفعل الرسالة الإلهية التي تضمّنها خطاب الإمام الحسين عليه السلام استجاب كثير من الأنصار إلى نداء القلب، وقبل ذلك إلى نداء الرب؛ وكذلك الحال في خطابات المسيرة الحسينية الأخر. ولا شك في أنّ التفاعل مع هذه الخطابات قد أخذ أبعاداً تربويّة متعدّدة، منها ذلك التفاعل العاطفي الذي أدّى إلى بذل النفس في سبيل الله، والوقوف إلى صف الفريق الحق، فريق الإمام الحسين عليه السلام.

وقد حمل الإمام الحسين عليه السلام إرث العظيم من بلاغة القول وفصاحة اللسان وقوة التعبير من جده وأبيه.

وتنطلق أهمية البحث من كون الإرث الثقافي العظيم الذي ينطلق منه الإمام الحسين عليه السلام

في خطابه بجمله من الآثار التربوية التي لم تقتصر على شريحة محددة لا من حيث العمر، ولا من حيث الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي فالجميع متاح له أن يتربى على مبادئها صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، أما مشكلة البحث فتتمثل في كيفية ترسيخ أثر الخطاب الحسيني في نفوس هذه الفئة (الشباب).

ومن هذا المنطلق قسمت البحث على تمهيد ومبحثين. تناولت في التمهيد مفهوم الأثر في اللغة والاصطلاح، وتوقفت في المبحث الأول على الخطاب الحسيني وروافده وكان على محورين الأول: مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح، والثاني روافد الخطاب الحسيني، وخصصت المبحث الثاني للخطاب التربوي الحسيني على شباب الأربعين وهو المحور الذي يدور حوله البحث ثم تأتي الخاتمة بأبرز النتائج.

التمهيد: مفهوم الأثر

أولاً: الأثر في اللغة

تعددت المعاني التي حدد بها الأثر في اللغة منها، قال الخليل (ت: ١٧٠هـ): أثر السيف ضربه، وتقول: (من يشتري سيفي وهذا أثره)، يضرب للمُجَرَّبِ المُخْتَبَرِ... قال الخليل: والأثر الاستقفاء والاتباع (الرازي، ج ١، ص ٤٢، ٤٣)

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) (أثر: الهمزة والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي... قال الخليل: والأثر بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقه. والآثار الأثر، كالفلاح والفلاح، والسداد والسدد)

وقال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: أثر وأثر، والجمع: الآثار. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾، ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. ومن هذا يقال للطريق المستدل به على

مَنْ تَقَدَّمَ: آثار، نحو قوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ﴾، وقوله: ﴿هُمُ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ ومنه: سميت الإبل على أثارة، أي: على أثرٍ من شحم، وأثرت البعير: جعلت على خفه أثره، أي: علامة تؤثر في الأرض ليُستدل بها على أثره، وتسمّى الحديدية التي يعمل بها ذلك المِثْرة. وأثر السيف: جوهره وأثر جودته، وهو الفرند، وسيف مأثور. وأثرت العلم: رويته، أثره أثراً وأثارة وأثره، وأصله: تتبعت أثره. (أو أثارة من علم)، وُقِرِّي: (أثرة) وهو ما يروى أو يكتب فيبقى له أثر. والمآثر: ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل) (الأصفهاني، ص ٦٢)

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): أثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده... والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً)) (ابن منظور، ج ١، ص ٤٢)

وذكر الفراهيدي في مصنفه: الأثر: بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن يُبْقَى عُلُقَةً (الفراهيدي، ج ١، ص ٦٥)

ثانياً: الأثر في الاصطلاح

من استقرى معنى الأثر اصطلاحاً، يجد له عدة من اطلاقات بحسب ما يراه أهل كل فن: فهو عند الأصوليين: ((قول الصحابي وفعله وهو حجة في الشرع)) (الكفوي، ص ٤٠) عند العامة: وهو عند المحدثين يطلق على: ((الحديث الموقوف والمقطوع كما يقولون جاء في الآثار كذا، ويطلقه على الحديث المرفوع أيضاً كما يقال جاء في الأدعية الماثورة كذا)). (التهانوي، ج ١ / ص ٩٨)

وهو عند الفقهاء يستعمل للدلالة على كلام السلف، وجميع ما يرد عنهم من الأخبار.

(التهانوي، ج ١ / ص ٩٨)

أما صاحب (التعريفات): فقال إن للأثر ثلاثة معانٍ:

الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث:

بمعنى الجزء) (الرجاني، ص ١١)

وقال المناوي الأثر: حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة) (المناوي، ص ٣٨)

من هذا نستنتج أن الأثر في الاصطلاح له عدة من استعمالات بحسب العلم الذي هو داخل فيه، فله في علم الحديث استعمال، وله في علم التفسير استعمال، وكذلك له في علم الأصول استعمال خاص أيضاً.

المبحث الأول

الخطاب الحسيني وروافده

المحور الأول / مفهوم الخطاب

يُعد مفهوم (الخطاب) من المفاهيم التي كثرت الكتابات فيها حديثاً، وتشعبت وجهات النظر إليها، واختلفت الآراء في دلالتها عند الناس اليوم، إذا تتبعنا هذا المفهوم عند علماء اللغة العربية تبين لنا نضج رؤيتهم له.

أولاً: الخطاب في اللغة

يقول الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) في معجمه « خطب: الحَطَبُ: سبب الأمر، نقول: ما خطبك. وخطبت على المنبر خطبةً بالضم. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً. وخطبت المرأة خطبةً بالكسر، واختطب أيضاً فيهما. والخطيب: الخاطب، والخطيبي: الخطبة » (الصحاح، الجوهري، ص: ٣٢٧)

ويقول الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ): « الخطب الشأن، والأمر صَغُرَ أو عَظُمَ، والجمع خطوب. وخطب المرأة خطباً وخطبة وخطيبي، بكسرهما، واختطبها، وهي خطبه وخطبته وخطيباه وخطيبته، هو خطبها، بكسرها، ويضم الثاني، والجمع أخطاب، فصل الخطاب: الحكم بالبينه، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بـ (أما بعد). (آبادي، ص: ٤٧٨)

وورد لفظ الخطاب في المصباح المنير بما معناه: (خاطبه) مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين، فيقال في الموعدة: خطب القوم وعليهم من باب قتل خطبة بالضم وهي فعلة بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة وغرفة من ماء بمعنى مغروفة وجمعها خُطَبَ مثل: غرفة وغرف

فهو خطيب والجمع الخطباء وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم.» (الفيومي، مراد، ص ١٠٦، ط ١، ٢٠٠٨)

يكاد الباحث في المعجمات اللغوية يجد إجماعاً على أن الخطاب «مراجعة الكلام» (للفراهيدي، ٤ / ٢٢٢؛ الأزهري، ٧ / ٢٤٧؛ الرازي، ٢ / ١٩٨، أبو الحسن، ٥ / ١٢٢؛ ابن منظور ١ / ٣٦١)؛ إذ يُعدّ خطاباً «كل كلام بينك وبين آخر» (الرازي، ١ / ٢٩٥).

ثانياً: الخطاب في الاصطلاح

المصطلح في عرف البحث العلمي هو ما تم الإجماع على حدّيته، حتى يكون مفهومه جامعاً مانعاً، وفي الحقيقة لا يحصل هذا المفهوم إلا بتظافر عدد من التعريفات من مناحٍ عديدة، إذ إن التعريفات تشكل أرضية المفهوم، وما دام الأمر يتعلق بمفهوم الخطاب، فإنه لم يقتصر الأمر على شيوع وورود (الخطاب) في كتابات العرب القدماء المتنوعة، وتعاملهم معه بطريقة تثبت اتفاقهم على وضوح مفهومه لديهم بل نجد أن الوضوح الدلالي لمفهوم الخطاب قد تجلّى في الكتب التي عُنيّت بالمصطلحات عندهم، إذ يبدو أنه استحال مصطلحاً مستقراً منذ القدم، ولا نلقى في هذه الكتب مشقة في معرفة المعنى الاصطلاحي له عندهم، إذ يجدهم يصرحون بأن الخطاب (توجه الكلام نحو الغير للإفهام) (نكري ٢ / ٦١، النسفي، ١٠٧، المناوي، ١٥٦)، أو (القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً) (الجرجاني، ١٦٩) .

إن هذا التعريف يحتوي على أمرين مهمين:

أولهما: الترابط الوثيق بين المعنى الاصطلاحي (للخطاب) لديهم، ومعناه اللغوي، الذي ذكرته المعجمات اللغوية، ويبدو أنه ترابط قوي سوغ له استعماله في كتاباتهم المختلفة التوجيهات من دون الإشارة للقارئ إلى مرادهم به، فهو في نظرهم على ما يبدو ليست به حاجة إلى بيان.

وآخرهما: التحديد الدقيق لطبيعة الخطاب أو ماهيته وبيان غرضه في تحقيق الفهم لدى المخاطب، إذ يتحقق الفهم بتصور المعنى من لفظ المخاطب (عيد، ص: ١٧)

إن الخطاب مفهوم أوسع وأشمل من الجملة، وإنما يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين: مخاطب ومخاطب، « فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي وشمولي، لا يتوقف على البعد اللساني وحده، ولا على البعد الاجتماعي والتاريخي الذي يعد النص انعكاسا لحركة الدلالة في التاريخ، ولا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد، ويمازج بين هذه الأبعاد نظرا وتطبيقا (الكفوي، ص: ٤١٩)

غير أن أبي البقاء الكفوي في كلياته يعطي مفهوما يأخذ في حسبان ما يزيد عن اللغة المنطوق بها أو المكتوبة إلى الإشارات، يقول: « الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. احترز » باللفظ « عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و » بالتواضع عليه « عن الألفاظ المهملة، و » بالمقصود به الإفهام « عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا، وبقوله: « لمن هو متهيئ لفهمه » عن الكلام لمن لا يفهم كالتائم والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى (سعدون هنون / ١٨) مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي، أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام.

المحور الثاني / روافد الخطاب الحسيني

لقد إقتدى الإمام الحسين عليه السلام بالقرآن الكريم وأتقن أسلوبه وطرق تعبيره، وحفظ نصه، وأحاط بكل صغيرة وكبيرة فيه من وجوه الإعجاز والتصرف بالألفاظ، وكان معلمه الأول في هذا الميدان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأباه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفضلاً عن ذلك فقد أحاط علماً بكلام جده وأحاديثه، وتمثل ما ورد فيها من أحكام وأوامر ونواهٍ، لأنها تمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، وكذلك تمثل كلام أبيه في خطابه ورسائله إلى ولاته وقادته وعماله وأعدائه، وأتقن ما ورد فيها من طرق التعبير وفنونه، وكان على قدر كبير من العلم بكلام العرب وأيامها وأنسابها وطرق تعبيرها في نشرها وشعرها.

إنّ هذا الإرث الثقافي العظيم هو الذي مثل بنية الخطاب الحسيني، وقد استمد الإمام الحسين عليه السلام منه كثيراً من الأفكار والدلالات للتعبير عن أهداف ثورته ضد الظلم وإقامة الحجة على القوم الذين يوجه إليهم خطابه في مختلف مراحل هذا الخطاب، وقد بدا أثر القرآن الكريم وحديث الرسول واضحاً في بنية هذا الخطاب بدءاً من مغادرة مدينة جده رسول الله إلى مكة المكرمة، ثم إلى كربلاء حيث جرت معركة الطف وانتهت باستشهاد الإمام ومن معه.

من أهم روافد الخطاب الحسيني:

أولاً: القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله ﷺ، وتحدى به العرب فأعجزهم رغم كونهم أرباب البلاغة، وفرسان الفصاحة، وقد بهرهم ما سمعوا من أسلوب القرآن وطرق نظمه، فأصبح معجزة الرسول ﷺ، وقد ترك أثراً كبيراً في حياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها.

وقد دأب الخطباء والأدباء والشعراء في تضمين نصوصهم من آياته وألفاظه وتراكيبه بنصها أو بمعناها؛ لما يتركه ذلك من أثر كبير في نفوس السامعين، وقد زين هؤلاء كلامهم بآياته وأمثاله وصوره، وأفادوا منه في تصوير المشاهد وتقريبها إلى الأذهان وإعطائها صيغة التجدد والحيوية (الياسري، ص ٢٩).

والإمام الحسين عليه السلام مثل غيره من الخطباء، الذين يدافعون عن قضية أمة ومصير عقيدة، ويقفون في وجه الظلم والاستبداد، يريد أن يكون لخطابه أثر في نفوس المخاطبين لذا نجده يلجأ كثيراً إلى النص القرآني فيوظفه في أكثر من صورة، فهو أحياناً ينثر الألفاظ القرآنية والتراكيب في عباراته التي يصوغ بها خطابه، فتدخل هذه الألفاظ والتراكيب بنية الخطاب؛ لتزيده قوة وثباتاً وتأثيراً في نفوس السامعين، ويستطيع القارئ أن يتلمس بيسر أثر الألفاظ القرآنية في بنية الخطاب الحسيني (المقرم / ١٧٤) ويمكن أن نمثل لما ذكرناه بما ورد في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية والمسلمين حين أراد مغادرة مدينة جده إلى مكة المكرمة، بعد حديثه مع واليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وما جرى في ذلك المجلس من كلام، يقول الإمام: (وإنّ الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وإنّ الله يبعث من في القبور) (المقرم / ١٧٣).

يتضح من هذا المقطع غلبة الألفاظ القرآنية على بنية الخطاب، بل يمكن القول: إن الخطاب في أساسه بني على فكرة قرآنية هي الثواب والعقاب وقيام الساعة وبعث من في القبور، وقد عبر الإمام عن هذه الفكرة بألفاظ (الجنة، والنار، والساعة، وبعث، والقبور)، التي هي مبدأ من مبادئ الدين الإسلامي، وكذلك عندما عزم الإمام الحسين (عليه السلام) على الخروج من مكة إلى العراق وجه خطاباً إلى المسلمين بناء على الفكرة القرآنية في حتمية الموت وزوال الدنيا وقد ضمن خطابه طائفة من أسماء الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم (آدم، ويوسف، ويعقوب) يقول:

«خطّ الموت على وُلد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يُوسُف وخير لي مصرع أنا لاقيه» (الطبري، ٥ / ٤٢٥)

وقد سلك الإمام أسلوباً آخر في توظيف النص القرآني؛ إذ نجده يقتبس آيات بنصها، ويدخلها في سياق خطبه ورسائله، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير في نفوس السامعين، ذلك أن آيات القرآن الكريم التي يختارها الإمام ويدخلها في سياق الخطاب يكون لها تأثير كبير في السامعين قال (عليه السلام):

«وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم».

﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس: ٧١)، ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦) (هنون: ٣٣)

في هذا النص استحضر الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال الآيات التي أدخلها في سياق كلامه حالة نبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه الظالمين، ليشير إلى النهاية التي تنتظر هؤلاء القوم إذا استمروا في ما هم عليه من الضلال، وهي شبهة بنهاية قوم نوح الذين أهلكهم الله

بظلمهم، فالإمام الحسين عليه السلام أراد إيصال رسالة إلى أسماع هؤلاء القوم ليبين من خلالها أن الله سوف ينصره ويخلده مثلما نصر نوحًا، وأهلك قومه الكافرون.

وفي آخر خطاب له في كربلاء حينما عرف عزم القوم على قتله وإصرارهم على تنفيذ أوامر أسيادهم الظالمين، وضع إمامهم النهاية التي تنتظرهم بعد قتله، ليكونوا على بينة من أمرهم، ويعرفوا النهاية السوداء التي تنتظرهم، وبين لهم استعدادده ومن معه للقتال، ودعاهم إلى مواجهته محتجًا عليهم بآيات من القرآن الكريم قال عليه السلام:

(أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدي)

﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (يونس: ٧١)، ﴿مَنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (هود: ٥٥) (المفيد: ٢٢، الكوفي، ١٤٣: ٥)

إن ما تقدم يمثل شواهد من توظيف الإمام الحسين عليه السلام للنص القرآني في خطابه، وإفادته منه في أساليب نظمه، وطرق تعبيره، في بناء خطابه الذي خاطب به القوم المحتشدين لقتاله، لكي يلقي عليهم حجته، ويبين لهم سبيل الهدى والرشاد، ويبصرهم بما غفلوا عنه، ويوضح لهم النهاية التي تنتظرهم بعد قتله، لكنهم صموا آذانهم إمام نداء الحق ولم يسمعوا النصيحة، لقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، وذكر الآخرة.

ثانياً: الحديث النبوي الشريف

الحديث النبوي الشريف هو كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى، ويعد الحديث مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، ويأتي بالدرجة الثانية من حيث الفصاحة بعد القرآن الكريم، فالرسول الكريم أفصح من نطق بالضاد، وقد ترك لنا ثروة هائلة من الأحاديث في مختلف ميادين الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية نقلها إلينا عدد من الصحابة والتابعين، وقد أصبح الحديث النبوي، مصدراً من مصادر الدراسات والتشريع، وقد أفاد منه الخطباء والشعراء والأدباء في خطبهم وأشعارهم، وقد نص القرآن الكريم في كثير من آياته على إطاعة الرسول ﷺ، وقرن طاعته بطاعة الله سبحانه وتعالى، ومن هنا كان الحديث النبوي وسيلة من وسائل الاحتجاج عند من يريد بيان رأي، ودفاعاً عن فكرة أو عقيدة، وقد أفادت منه كثير من الفرق الكلامية في الساحة الإسلامية في الدفاع عن معتقداتها وأفكارها.

والإمام الحسين عليه السلام في ثورته ضد الظلم والطغيان، جعل من الرسول ﷺ وحديثه مرتكزاً من أهم مرتكزات هذه الثورة، واتخذ منه وسيلة من وسائل الاحتجاج على القوم وإيضاح الحق من الباطل، ويمكن أن نلاحظ ذلك من جانبين:

الأول: اقتباس أحاديث الرسول بنصها أو بمعناها وإدخالها في بنية خطابه، لأن السنة تمثل جانباً من جوانب التشريع الإسلامي، وما ورد منها في كلام الرسول يعد التزامه واجباً شرعياً على المسلم، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذه المسألة بقوله:

(لا يرد إلا في المواقف التي يتطلب فيها إظهار الحجة والبرهان، والقصدية في ظلم حق أهل البيت وإنكاره ووضحة عند الأمويين) (هنون: ٣٣)

ويبدو من هذا أن الإمام الحسين عليه السلام يستعمل الحديث النبوي في مواقف محددة يريد

من خلالها إثبات حق أهل البيت في تولي أمور المسلمين، وبيان الظلم الذي تعرضوا له.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في خطبة له إمام القوم في كربلاء: (أيها الناس إن رسول الله قال: (من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) (الترمذي، ٤ / ٤٩٦؛ ابن الاثير، ٣ / ٢٨٧)

ويبدو واضحاً من نص هذا الحديث أن الإمام الحسين أراد من الاحتجاج به، إثبات حقيقة لا تقبل الشك هي مسؤوليته تجاه الأمة في ظل حكم جائر، لأن قول الرسول يسوغ الثورة على الحاكم الظالم الذي تعدى حدود الله، وحكم بغير ما أنزل الله، فالإمام الحسين وارث النبي، وهو صاحب الحق في تولي قيادة الأمة، وهو أول المعنيين بهذا الحديث (الياسري، ص ٣٥).

ومن صور احتجاجه بالحديث النبوي ما ورد في خطابه بين المعسكرين، وحديثه مع جيش عمر بن سعد، قبل أن يبدأ القتال، قال: (أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتُموني بما أقول وهو الحق، فوالله، ما تعمّدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله،...) (ابن الأثير، ٢ / ٥٦١).

إن الإمام الحسين عليه السلام أراد من الاحتجاج بهذا الحديث تذكير القوم بالمكانة الكبيرة له ولأخيه الحسن عند الله ورسوله، فهما سيّدا شباب أهل الجنة، وهما إمامان إن قاما وإن قعدا، وطاعتهم مفترضة، ولا شك أن هؤلاء القوم يعرفون ذلك حقاً وصدقاً وبينهم من سمع ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله.

لقد أراد الإمام من هذا إلقاء الحجة على هؤلاء القوم، وأراد أن يبين لهم أن ما يريدون

الإقدام عليه عمل يغضب الله ورسوله، وهو يريدون أن يقرروا بأنفسهم حقيقة هذا الكلام وصدقه، لذا أحالهم على جماعة من الصحابة سمعوا هذا الحديث من الرسول ﷺ، ولا يتبادر إلى الذهن أن الإمام الحسين يريد من هذا استعطافهم لتركوه، فهو يعرف المصير الذي ينتظره حين قدم إلى العراق (الياسري، ص ٣٦).

وتضمن خطاب الإمام الحسين ﷺ، صوراً من الإرث الأدبي، التي وردت في خطاب الإمام علي ﷺ إلى ولاته وأعدائه: ويمكن القول: إن أقوال أمير المؤمنين والإمام الحسن والسيدة فاطمة الزهراء ﷺ كلها مثلت مصدرًا من مصادر الخطاب الحسيني، وكل هؤلاء قد نهلوا من مدرسة الرسول ﷺ وتعلموا على يديه.

الثاني: الاستفادة من شخص الرسول ﷺ، فالإمام الحسين ﷺ أفاد من شخصية الرسول ﷺ في إلقاء الحجّة على القوم الذين احتشدوا لقتاله واستحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم كل شيء حتى تنكروا لصلته برسول الله ﷺ، وقد عمد الإمام إلى تذكيرهم بأنه ابن الرسول، وأنه الإمام المفترض الطاعة وهو صاحب الحق في ولاية أمور الأمة، وكان حين يخرج لمخاطبة القوم ووعظهم يلبس عمامة رسول الله ﷺ ويتقلد سيفه ويركب جواده ليرسم أمامهم صورة الرسول الأعظم ويذكرهم بأنه الوارث الشرعي لجدّه رسول الله وهو المؤهل لقيادة الأمة.

وهو يؤكد في كثير من مواضع خطابه صلته برسول الله ﷺ وقربته منه ليعرف من لم يعرف، ويسمع من لم يسمع، بأن هذا الذي يخاطبهم هو إمام عصره، وهو ابن بنت رسول الله، وابن وصيه يقول: «أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا: هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ أأست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أوليس جعفر الطيّار في الجنة بجناحين عمّي» (الحراني، ٢٤١).

إن الإمام حين طلب منهم أن ينسبوه، لا يعني أنه غريب عنهم ولا يعرفونه، فهم يعرفون أنه الإمام المفترض الطاعة، كل ذلك معروف عندهم، إنما أراد الإمام من هذا تذكير هؤلاء القوم الذين أعماهم طمع الدنيا فأنساهم كل شيء، وأراد إلقاء الحجة عليهم لكي يكونوا على بصيرة من أمرهم ويميزوا بين الحق والباطل، ويعرف من لا يعرف منهم، حقيقة الأمر، وسبب خروج الإمام، وإعلان ثورته (هنون / ٤٤).

وفي ضوء هذا يمكن القول: إن شخصية الرسول الأعظم وصلة الإمام الحسين به كانت حاضرة في بنية الخطاب الحسيني شكلاً ومضموناً. ومثلما أفاد الإمام الحسين (عليه السلام) من كلام جده وأبيه في حوار مع القوم فقد أفاد من شخصية الرسول في هذا الحوار.

ثالثاً: كلام العرب

يعد كلام العرب من شعر ونثر مصدراً مهماً من مصادر النصوص الأدبية على اختلاف أنواعها سواء أكانت رسائل أم خطباً أم غيرها. وحين نطالع في نهج البلاغة مثلاً نجد الإمام علياً (عليه السلام) يضمن خطبه ورسائله كثيراً من شعر العرب وأمثالهم والإفادة من هذا المورد تقتضي من المنشئ الإمام بكلام العرب وأشعارها وأمثالها، ليستطيع أن يختار منها ما يلائم المقام والحدث، الذي يريد أن يتحدث فيه.

والإمام الحسين وارث ثقافة أدبية عظيمة تلقاها من جده وأبيه، وهو على قدر كبير من الإمام بما تحدثت به العرب من شعر ونثر، لذا نجده يضمن طائفة من خطبه ورسائله في معركة الطف خصوصاً من الشعر أو الأمثال، بحسب ما يقتضيه مقام الحديث، أو يتطلبه سياق الكلام، ويبدو ذلك واضحاً في خطابه مع الجيوش التي يقودها عمر بن سعد في كربلاء، يقول الإمام: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت

وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام.
 ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر). ثم أوصل كلامه بأبيات
 فروة بن مسيك المرادي (الخوارزمي، ٦/٢).

فإن نهزم فهزامون قدما	وإن نُهزم فغير مهزмина
وما إن طبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت جرّ على أناس	بكلكله أناخ بآخرينا
فلو خلد الملوك إذن خل	ولو بقي الكرام إذن بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا	سيلقي الشامتون كما لقينا

لقد استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يوظف هذه الأبيات التي قالها الشاعر في مقام
 معين في رسم الصورة الرائعة للموت الكريم والنتائج التي تنتهي بها المعارك، يقول أحد
 الباحثين:

«لقد أكد أن انتصار الحرب وخسرانها يتقاسمان المعركة، ولكن قد يأتي الانتصار
 مصحوباً بالحياة الذليلة، وقد يرد خسران المعركة وشعارها الحياة الخالدة، أما الموت
 فحقيقة شاملة خارج الإرادة الإنسانية، ولكن الموت الكريم لا يخرج عن تلك الإرادة،
 وهذا ما أكدته الأبيات وصورته» (الياسري، ص ٤٠)

ويبدو قول الشاعر:

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
منسجماً تماماً مع قول الإمام في الخطاب نفسه:

«أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى....»
ابن الأثير، ٣/ ٢٨٥

فقد أوضح الإمام من خلال تمثله بهذه الأبيات لهؤلاء القوم، أنهم حين يفرحون بقتله الذي ينال به رضا الله، ويكسب العزة والكرامة والخلود الأبدي، فإنهم سوف يلقون المصير نفسه، وفي وقت قريب، لكن نهاية موتهم تختلف عن نهاية موته؛ إذ إنه حين يموت يحظى برضا الله ورسوله، ويخلده التاريخ، في حين أنهم ينالون غضب الله والرسول، وسوف يلعنهم الله والملائكة والناس، وينساهم التاريخ، وليس هذا الأمر ببعيد، وشتان ما بين النهايتين (الميداني، ٢/ ٢٧٣).

وفضلاً عن الشعر فقد أفاد الإمام الحسين (عليه السلام) من أمثال العرب، وقد وظفها الإمام في خطابه في أجمل صورة معبرة سواء أكان ذلك بنصها أم بمعناها، لما له من تأثير في نفوس السامعين، وقدرة على تصوير الموقف بعبارة موجزة.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطابه لأهل بيته وأنصاره حين أحاط به القوم وعزموا على قتاله قال:

«ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل مني، ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً» (هنون، ٤٥)

والعبارة الأخيرة من كلام الإمام (اتخذوا الليل جملاً) مثل يضرب لمن يطلب حاجته

في الليل حتى ينالها (الميداني، ٣ / ٣١٦)

لقد بين الإمام لأصحابه من خلال إيراد هذا المثل في سياق خطابه أن الليل ستر لمن أراد أن يذهب فيه وهو مثل الجمل في قدرته على حملهم إلى بر الأمان رغم الصعاب وخطورة الطريق (الساعدي، ١٥٩).

وقد يستعمل الإمام الإشارة إلى دلالة المثل في سياق خطابه، ويعبر عنه بألفاظ غير ألفاظه، ولكنها تؤدي ما يحمله هذا المثل من دلالة، ففي قوله الذي تقدم ذكره (هيهات منا الذلة) ترجمة لقول العرب: (المنية ولا الدنية) وهو مثل يضرب لمن يختار الموت العزيز على العيش الذليل، وقد تكرر هذا المعنى في خطاب آخر للإمام عليه السلام حين قال:

(لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) (الساعدي، ١٦٢، ١٦١).

ويبدو واضحاً الانسجام التام بين هذا المثل الذي اختاره الإمام للتعبير عن موقف محدد، وبين الواقع الذي جسده الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره في واقعة الطف، فقد اختاروا جميعاً الموت العزيز على حياة الذل مع الظالمين، وهو تجسيد حي لمقولة الإمام.

المبحث الثاني

أثر الخطاب التربوي الحسيني في شباب الأربعين

الإمام الحسين عليه السلام سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، جده رسول الله صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، وقد أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم الذي يمثل أفصح نص عرفته العربية في تاريخها على الإطلاق، وقد حفظها الله به وحفظه بها، فكان كتابها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وارث علم الرسول وباب مدينة العلم وإمام البلغاء، وسيد الخطباء، بلا منازع، وصاحب نهج البلاغة أفصح نص عربي بعد كتاب الله وكلام رسوله، وفيه من بلاغة القول وفصاحة الألفاظ وتنوع الأساليب ما يعجز عنه البشر، وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين ورثت البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الخطاب من أبيها.

وقد حمل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام هذا الإرث العظيم من بلاغة القول وفصاحة اللسان وقوة التعبير من جدهما وأبيهما.

ومن هذا الإرث الثقافي العظيم ينطلق الإمام الحسين عليه السلام في خطابه بجملته من الآثار التربوية التي لم تقتصر على شريحة محددة لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس ولا من حيث المستوى الثقافي فالجميع متاح له أن يتربى على مبادئها صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً.

ومن هذه الآثار:

١- ترسيخ مكانة سيد الشهداء (عليه السلام) في النفوس

أولى الآثار التربوية هي ترسيخ مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في النفوس، فقد تمكن السياق الاجتماعي في جغرافية أتباع أهل البيت (عليهم السلام) عبر قرون طويلة من صياغة إحياء مناسبات أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ولا سيما في زيارة الأربعين المباركة على شكل قيمة اجتماعية عُلِّيا، يحظى المتصف بها بالتكريم والتقدير، ويوصم المتخلف عنها، أو الراض والمناهض لها، بالعداء والانحراف الفكري والمرض القلبي. (الإربلي، ج ٢ ص ٢٩-٣٠)

وكذلك الدعوة إلى زيارة سيد الشهداء (عليه السلام)، التي كانت المنطلق لزيارة سائر الأئمة، والاقتراب من تراثهم الفكري، وعطائهم الإسلامي.

وفي الزيارة ترسيخ حب أهل البيت في نفوس محبيهم والعطاء المترتب عليها في الدنيا والآخرة، وأمكن لهذه الزيارة العظيمة أن تثير اهتمام ورغبة الجمهور لفهم حقيقة ودور الأئمة الآخرين والانشداد العقلي والعاطفي معهم بوصفها حركة جماهيرية شكلت ولا زالت حالة استثنائية في مسار التبني الجماهيري العام للرموز العقدية.

٢- الجرعة الولائية الوقائية

من الآثار التربوية للخطاب الحسيني هي الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والوقوف إلى جانبهم من خلال الاعتقاد بمفهوم الإمامة وضرورتها في الحياة الإسلامية على وفق الشروط والمواصفات التي أشار إليها الكتاب والسنة، والبراءة من أعدائهم وكل ثقافة تحاول تهमيش دور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في حياة المسلمين.

ولم يكن ولاء أتباع أهل البيت (عليهم السلام) لأهل بيت الطهارة والعصمة، في يوم من الأيام، ولاءً عاطفياً حسب بل كان للولاء الفكري والعقدي والثقافي مكانته السامية.

وفي ضوء ذلك، إن زيارة سيد الشهداء عليه السلام ولا سيما لشبابنا في زيارة الأربعين المباركة تمثل جرعة تلقيح ولائية، وظيفتها تحصينهم من الانحراف الولائي والابتعاد عمّن أمرنا الله بالتمسك بولايتهم ومودتهم ونهجهم المشرق، وقد عشنا تجربة الزيارة بأنفسنا، فكانت من أبلغ عوامل التربية الولائية التي حمتنا من الانزلاقات والتخبطات والشبهات العقدية.

إلى جانب ذلك، فإن زوار سيد الشهداء عليه السلام يستحضرون وهم يمشون ساعات وأياماً متطاولة مفهوم الإمامة ولو بنحو إجمالي.

والحشد الجماهيري يعمل على تعزيز هذه المكانة في نفوس أبنائنا من الأطفال والشباب وبنحو مكثف من الزخم العاطفي.

ويحملهم الزخم نفسه على التعمق في معرفتهم، والتزود من آثارهم، فيكبرون على التمسك بموالاته أهل البيت عليهم السلام والتبري من أعدائهم. (المجلسي، ج ١ / ١١٧)

٣- التربية الإيجابية والعملية

التربية الإيجابية ونقصد بها المنهج القائم على الاهتمام بالسلوك السوي والتشجيع عليه دون تركيز على السلوك السلبي ومحاولة التصدي له، ومن خطبه له عليه السلام في مكارم الأخلاق: قال فيها: (أيها الناس: نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا، فمهما يكن لأحد عند أحد صنعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها، فالله له بمكافأته، فإنّه أجزل عطاء، وأعظم أجرًا. واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحور نقمًا. واعلموا أنّ المعروف مكسب حمدًا، ومُعقّب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسنًا جميلًا يسر الناظرين. ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجًا مشوّهاً، تنفر منه القلوب،

وتغضّ دونه الأبصار) (المجلسي، ١٦١/١٦٢)

فأولى الأمور التي نص عليها الإمام عليه السلام هي التنافس في مكارم الأخلاق ونبذ المساوي والتصدي لها ومحاولة معالجتها وكذلك التشجيع على السلوك الإيجابي الذي يتكفل بمعالجة السلوك السلبي بنحو تلقائي، فبدلاً من أن نتحدث عن مساوي الكذب وعواقبه، نعزز الصدق ونكافئ المتصفين به. وبدلاً من أن نشجع البخل، نمدح الكرم ونقدر الممارسين له...، وقد ألمح رسولنا الكريم ﷺ إلى جانب مهم مما نحن فيه عبر جوابه عن العقل ما هو وكيف هو وما يتشعب منه بقوله: (ومن المداومة على الخير كراهية الشر) (المائدة: ٦٣).

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام أيضاً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة جلية، إذ تجسّدت على أرض الواقع بالقول والفعل، فيقول: «اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأحزاب، إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ...﴾^٥ وقال: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^٧، وإنّا عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة، الذين بين أظهرهم، المنكر والفساد، فلا ينهاهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يجذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَا﴾، وقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأقيمت، استقامت الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها. وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومُخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها...» (المائدة: ٧٨)

لقد رسم الإمام عليه السلام للمكارم صوراً محسوسة، تتمثل إمام الناظر بأحسن صورها وأبهائها؛ لتكون ممّا تشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأنفس، فقد شبه صورة المعروف بصورة رجل وضيء حسن الوجه يسر الناظرين، ويقابل ذلك بصورة اللؤم، فيشبهه بصورة رجل سمج مشوّه تنفر منه القلوب.

فالشخص الذي يتدرب على الأعمال الإيجابية سوف يصل إلى مرحلة نبذ الأعمال السلبية، وممارسة زيارة الأربعين المباركة تمثل مسرّحاً يحتشد بالسلوكيات الإيجابية والتشجيع عليها كالأخلاق والأعمال، والمبادئ الحسنة بطريقة عملية حية ملموسة قابلة للمحاكاة والتقليد، حيث يتيح موسم زيارة الأربعين المباركة، عرض حزمة من السلوك السوي بنحو مستمر من قبيل السخاء، والإيثار، والتعاون، والوفاء، والاحترام وتكاد تنعدم فيها السلوكيات السلبية.

٤- الظهور صفّاً واحداً إمام الأعداء

إذا كان الله عز وجل قد دعانا أن نقف صفّاً واحداً إمام أعداء الإسلام بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوفٌ﴾، فذلك الإمام الحسين دعانا أن نقف بوجه الظلم والظالمين وأن لا نقف مكتوفي الأيدي وقد حث على ذلك في خطبه ورسائله، فإن أبرز مظاهر ومصاديق هذا الصف المرصوص ما نراه من وقوف المؤمنين بعضهم إلى جانب بعض رجالهم ونسائهم وهم يسرون إلى الحسين عليه السلام، ولا شك أن مثل هذا التعبير يريد أن يشير إلى أن الجدار كما يصعب دفعه وكسره، لأنه مكون من لبنات مفردة، ولكنها متماسكة بقوة الاتحاد فيما بينها فاكسبت قوة جديدة إلى قوتها (المائدة: ٧٩).

وها هم اليوم شبابنا السائرون إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهم كتلة واحدة لا يمكن ثنيها

وتفتيتها، لأنهم صاروا صفًا واحدًا في حب الحسين (عليه السلام)، كأنهم بنيان مرصوص، وهذا هو سر بقاء هذه الشعيرة عبر التاريخ إلى الآن رغم ما تعرضت له من ضربات شديدة، لكن بتكاتف الشباب ستبقى، ولا يضر أحد بها.

٥- إصلاح النفس

لعلّ الخطاب الموجه للنفس وتذكيرها بأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه تحمل من المضامين الكثيرة، ولا سيما ما يصدر عن المعصوم (عليه السلام)، فهي تترك أثرًا كبيرًا في المتلقي؛ إذ تعطيه الحافز على الاقتداء واستلهام العبرة؛ فخوف المعصوم من ارتكاب المعاصي التي تؤدي إلى النار، إنّما هو تذكير للعامة بوجوب الحذر من ارتكاب هذه المعاصي، التي تدفع بصاحبها إلى النار، ومما حمل هذا المعنى في مواعظ الإمام الحسين (عليه السلام)، قوله عندما سُئل: «كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال (عليه السلام): أصبحت ولي ربّ فوقّي، والنار إمامي، والموت يطلبني، والحساب محقق بي، وأنا مرتين بعلمي، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأمر بيد غيري، فإن شاء عذّبني، وإن شاء عفا عني، فأني فقير أفقر منّي؟!» (المائدة: ٤٤)

نلمس في هذا النصّ الكثير من الآثار التربوية الموجهة للنفس؛ ليعم تأثيرها في الآخر، إذ كانت إجابته تمثّل مسارًا واضحًا يوصل من سار عليه إلى مأمته ونجاته، ويخصّنه ممّا قد يقع به المرء؛ نتيجة غفلته أو ابتعاده عن جادة الحقّ. ركّز الإمام (عليه السلام) على مسألة مهمّة في حياة العبد وهي مخافة الله سبحانه وتعالى، الذي يراقب العبد (أصبحت ولي ربّ فوقّي)، فعندما يطمئن المرء بوجود الرقيب المطلّع على الخفايا، لا يقدم على المعاصي، بل يحرص على التحلّي بالمحاسن والمحامد كال تقوى والورع، والسير على ما يرضي الرقيب إذا ما علم أنّ الأعمال لا تُترك على عواهنها، بل هناك جزاء (والنار إمامي، والموت يطلبني، والحساب محقق بي)، وهنا يتحدد الجزاء في ضوء العمل (وأنا مرتين بعلمي)، فالمرء رهين

بعمله، لا يدفع عن نفسه (لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأُمور بيد غيري)، وهذا يوجب الانقطاع إلى الله والتسليم بقضائه، مع الأخذ بالأسباب في اتباع أوامره، والابتعاد عمّا يغضبه.

٦- الثبات على المبدأ

لم تشن الإمام الحسين (عليه السلام) الضغوط عمّا اختطّه لنفسه من طريق؛ إذ تروي كتب التاريخ كثرة المعارضين لنهضته، فهذا ابن عباس يتوسل محاولاً منعه من الشخوص إلى الكوفة بكلّ الوسائل، فلم يفلح؛ إذ يقول بعد أن استيأس من ثني الإمام (عليه السلام) عن المسير: «والله، لو أعلم أنّي إذا تشبّث بك، وقبضت على مجامع ثوبك، وأدخلت يدي في شعرك حتى يجتمع الناس عليّ وعليك، كان ذلك نافعاً لفعلته، ولكن أعلم أنّ الله بالغ أمره...» (التوبة: ٧١)، فثبات الإمام (عليه السلام) نابع من عقيدته الراسخة، وإيمانه المطلق بصحة نهضته، التي هدفها الإصلاح، فضلاً عن تردي الواقع الذي تمرّ به الأمة، وانحراف المسيرة بعد أن تصدى لها ذوو الضلالة والانحراف.

لقد تجسّد ثبات الإمام الحسين (عليه السلام) في رفضه الخضوع للثام كما وصفهم في خطبته المشهورة، إذ يقول: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك منّي، هيهات منّا الذلّة، أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجّور طُهرت وجُدود طابت، أن يُؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر» (الحرّاني، ص ٢٣٧)، لم يتأثر بالعدو وكثرته، ولا قلة الناصر، وتنصّل من راسله عن عهودهم.

إنّ ثبات الإمام الحسين (عليه السلام) على المبادئ والقيم الحقّة، التي هي ميراث النبوة على قلة الناصر وشراسة العدو، وتمسّكه بالرسالة الإصلاحية التي أصّر على إبلاغها للأجيال،

من الدروس التي يجدر بنا التمسك بها في زماننا هذا وفي كل أوان، ف«ما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أولئك العظماء الأفذاذ، ويقتفوا آثارهم، في التمسك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصرة الحق، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزهم السليب، وينفذوا أنفسهم من هوان الهزائم الفاضحة والنكسات المتتالية» (سورة الصف: ٤).

٧- اتباع السنة

لقد سار الإمام الحسين عليه السلام على هدي الرسالة المحمدية السمحة، التي أرست قواعد البناء والإصلاح، وغرست شجرة الخير؛ ليعم نفعها الجميع، فتعهد الإمام الحسين عليه السلام رعاية هذه الشجرة لتؤتي أكلها كل حين، فرفع شعار الإصلاح واتباع سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في تحقيق هذه الرسالة «خرجت لطلب الإصلاح... وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب» (الصماني، ٩٨)

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى إحياء سنة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من خلال التصدي للبدع التي تجذّرت في المجتمع، فابتعد القوم عن سبل الرشاد، فكان لزاماً على إمام الأئمة أن يصدع بدعوته إلى السنة النبوية السمحة، وهنا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد» (الصدوق، ص ٧٠٧؛ الصدوق: ج ٤، ص ٤٤٠)

جسد الإمام عليه السلام اتباعه لسنة نبيه صلى الله عليه وآله على أرض الواقع، من خلال رفضه للانحراف، والتصدي لتقويمه بالقول والفعل، من خلال رفضه البيعة، ونهضته للمطالبة بالتغيير ورفع الظلم والحيث الذي لحق بالأئمة إذ يقول: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلْ

في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلّوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...» (الأصفهاني، ص ٧٣. الجوزي، ص ٢٣٩، الذهبي، ج ٣، ص ٢٩٣)

٨- حفظ الكرامة

ومن الآثار التربوية التي حفلت بها السيرة الحسينية الشريفة، التي تُعدّ دروساً ومبادئ رصينة وراسخة، ونجد ذلك الأمر جلياً في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) الموجه للإنسان حينما «جاءه رجل من الأنصار يُريد أن يسأله حاجة، فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار، صُن وجهك عن ذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إن شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلمته ينظرني إلى ميسرة. فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال (عليه السلام) له: أمّا خمسمائة، فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، وأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحيي لمروءته، وأمّا ذو الحسب، فيعلم أنّك لم تُكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك» (الطبرسي، ج ٢، ص ٢٥)

لم يكتفِ الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك، بل وضع قاعدة من خلال إرشاد من يضطر إلى طلب الحاجة من الناس، أن لا يسأل إلّا ذا دين (فيصون دينه)؛ فيكتّم أمر السائل، ولا يذيع خبر مسألته بين الناس، وذا المروءة؛ (فإنّه يستحيي لمروءته)، فلا يهدر كرامة السائل فيحسن إليه. أمّا ذو الحسب، فإنّه يستجيب لمن يسأله قضاء حاجة من دون من أو أذى.

الخاتمة

توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات منها:

٢٤. الخطاب الحسيني خطاب عالمي بامتياز يلاطف الوجود الإنساني لأنه مَتَّحَ من النبع القرآني الصافي وما يؤديه من تفعيل حركية النص والخطاب في هداية المجتمع الإسلامي خاصة، والبشرية عامة.

٢٥. كانت خطب الإمام الحسين (عليه السلام) ومواعظه امتداداً لمنهج النبي (صلى الله عليه وآله) وأبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، من خلال تضمين هذه الخطب والمواعظ من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وكلام الإمام علي (عليه السلام)، فكان كلامه تثبيتاً للسنة النبوية الشريفة واتباعاً لها.

٢٦. الخطاب الحسيني يسعى إلى إصلاح القيم المثالية لدى الانسان المسلم، إذ لا يحدد ما هو كائن وإنما ما يجب أن يكون، ومن هنا كتب لخطابه الديمومة والخلود والدليل نحن الآن في القرن الحادي والعشرين ونحتاج إلى وقفة لفهم خطابه.

٢٧. لقد رسم الإمام (عليه السلام) لمكارم الأخلاق صوراً محسوسة تتمثل إمام الناظر بأحسن صورها وأبهاها؛ لتكون ممّا تشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأنفس، فقد شبّه صورة المعروف بصورة رجل وضيء حسن الوجه يسر الناظرين، ويقابل ذلك بصورة اللؤم، فيشبّه بصورة رجل سمج مشوّه تنفر منه القلوب.

٢٨. استقرى الإمام الحسين (عليه السلام) المستقبل من خلال الواقع الذي تعيشه الأمة، فوجد في نهضته أملاً مستقبلياً في تصحيح الانحراف والعودة إلى جادة الحق، وعليه لم تكن نتائج النهضة آنية إنّما تؤسس لمرحلة مستقبلية.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مطابع النعمان النجف الأشرف
حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، ١٣٨٦ هـ
- ١٩٦٦ م.

٢. أخلاق أهل البيت (عليه السلام)، السيد مهدي الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

٣. الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين (عليه السلام)، الشيخ حيدر الصمياني، قسم الشؤون الفكرية
والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

٤. الأمالي / محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي المذحجي العكبري، المعروف
بابن المعلم، والشيخ المفيد / تحقيق علي أكبر غفاري / مؤسسة النشر الإسلامي - قم،
الطبعة الخامسة / ١٤٢٥ هـ.

٥. الأمالي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ
الصدوق، المكتبة المركزية، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار محمد باقر المجلسي / دار إحياء التراث
العربي - بيروت لبنان / ١٩٨٣.

٧. تاريخ الأمم والملوك / الطبري / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار
المعارف - مصر / ١٩٧٤ م.

٨. تحف العقول عن آل الرسول / الحسن بن علي الحارثي / تحقيق علي أكبر
الغفاري / رابطة أهل البيت الإسلامية - د - ت.

٩. تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، ابن جوزي، يوسف بن قزاوغلي، تحقيق:
حسين تقى زاده، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مركز الطباعة، قم -

إيران، ١٤٢٦ هـ.

١٠. التعريفات: العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥ م.
١١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري تحقيق: د. عبد السام سرحان، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
١٢. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
١٣. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني مخلص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.
١٤. الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليلية، عبد الكاظم محسن الياسري، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
١٥. زيارة الأربعين المباركة دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، الناشر باقيات، مطبعة الوردي، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م.
١٦. سنن الترمذي / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي / تحقيق محمود محمد محمود / منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت / ٢٠٠٠ م.
١٧. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للمالين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٧ م.
١٩. طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص،

- نجم الدين النسفي، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ
٢٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهال، د. ت.
٢١. الفتوح المكية / أبو محمد بن أكثم الكوفي / دار الندوة الجديدة / بيروت - لبنان / ٢٠٠٢م.
٢٢. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٣. الكامل في التاريخ / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير / تحقيق عبد الوهاب النجار - مصر ١٣٥٦هـ.
٢٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء بيروت - لبنان، ١٣٨١هـ.
٢٥. الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء بن موسى الحسيني الكفوي، وأعدده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، د. ت.
٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٧. مجمع الأمثال / أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الجليل - بيروت / ١٩٨٧.
٢٨. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد

- المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٢٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب لعلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٣٠. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي -، تحقيق: يحيى مراد، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، مصر، ٢٠٠٨
٣١. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ
٣٢. مقاتل الطالبين: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٣٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عبد السالم محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.
٣٤. مقتل الإمام الحسين / موفق بن أحمد المكي الخوارزمي / تحقيق محمد السماوي / منشورات مطبعة
٣٥. مقتل الحسين / عبد الرزاق الموسوي المكرم / مؤسسة الخرسان / بيروت - لبنان ١٤٢٦.
٣٦. من لا يحضره الفقيه، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي-بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
٣٨. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، القاهرة،

الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

الرسائل الجامعية :

- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية / رسالة ماجستير هادي سعدون
هنون / كلية الآداب / جامعة الكوفة / ٢٠٠٨ م.

مرويات الإمام الحسين عليه السلام عن نبي الله موسى عليه السلام

أ.د. برزان ميسر حميد

كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الموصل

أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الفنتوسي

كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الموصل

dr.barzan_78@yahoo.com

ملخص البحث

تتناول الدراسة مرويات الإمام الحسين عليه السلام عن نبي الله موسى عليه السلام إذ تأتي هذه الألتفاتة في سياق إظهار الجانب الحضاري والإنساني في شخص الإمام الحسين عليه السلام، والذي يغفله أو يجهله كثير من الناس. فهو يهدف إلى الوقوف على شمائله الإنسانية عن طريق مروياته عن سيدنا موسى بن عمران عليه السلام وإيصالها إلى الافراد والشعوب. وبيان دور هذه الآثار الحسينية في الارتقاء إلى مراتب الكمال ومعارجه. فهي (أي المرويات) منهج إيماني يتطلب الفهم والإستيعاب والتدبر للوصول إلى التطبيق والعمل.

الكلمات المفتاحية: الامام الحسين عليه السلام، رواية، نبي الله موسى.

The Narrations of Imam Hussain (peace be upon him) about the Prophet Moses (peace be upon him)

Professor Dr. Burzan Muayser Hameed Al-Hamid

College of Education for Human Sciences - University of Mosul

Professor Dr. Abdulrahman Ibrahim Hameed Al-Ghantousi

College of Education - Iraqi University

Abstract

The study examines the narratives of Imam Hussain (AS) regarding the Prophet Moses (AS), intending to highlight the civilizational and humanitarian aspects of Imam Hussain (AS), which are often overlooked or unknown to many people. It aims to shed light on his humane qualities through the narrations about Prophet Moses (AS) and to disseminate this knowledge to individuals and communities. The study also emphasizes the role of these Hussaini narrations in elevating individuals and societies to higher levels of perfection and spirituality. These narratives represent a spiritual approach that requires understanding, comprehension, and contemplation to achieve practical application and action.

Keywords: Imam Hussein (peace be upon him), novel, Prophet of God Moses.

مقدمة :

الحمد لله الذي جعل أهل بيت النبوة من أسراره وخاصيته ، وسماهم أهل العلم ، واستودع صدورهم كلامه وله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات ، هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، سبحانه وتعالى وتقدس وتعظم ربنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد هو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . والصلاة والسلام الدائمان على رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، وترسم خطاه أما بعد :

يدور بحثنا هذا حول الحديث عن : مرويات الإمام الحسين عليه السلام عن نبي الله موسى عليه السلام . ولا بد من الإشارة إلى أسباب اختيار موضوع البحث ، إذ يأتي في سياق إظهار الجانب الحضاري والإنساني في شخص الإمام الحسين عليه السلام ، والذي يغفله أو يجهله كثير من الناس . فهو يهدف إلى الوقوف على شمائله الإنسانية عن طريق مروياته عن سيدنا موسى بن عمران عليه السلام وإيصالها إلى الأفراد والشعوب . وبيان دور هذه الآثار الحسينية في الارتقاء إلى مراتب الكمال ومعارجه . ومما دفعنا أيضاً للكتابة في هذا الموضوع ؛ قلة الكتابات والأبحاث التي تتحدث عن مرويات الإمام الحسين عليه السلام عن نبي الله موسى عليه السلام وبيان ثنائية هذه العلاقة بين آل البيت ونبي الله موسى عليه السلام .

أما الإشارة إلى مشكلة البحث : فإن هذه المرويات هي منهج إيماني يتطلب الفهم والاستيعاب والتدبر للوصول إلى التطبيق والعمل ، وليس الكلام في هذا المقام عن الحياة الشخصية للإمام الحسين عليه السلام أبمكان وقد قضى الناس فيها بما يُغني ويُسعد ولكن يبقى الجديد فيها والمضاف وهو من مطالب أهل الاختصاص ، جعلنا الله منهم بمقدار ما نسعى ونجتهد أن نغوص في مثله الواقعية مع نبي ورسول كريم من أولي العزم . ومن

المؤكد أن تدريب المتعلمين على ذلك وتقديم المساعدة لهم يساعد كثيراً منهم في تجاوز عقبات الفشل، ويعالج هذا البحث جملة من آثاره الخلقية والتي تدل من ألفاظها ومتونها على أن النبي الكريم موسى عليه السلام صاحب معرفة شمولية بمقاصدها وأسرارها، وكذلك يكشف عن دور الحسين عليه السلام في تحضر الإنسانية، والقضاء على عصور الظلام والتخلف والتعصب؟ والكشف عن دوره في نشر قيم العدالة والمساواة والحب والإخاء والتسامح الديني بين الناس لدعم حقوق الرعية ورعايتها بأشكالها المختلفة.

وأقتضت خطة البحث أن تُقسمها إلى أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتُعقبها خاتمة، تناول المبحث الأول: نشأة الإمام الحسين عليه السلام ومناقبه من أسرار الوجود. أما المبحث الثاني: فحرصنا أن نخصصه للكشف عن لوازم مرويات الإمام الحسين عليه السلام وتقع في تسعة أبواب، وجاء المبحث الثالث والأخير ليكشف نماذج من مرويات الإمام الحسين عليه السلام.

واشتملت هذه المرويات على مجموعة من القصص العجيبة والأمثال الواقعية والنماذج البشرية والقيم والمعاني السامية التي تُخلّق بنا في أجواء الفضيلة، وتغوص في أعماق النفس البشرية لتسبر لنا أغوارها، وتكشف عن شيء من مكنوناتها، وتقدم لنا مفاتيح الثبات إمام المحن لأنها مثل حي محسوس.

وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، بتناول النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة، واستخرجا ما فيها من مضامين، والعمل على تصنيفها، ومن ثم إدراجها تحت العنوانات الخاصة بها، وهو المنهج الذي يقوم على إيراد نصوص السيرة وأحداثها، مصحوباً أو متبوعاً بدراستها وتحليلها واستنباط الفوائد والعبر والدروس منها، وهذا التحليل أمر مطلوب لأنه يشرح ويبين الألفاظ أو الترجيح للوقائع ونحو ذلك، بل هو اجتهاد يستنبط فيه الباحثان ما يفيد القارئ من نصوص هذه السيرة وأحداثها، ولأننا لا نفرق بين أحد من رسله وهذا العمل هو جزء من بيان مكانة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ورسالته، وكل الغاية من حياته ومنتهاها هو أن يبصر الإنسان وأن يهذب الإنسان ويعلمه ، وباختصار أن يجعل من الإنسان إنساناً متمدناً متحضراً .

ويمكن الإشارة إلى أهم نتائج هذا البحث هي المثالية في شخصية الرسول موسى عليه السلام وبيان الأخوة بين الأنبياء ، ولنبين أن الأخلاق في الإسلام منبثقة من عقيدة الإسلام، وليست الأخلاق في الإسلام نظريات وفلسفات يتبناها أصحابها كما يتبناها المجتمعات التي تقع فريسة الإفتتان وهذه المرويات وعلى قصرها وإيجازها قد جمعت مقومات الفلاح والثبات في ضبط المجتمع الإسلامي ، بما لا يمكن تحقيقه البتة بشتى النظم الوضعية ولو اجتمعت ، لأنها تميز وتعمل برقابة ذاتية شرعية تضمن لها درجة من الإلتزام الفردي لا يمكن تحقيقها بغير هذا الوازع الإيماني ولا بأي سلطة بشرية قهرية. لقد عاش الإمام الحسين عليه السلام وهمه الوحيد ، في أفكاره وأقواله وأفعاله هو مصلحة البشرية جمعاء . لقد كان إنساناً بكل ما في الكلمة من معان، وكانت سعادة نفسه ورضاها في التعاطف والتواد والمحبة الإنسانية. وعلى الدعاة والمفكرين غرس جوانب المثل الحسينية العليا في نفوس الأجيال والإطمئنان الدائم والاتصال الروحي بها ، لأنها قيم إنسانية وجزء من إحياء الإلتباع النبوي. وأخيراً استنباط الدروس والعبر والمواعظ والحكم من الأسرار النبوية من سيدنا موسى عليه السلام ، واستحضار الفوائد المستنبطة منها . والحمد لله في البدء والختام .

المبحث الأول

نشأة الإمام الحسين عليه السلام ومناقبُه من أسرار الوجود

بعد أن أطبقت الجهالة على الأرض وخيَّمت الظلمات على البلاد ، وانتشر الشرك والضلال والابتداع في الدين، وانطمس نور الإسلام ، وخفي منار الحق والهدى، وذهب الصالحون من أهل العلم فلم يبق سوى قلة قليلة لا يملكون من الأمر شيئاً ، واختفت السنّة وظهرت البدعة ، وترأس أهل الضلال والأهواء ، وأضحى الدين غريباً والباطل قريباً ، حتى الناظر إلى تلك الحقبة السوداء المدهمة ليقطع الأمل في الإصلاح قضى الله عزّ وجل بحفظ دينه وكتابه وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله ، وكان من رحمته تبارك وتعالى بهذه الأمة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام ... أن يكون للإمام الحسين عليه السلام شأنٌ في هذه الأمة ومنارٌ للحق لذا وجب على البحث أن تجمع موارده من أصوله من مصادر الشريعة والأدب لأنه يتعلق ببيان من أراد أن يتبع نهج الإمام الحسين عليه السلام المنبثق من هدي التنزيل العزيز وهدى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وبيان فضله على أوليائه وفضائلهم ، والكشف عن أسرار حكمه وأثرها على أتباعه ، وقد قمنا بهذا العمل رغبةً في تبصير الناس بحقائق ربما يجهلها كثير من الناس .

فالشكر لله سبحانه الذي أنعم على الإمام عليه السلام بهذا الموروث من بيت النبوة وهذا البحث نبين فيه ثوابت من الآثار والتي تساعد لحل المشكلات لدى الفرد والمجتمع والمستوحاة من نهج الإمام الحسين عليه السلام وخصاله ، ولا بد من الوقوف على روافد علومه الشرعية والتربوية المستمدة من ملامح البيئة التي عاش فيها وهي مكان مهبط الوحي عليه السلام ... فإن الأمم العظيمة والشعوب العريقة.. تعرف بعقيدتها ورجالها ... وتحيا بذاكرتها. والذاكرة ... هي الروح التي تسري في جسد الأمة فيطول بقاؤها... وهي الدماء التي تتدفق في عروقها فتشتد عافيتها، وبالمذاكرة للأولياء تتذكر الشعوب

أحداث ماضيها... وتتفهمها وتتدبر معانيها... وتستخلص العبر منها... والدروس التي فيها. وبالذاكرة... تتذكر الأمم عناصر قوتها وأسباب رفعتها فيما مَضَى من تأريخها فتبني حاضرها ومستقبلها علي نهجها. والحمد لله الذي جعل صحيفة الإمام الحسين عليه السلام مكاناً ومرآة لمشاهدة الآثار الملكوّية لأنه تربى على أكمل النفوس القدسية وأفضلها أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانية، ومنبع رحيق الفيوض السبحانية وآله الوارثين لمقامات العلية المكرمين بكراماته الخفية والجلية .

ولقد أيد الله تعالى رسوله محمداً ﷺ برجال آمنوا بالله ورسوله فكانوا جنوده الميامين بحماية الدين ورسله الذين نقلوا الإسلام إلى الناس أجمعين، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس كما أخبرنا الله تعالى عنهم. فقد تجلت فيهم كفايات متميزة في مختلف المجالات، ومن هؤلاء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ، له ولأبيه المواقف العظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين . فقد تَرَبَّيَا في كنف الرسول العظيم ﷺ وحظيا برعايته واهتمامه منذ نشأتهما الأولى فكان لهما من الفضائل التي أشار إليها الرسول إلى الحد الذي جعل في أبيه وصيه وأخاه استناداً إلى قوله الشريف (أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) (مسلم: ٤/ ١٨٧٠)، وقوله ﷺ (أنت أخي في الدنيا والآخرة) (النيسابوري: ٣/ ١٣٨)، وغيرها من الأحاديث الشريفة التي تؤكد هذه المنزلة الخاصة بالإمام علي عليه السلام وعندما تلمس السيرة العطرة والمناقب الحميدة التي تمثل القدوة، والمثل الأعلى لمن سار على درب الإيمان الحقيقي نجدها مجسدةً بسلوك شخص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كيف لا ، وهو الذي تربى في أحضان الرسول منذ نعومة أظفاره وتأدب وتخلق بأدب الرسول ﷺ وخلق، فكان حقاً كل ما عمله يمثل ثمرة يانعة لمدرسة الرسول الكريم ﷺ. فما أحوجنا اليوم إلى معرفة مناقب الشخصيات الإسلامية الرائدة وسيرها لتكون لنا المنار للسير على خطاهم وسيرهم. وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامُ عَنْ آثَارِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

والذي تضيق بها الأسفار الكبيرة ، وفضلاً عن كوننا في هذا المقام نركز في بحثنا على إبراز جانب محدد من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام)، ألا وهو الجانب المتعلق بما روي عن موسى (عليه السلام) لا بد من الوقوف عند سيرة الحسين (عليه السلام) لتسليط الضوء على جزء من ملامحه ألقده كان الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - يعطي الشعراء من المال فكتب إليه شقيقه الحسن بن علي - رضي الله عنهما - يُعيب عليه إعطاء الشعراء المال «فقال الحسين له: «إن أحسن المال ما وقى العرض» وأعطى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (المشهور بزين العابدين) أعطى الفرزدق الشاعر المشهور اثني عشر ألف درهم على قصيدته وسبب ذلك أن هشام بن عبد الملك بن مروان قبل أن يتولى الخلافة كان يطوف بالبيت فلما أراد أن يستلم الحجر الأسود لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم الحجر وجلس على المنبر حتى يخف الناس من الزحام وأهل الشام حوله، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين فلما دنا من الحجر الأسود ليستلمه ويُقبله تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً له حتى قَبَلَ الحجر واستلمه فقال أهل الشام لهشام بن عبد الملك: من هذا؟ فقال: لا أعرفه استنقاصاً به واحتقاراً، فقال الفرزدق: وكان حاضراً، أنا أعرفه فقال الناس: ومن هو؟ فأنشد الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلاً	بجده أنبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

(ابن كثير: ٩/ ١٣١-١٣٣).

ونسب الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي

الهاشمي وكنيته أبو عبد الله ریحانة النبي وشبهه من الصدر إلى أسفل منه ولما ولد أذن النبي في أذنه وهو سيّد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء أمه فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين. وأعلم أنّ المسلمين اختلفوا في أيهما أفضل مريم أم فاطمة عليها السلام والشيعة الإمامية يفضلون فاطمة على مريم. وقد وردت روايات في صحيح البخاري تصف فاطمة عليها السلام بأنها سيدة نساء المسلمين أو سيدة نساء العالمين.

قَرَوِي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما ولد الحسن سمّيته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أروني ابني ما سمّيتموه قلنا حرباً قال بل هو حسن فلما ولد الحسين سمّيته حرباً فجاء النبي فقال أروني ابني ما سمّيتموه قلنا حرباً قال بل هو حسين (رضا، ص ٤١) وهو سيّد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين إلا مريم عليها السلام كنيته أبو عبد الله وكان بينه وبين الحسن طهر واحد. وقال الواقدي (الواقدي: ١/ ٣٩٣): علقت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة. كان النبي صلى الله عليه وآله يقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وعقّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم سابعه — ذبح شاة — كما عق عن أخيه وحنكه بريقه، وأذن في أذنه، وتفل في فمه، ودعاه له وسماه حسيناً، وقال لأمه أن تفعل به ما فعلت بأخيه الحسن، ولقب بألقاب أشهرها: الزكيّ ثم الرشيد والطيب والوفّيّ والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط (رضا، ص ٤١-٤٢). أما خلقه عليه السلام، فقد كان فاضلاً كثير الصوم والصلاة، ويقال: إنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً فيكون قد حج وهو بالمدينة قبل دخوله العراق لأنه لم يحج من العراق، وكان كريماً كثير الصدقة وأفعال الخير جميعها. أولاد الحسين عليه السلام ١ — عليّ الأكبر. ٢ — عليّ الأوسط. ٣ — عليّ الأصغر. ٤ — محمد. ٥ — عبد الله. ٦ — جعفر. فأما الأول فقاتل بين يدي أبيه حتى قتل، وأما الأوسط فهو زين العابدين، كان مع أبيه ب كربلاء فأسر بعد أن استشهد أبوه ثم رجع إلى مكة ومنه العقب، وأما الأصغر فجاءه سهم في القتال وهو طفل فقتل

بكر بلاء، وقتل عبد الله بكر بلاء. ومات جعفر بن الحسين في حياة أبيه، وله من البنات زينب، وسكينة، وفاطمة. (رضا، ص ٤٢-٤٣)

أما الأحاديث الواردة في حقه فقد قال رسول الله ﷺ (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط الأسياب، الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا، من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين) (الترمذي، رقم الحديث (٣٧٧٥)). وكان يحمل على عاتقه ويقول: (اللهم إني أحبه فأحبه). وقد روى الحسين ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عدها فيحدها استرجاعاً إلا أعطاه الله ثواب ذلك)) (أبن ماجه (١٦٠٠) وضعفه الألباني). وروى الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). (أخرجه مالك في الموطأ: ٩٠٣٢ / ٣) وقد نازل الحسين عبد الله بن أبي حصين الأزدي ليمنعه الماء فقال: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبذ السماء؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال له الإمام الحسين: اللهم اقلته عطشاً ولا تغفر له أبداً قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغر ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يبغر، فما يروى؛ فما زال ذلك دأبه حتى لقط غصته - يعني نفسه، أي مات. (المجلسي: ٨٧ / ٢)

ومضى أبو عبد الله الحسين وله سبعة وستون سنة في عام الستين من الهجرة في يوم عاشوراء، وهو يوم السبت من المحرم وكان بينه وبين أخيه الحسن ﷺ طهور الحمل وكان حمل أبي عبد الله ستة أشهر، ولم يولد لسته أشهر غير الحسين ﷺ وعيسى بن مريم ﷺ، وروي يحيى بن زكريا كذلك ﷺ وكان مقام الحسين مع جده رسول الله ﷺ ست سنين وستة أشهر وعشرة أيام. وأقام مع أمير المؤمنين ست سنين، ومع أبي محمد بعد مضي أمير المؤمنين عشر سنين، وأقام بعد مضي الحسن ﷺ عشر سنين وستة أشهر لأنه لم

يكن بينهما غير الحمل. واسمه الحسين وفي التوراة شبير ولما علم موسى بن عمران عليه السلام قبل التوراة أن الله سمى الحسن والحسين سبطي محمد شبر وشبير سمى اخوه هارون ابنه بهذين الاسمين وكان يكنى ابا عبد الله والخاص أبو علي ولقبه الشهيد والسبط والتام وسيد شباب اهل الجنة والرشد والطيب. (الجوهري: ٢/ ٢٠٥)

المبحث الثاني

مرويات الإمام الحسين عليه السلام في بيان فضل نبي الله موسى عليه السلام

وفيه تسعة أبواب:

الباب الاول :- باب الرجاء والرزق:

عن أبي عبد الله، عن أبيه (العالمي: ١٢، ١ / ٦٤)، عن جده عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً لأهله فكلمه الله ورجع نبياً وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرجت سحرة فرعون يطلبون العز لفرعون فرجعوا مؤمنين». وفي رواية أخرى من غير هذا السند، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس لأهله ناراً فانصرف إليهم وهو نبي مرسل. وعن علي بن محمد، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حماد عن عمر بن يزيد قال: «أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام يقتضيه وأنا عنده فقال له: ليس عندنا اليوم شيء، ولكنه يأتينا خطر ووسمة فيباع ونعطيك إن شاء الله، فقال له الرجل: عدني، فقال: كيف أعدك وأنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو». وقال محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما سد الله عز وجل على مؤمن باب رزق إلا فتح الله له ما هو خير منه». وعن أحمد الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن عطية، عن ابن فرقد، عن أبي عبد

الله ﷺ قال: «إن فيما ناجى الله به موسى بن عمران آن: يا موسى ما خلقت خلقاً هو أحب إلي من عبدي المؤمن، وإنني إنما ابتليته لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي، وليرضَ بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل بما» (النجفي: ١/ ٣٦)

الباب الثاني :- باب الرفق والحكمة

وعن الزهدي، عن علي بن الحسين عن أبيه ﷺ قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران ﷺ أن قال له:» تُعَيَّرَنَّ أحداً بذنب، وإن أحب الأمور إلى الله عز وجل ثلاثة: القصد في الجدة والعفو في المقدرة والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى (النجفي: ١/ ٣٤٠). وعن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن رجل، عن أبي عبد الله ﷺ قال: في قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (مريم: ٣١). وقال ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من انتفع به الناس» (ابن حبان: ٤٨/ ٢) لعله رُوي بالإسناد عن أبي عبد الله ﷺ قال: «من كان وصل لأخيه بشفاعة في دفع مغرم أو جر مغنم ثبت الله عز وجل قدميه يوم تزل فيه الأقدام». وعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: قال الحسين ﷺ: «في التاسع من ولدي سنة من يوسف، وسنة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تعالى أمره في ليلة واحدة» (الطبرسي: ٣/ ٣٦٠). وعن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: فيما أوحى الله (عز وجل) إلى موسى بن عمران: «يا موسى، ما خلقت خلقاً أحبُّ إليَّ من عبدي المؤمن، وإنني إنما ابتليته لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عبدي عليه، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضَ بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري» (الطوسي: ١/ ٢٥٠). وعن الحسين بن علي، عن

علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: أوحى الله (عز وجل) إلى نبيه موسى بن عمران عليه السلام: «يا موسى أحببني وحببني إلى خلقي. قال: يا رب إنني أحبك، فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم نعمائي عليهم، وبلائني عندهم، فإنهم لا يذكرون إذ لا يعرفون مني إلا كل خير» (الطوسي: ٢/٢)

الباب الثالث :- باب الجنة والنار

عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: «يا رب من أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك؟ - قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم، والتربة أيديهم، الذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربهم، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفى الصبي الصغير باللبن، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوى النسر إلى أوكارها، والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلحت مثل النمر إذا حرد». وعن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السلام قال: «لما بعث الله موسى بن عمران كلمه على طور سيناء، ثم اطلع إلى الارض اطلاعة فخلق من نور وجهه العقيق ثم قال الله آليت على نفسي أن لا أعذب كف لابسه إذا والى علياً بالنار». عن علي بن أحمد رحمته الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن سهل بن زياد الأدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «لما كلم الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: إلهي، ما جزاء من شهد أني رسولك ونبيك، وأنت كلمتني؟ قال: يا موسى، تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي. قال موسى: إلهي، فما جزاء من قام بين يديك يصلي؟ قال: يا موسى، أباهي به ملائكتي راکعاً وساجداً، وقائماً وقاعداً، ومن باهيت به ملائكتي لم أعذبه. قال موسى: إلهي، فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟ قال: يا موسى، أمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق: إن فلان بن

فلان من عتقاء الله من النار. قال موسى ﷺ: إلهي، فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى، أنسأ له أجله، وأهون عليه سكرات الموت، ويناديه خزنة الجنة: هلم إلينا فادخل من أي أبوابها شئت» (الصدوق: ١/ ٤٦٨). قال موسى ﷺ: «إلهي، فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم؟ قال: يا موسى، تناديه النار يوم القيامة: لا سبيل لي عليك. قال: إلهي، فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى، أظله يوم القيامة بظل عرشي، وأجعله في كنفي. قال: إلهي، فما جزاء من تلا حكمتك سرّاً وجهراً؟ قال: يا موسى، يمر على الصراط كالبرق».

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: في القائم ﷺ سنة من موسى بن عمران ﷺ. فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه. فقلت: وكم غاب موسى عن أهله وقومه؟ فقال: ثمانين وعشرين سنة (القمي، ص ١٩٢). عن الحسين ﷺ قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران ﷺ أن قال له: لا تُعَيِّرَنَّ أحداً بذنب، وإن أحب الأمور إلى الله عز وجل ثلاثة: القصد في الجدة والعفو في المقدرة، والرفق بعباد الله، ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى، تكلم النار يوم القيامة ثلاثة». وعن العباس بن معروف، عن أبي همام - إسماعيل بن همام - عن محمد بن سعيد ابن غزوان، عن السكوني، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن الحسين ﷺ عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «تكلم النار يوم القيامة ثلاثاً أميراً وقارئاً وذا ثروة من المال، فتقول للامير: يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل، فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم وتقول للقارئ: يا من تزين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده. وتقول للغني: يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة فيضاً وسأله الفقير اليسير قرضاً فأبى إلا بخلاً فتزدرده. ثلاث قاصمات الظهر. (القمي: ١/ ٢٠٦)

الباب الرابع :- باب الوحي والتوصايا

ومن وصايا النبي ﷺ - عنه، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: «علمني يا رسول الله، فقال: عليك باليأس عما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال: إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك خيراً ورشداً فاتبعه، وإن يك غياً فدعه عنه» (القمي: ١/ ٢٠٦)، عن حماد بن عمر والنصيبي، عن السري بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام وفي رواية سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران عليه السلام «يا موسى قل للملأ من بني إسرائيل: اياكم وقتل النفس الحرام بغير حق (البرقي: ٢/ ٥٥) عن الحسين بن مهران قال: حدثني الحسين بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ قال: نعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين. فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا؟ قال رسول الله ﷺ: إني رسول الله إلى الناس كافة. فقال: إني أسألك عن عشر كلمات أعطها الله موسى في البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب. فقال النبي ﷺ: سل عما بدا لك. فقال: يا محمد أخبرني عن الكلمات التي اختارها الله لإبراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت؟ فقال النبي ﷺ: نعم سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فقال: يا محمد لأي شيء بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً؟ قال: لأن الكلمات أربع. قال: فلاي شيء سميت الكعبة كعبة. (المفيد: ١/ ٧٨)

الباب الخامس : - باب الشفاء

عن أبي الحسن بن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن عمران أن ابدأ بالملح واختم بالملح، فإن في الملح دواء من سبعين داء أهونها الجنون، والجذام، والبرص، ووجع الحلق والاضراس، ووجع البطن. عن يعقوب بن يزيد رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ذر على أول لقمة من طعامه الملح ذهب الله عنه بنمش الوجه (الحلي: ٤٤ / ٣). وعن سعيد بن جناح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ان موسى بن عمران شكاً إلى ربه البلة والرطوبة فأمره الله أن يأخذ الهليلج والبليج فيعجنه بالعسل ويأخذه ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وهو الذي يسمونه عندكم، الطريفل (العالمي: ٤ / ١٣٢). وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: السنة ستان، سنة في فريضة الأخذ بها هُدًى وتركها ضلالة، وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيرها خطيئة عنه، عن بعض أصحابنا، عن عبد الله بن عبد الرحمن البصري، عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: مرَّ موسى بن عمران عليه السلام برجل وهو رافع يده إلى السماء يدعو الله فانطلق موسى في حاجته فبات سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافع يده إلى السماء فقال: يا رب هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجته ويسألك المغفرة منذ سبعة أيام لا تستجيب له! قال: فأوحى الله إليه يا موسى لو دعاني حتى تسقط يده أو ينقطع لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به ، عن القاسم، عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين، رجل يزداد كل يوم إحساناً ورجل يتدارك منيته بالتوبة وأننى له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بمعرفة الحق . عن أبي حفص الاعشى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من تمسك بسنتي في اختلاف أمتي كان له أجر مائة شهيد (البرقي: ١٩٩ / ٢). عن عنيسة العابد،

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم -العظيم، ويبغض العبد أن يستخف بالجرم اليسير» .

الباب السادس :- باب أفضل الأعمال

عن عباد بن صهيب، عن يعقوب، عن يحيى بن المساور، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟ فقال: حب الاطفال فاني فطرتهم على توحيدى، فان أمتهم أدخلتهم برحمتي جنتي. عن زياد بن مروان القندي، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من افتتح طعامه بالملح دُفِعَ عنه (أو رُفِعَ عنه) اثنان وسبعون داءً. ورواه النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام. ورواه، عن أبيه، عن أبي البختری، عن أبي عبد الله عليه السلام. عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلی عليه السلام: يا علي افتتح بالملح، واختم به، فإنه من افتتح بالملح وختم به عُوفي من اثنين وسبعين نوعاً من أنواع البلاء منها الجنون والجذام والبرص. وفي رواية ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلی عليه السلام: «يا علي افتتح طعامك بالملح، واختمه بالملح، فإنَّ من افتتح طعامه بالملح، وختمه بالملح، رفع الله عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أيسرها الجذام». (العاملي: ٢٤ / ٤٠٣)

الباب السابع :- باب الصلاة والسجود

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سجدة الشكر واجبة على كل مسلم تتم بها صلاتك، وترضي بها ربك، وتعجب الملائكة منك، وإنَّ العبد إذا صَلَّى ثم سجد سجدة الشكر فتح الرب تعالى الحجاب بين الملائكة وبين العبد». وعن اسحق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان موسى بن عمران إذا صَلَّى لم ينتقل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض وخدّه الأيسر بالأرض (الحسيني: ٩٧ / ٣). عن هارون بن الجهم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول: إِنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام أُعطي من الاسم الاعظم حرفين كان يعمل بهما. وأُعطي موسى بن عمران عليه السلام اربعة أحرف. وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف. وأُعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً. (الحويزي: ١٠ / ٢٨١) وعن جميل بن دراج قال: سألت ابا عبد الله عن قول الله عزوجل: «فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى» (النجم: ٣٢) قال: قول الناس صليت البارحة وصمت أمس ونحو هذا، ثم قال عليه السلام: إِنَّ قوماً كانوا يصبحون فيقولون: صليْنَا البارحة وصمنا امس، فقال علي عليه السلام: «لكني انام الليل والنهار ولو اجد بينهما شيئاً لنمته». وعن معمر ابن راشد قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: أتى يهوديٌّ إلى رسول الله ﷺ فقام بين يديه يحد النظر إليه فقال: يا يهوديٌّ ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل ام موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله عزوجل، وأنزل عليه التوراة، والعصا، وقلق له البحر وأظله بالغمام؟ فقال له النبي ﷺ: إِنَّه يكره للعبد أن يزكي نفسه ولكني أقول: إِنَّ آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني استلكت بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفر الله له، وَإِنَّ نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني استلكت بحق محمد وآله محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عزوجل (العسكري عليه السلام: ١ / ٤٧٧).

قال الإمام الحسين عليه السلام: كان موسى بن عمران عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من ربكم، يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله. فلما فرّج الله تعالى عنهم، أمره الله عزوجل أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل، وظن موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب. فصام موسى ثلاثين يوماً [عند أصل الجبل] فلما كان في آخر الايام استاك (العياشي: ٢ / ٤). وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينما موسى بن عمران عليه السلام يناجي ربه ويكلمه إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله فقال: يا رب من هذا الذي قد أظله عرشك؟ فقال: «يا موسى هذا ممن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله». (العياشي: ٢ / ٤)

المبحث الثالث

نماذج من مرويات الإمام الحسين (عليه السلام)

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن موسى بن عمران (عليه السلام) لما سأل ربه النظر إليه وعده الله ان يقعد في موضع ثم أمر الملائكة ان تمر عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق، فكلما مرَّ به موكب من الموكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيسأل أفيكم ربي؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يابن عمران. عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قوله: «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً» (الاعراف: ١٤٣) قال: ساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتى الساعة. وفي رواية أخرى ان النار أحاطت بموسى لئلا يهرب لهول ما رأى (القمي: ٣/ ١٥٣) وقال: لما خر موسى صعقاً مات فلما أن رد الله روحه أفاق فقال: «سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين». (الاعراف: ١٤٣)

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» (البقرة: ٢٦٩) فقال: طاعة الله ومعرفة الاسلام. وفي مجمع البيان: ويروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إن الله تبارك وتعالى آتاني القرآن وآتاني الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً، ألا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا جهالاً. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» (البقرة: ٢٦٩) قال: الخير الكثير معرفة أمير المؤمنين والائمة (عليه السلام). وفيه خطبة له (عليه السلام) وفيها: رأس الحكمة مخافة الله. وفي تفسير العياشي: عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» فقال: إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أبغض إلى إبليس من فقيه. وفي كتاب الخصال: عن الزهري عن علي

بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال: لا تعيرن أحدا بذنب، إلى قوله: ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى (الحويزي: ١/ ١٦٦). وروى عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إنَّ يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام في اثناء كلام طويل. فإنَّ موسى بن عمران قد أُعطيَ المنَّ والسلوى فهل فعل بمحمد نظير هذا؟ قال له علي عليه السلام، لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا، ان الله عزو جل أحلَّ له الغنائم ولإِمتِه، ولم تحل لأحدٍ غيره قبله، فهذا أفضل من المنَّ والسلوى، قال له اليهودي، فإنَّ موسى عليه السلام قد ظلَّ عليه الغمام؟ قال له علي عليه السلام لقد كان كذلك وقد فعل ذلك لموسى في التيه، وأُعطى محمداً صلى الله عليه وآله أفضل من هذا، إنَّ الغمامة كانت لمحمد صلى الله عليه وآله تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره فهذا أفضل مما أُعطى موسى عليه السلام. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين». (المجلسي: ٥٩/ ١٥٢)

قال الصادق عليه السلام: كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس. قال عز من قائل: «وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» (البقرة: ٥٨). في عيون الأخبار بإسناده إلى الحسين بن خالد عن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل امة صديق وفاروق، وصديق هذه الامة وفاروقها علي بن أبي طالب إنَّ علياً سفينة نجاتها وباب حطتها» (الحويزي: ٦/ ٢١٣). عن عبد الله بن القاسم عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليهم: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فان موسى بن عمران صلى الله عليه خرج يقتبس ناراً لأهله فكلمه الله ورجع نبياً والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة. وعن زيد النوفلي، عن الحسن بن علي بن ابي حمزة، عن

أبيه، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وجعلها كلمة باقية في عقبه) (آل شبيب، ص ٦٢) قال هي الإمامة جعلها الله عز وجل في عقبه الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة. وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) فقال: في عقبه الحسين عليه السلام فلم يزل هذا الأمر منذ افضي إلي الحسين ينتقل من ولد إلى ولد لا يرجع إلى أخ ولا عم ولم يتم بعلم أحدٍ لا منهم إلا وله ولد وان عبد الله خرج من الدنيا ولا ولد له ولم يمكث بين ظهرائي أصحابه إلا شهراً.

وعن ابن بابويه في كتاب النبوة، بأسناده إلى المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة فقلت يا بن رسول الله أخبرني كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليه السلام وهما ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال: يا مفضل إن موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان فجعل الله النبوة في صلب هرون ولم يكن لاحد أن يقول لم يجعلها في صلب الحسين ولم يجعلها في صلب الحسن (الصدوق، ص ١٧٦) لان الله عز وجل الحكيم في أفعاله: «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون». (الانبياء: ٢٣)

وعن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: لما خلق الله عز وجل موسى بن عمران كلمه على طور سيناء ثم اطلع على الارض اطلاعة فخلق من نور وجهه العقيق في « الاحتجاج » عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام، أنه قال له يهودي: إن موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون، وأراه الآية الكبرى، قال له: لقد كان كذلك، ومحمد رسول الله ﷺ أرسل إلى فراعنة شتى: مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبي البختري، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، وإلى الخمسة

المستهزئين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والاسود بن يغوث الزهري، والاسود بن المطلب، والحارث بن الطلائع، فأراهم الآيات في الآفاق وفي من عند الله بالصدقة... (القرشي: ١/ ٣٥٩). وبإسناده قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ موسى بن عمران سأل ربه فقال: بعيد أنت يا رب فأنا ذكرك أم قريب فأنا جيك، فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني...». «إِنَّ الله تعالى قريب لكل من يناجيه، ويدعوه، ويُجيب؟ إليه فيشملة برحمته، ولطفه. وبإسناده قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «دعاء أطفال أمتي مستجاب، ما لم يقارفوا الذنوب...». «إِنَّ دعاء أطفال المؤمنين مستجاب، فلا يرد الله لهم دعوة، ولكن إذا لم يقترفوا الجرائم والذنوب. وبإسناده قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «من مرَّ على المقابر، وقرأ قل هو الله احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أُعطيَ له من الأجر بعدد الاموات...». «إِنَّ قراءة سورة التوحيد للأموات المسلمين له الأجر المضاعف عند الله، والثواب الجزيل. وقال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والارض فعليكم بالدعاء، واخلصوا النية...». (المجلسي: ٩٠/ ٢٨٨) وحكى هذا الحديث أهمية الدعاء، فهو سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والارض، وقد حاز بذلك اسمى مكانة عند الله تعالى. وبإسناده قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم حاجة فليباكر في طلبها يوم الخميس، وليقرأ إذا خرج من منزله آخر آل عمران، وآية الكرسي، وإنا انزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فإنَّ فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة...» (المازندراني: ٨/ ٤٩٥). عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تحتجموا في يوم الجمعة مع الزوال فإنَّ من احتجم مع الزوال في يوم الجمعة فأصابه شيءٌ فلا يلو منَّ إلا نفسه. عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي، عن أبي سلمة، عن معتب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الداء أربعة: السعوط والحجامة والنورة والحقنة. الشرح: قوله: (الدواء أربعة) خصها بالذكر لكونها أنفع الأدوية في الأمراض المخصوصة التي يعرفها أهل الصناعة (السعوط والحجامة والنورة والحقنة) السعوط

كصبور: الدواء الذي يدخل في الأنف والمسعط بالضم ومُنْبَر: ما يجعل فيه ذلك الدواء ويصب منه في الأنف سعطه الدواء كمنعه ونصره وأسعطه الدواء سعطة واحدة في أنفه فاستعط، والحجامة بالكسر: حرفة الحجام والمحجم والمحجمة بكسرهما ما يحجم به، والنورة: تفتح وتسمن وتدفع الرياح، والحقنة: أن يُعطى المريض الدواء من أسفله وهي معروفة عن الأطباء وذكروا لها فوائد كثيرة. وعن سعيد بن جناح، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ موسى بن عمران عليه السلام شكَا إلى ربه تعالى البلة والرطوبة فأمر الله تعالى أن يأخذ الهليلج، والبليج، والأملج فيعجنه بالعسل ويأخذه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الذي يسمونه عندكم الطريفل (المازندراني: ٣٩٨/٢٣). عن أبي عبد الله عليه السلام أن فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحب إليَّ من عبدي المؤمن فإني إنَّما ابتليته لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري .

الشرح (إذا عمل برضائي وأطاع أمري) لعل المراد أن كتب من اتصف بالخصال المذكورة وهي الصبر على البلاء والشكر على النعماء والرضا بالقضاء في زمرة الصديقين مشروط بالعمل بما فيه رضا الله تعالى وإطاعة أمره بالشرائع والأحكام ولا يتحقق ذلك إلاَّ بأخذها من أهل العلم. عن ابن أبي يعفر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له وإن قُرِضَ بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له (ابن أبي الحديد: ٣٩/١٠). وقال: حدثني محمد بن إسماعيل الاحمسي، عن مفضل بن صالح، عن جابر. قال: كان في لسان الحسن عليه السلام رة، فكان سلمان الفارسي رحمه الله يقول: أتته من قبل عمه موسى بن عمران (القمي: ٨٦/١). وقال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وفرعون

ذِي الْاَوْتَادِ» (الفجر: ١٠) لَأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ ذَا الْاَوْتَادِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَذَبَ رَجُلًا بَسَطَهُ عَلَى الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ وَمَدَّ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ فَاوْتَدَهَا بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَرَبَّمَا بَسَطَهُ عَلَى خَشَبٍ مَنِسُطٍ فَوْتَدَ رَجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ، ثُمَّ تَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ حَتَّى يَمُوتَ، فَسَمَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (فَرَعُونَ ذَا الْاَوْتَادِ) لِذَلِكَ. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أَتَى مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: جِئْتُ أَقْبِضُ رُوحَكَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَنْ أَيْنَ تَقْبِضُ رُوحِي؟ قَالَ مِنْ فَمِكَ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: كَيْفَ وَقَدْ كَلَّمْتَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ مِنْ يَدَيْكَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: كَيْفَ وَقَدْ حَمَلْتُ بِهِمَا التَّوْرَةَ، فَقَالَ: مِنْ رَجْلَيْكَ، فَقَالَ: وَكَيْفَ وَقَدْ وَطَّئْتُ بِهِمَا طُورَ سَيْنَاءَ؟ قَالَ: وَعَدْتُ أَشْيَاءَ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَتَرَكَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَرِيدُ ذَلِكَ، فَمَكَثَ مُوسَى عليه السلام مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَحْفَرُ قَبْرًا فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَلَا أَعْيَنُكَ عَلَى حَفْرِ هَذَا الْقَبْرِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: بَلَى، قَالَ فَأَعَانَهُ حَتَّى حَفَرَ الْقَبْرَ وَلَحَّدَ اللَّحْدَ فَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَضْطَجِعَ فِي اللَّحْدِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنَا اضْطَجِعْ فِيهِ، فَاضْطَجَعَ مُوسَى فَرَأَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ قَالَ: مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَاقْبِضْ مَلَكَ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَدْفَنِهِ فِي الْقَبْرِ وَسَوِّ عَلَى التُّرَابِ (الكليني: ٣٥ / ٧). وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ فِيْمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ يَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فَإِنِّي إِنَّمَا أَتَّبِلِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأُعَافِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَزْوِي عَنْهُ مَا هُوَ شَرٌّ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ عَبْدِي فَلْيَضْبِرْ عَلَى بَلَائِي وَلْيَشْكُرْ.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيَّ فَقِفْ مَوْقِفَ الذَّلِيلِ الْفَقِيرِ وَإِذَا قَرَأْتَ التَّوْرَةَ فَاسْمِعْ فِيهَا بِصَوْتِ حَزِينٍ (الكليني: ٢٢٦ / ٤). عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ مَرَّ مُوسَى النَّبِيُّ عليه السلام بِصَفَاحِ الرُّوحَاءِ

عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ خِطَامُهُ مِنْ لَيْفٍ عَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ وَهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ يَا كَرِيمُ لَبَّيْكَ
 قَالَ وَمَرَّ يُوسُفُ بْنُ مَتَّى بِصَفَاحِ الرُّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ كَشَّافَ الْكُرْبِ الْعِظَامِ لَبَّيْكَ
 قَالَ وَمَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِصَفَاحِ الرُّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ عَبْدُكَ ابْنُ أُمِّتِكَ لَبَّيْكَ وَمَرَّ
 مُحَمَّدٌ ﷺ بِصَفَاحِ الرُّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ ذَا الْمُعَارِجِ لَبَّيْكَ. وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ
 سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ فَقَالَ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِلَّهِ عَلَى
 النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا أَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِسْطَاعَةَ فَقَالَ وَيْحَكَ
 إِنَّمَا يَعْنِي بِالْإِسْطَاعَةِ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ لَيْسَ اسْتَطَاعَةَ الْبَدَنِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَفَلَيْسَ إِذَا كَانَ
 الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ فَهُوَ مُسْتَطِيعٌ لِلْحَجِّ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِي وَلادته وَيَغِيبُ شَخْصَهُ لئَلَّا
 يَكُونَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إِذَا خَرَجَ ذَلِكَ التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِ أَخِي الْحُسَيْنِ ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ يُطِيلُ اللَّهُ
 عَمْرَهُ فِي غَيْبَتِهِ ثُمَّ يَظْهَرُهُ بِقَدْرَتِهِ فِي صُورَةِ شَابٍ دُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. » وَمَا جَاءَ فِيهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ « مَا رَوَاهُ الصَّادِقُ
 عَنْ آبَائِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ ﷺ قَالَ فِي التَّاسِعِ مِنْ وَلَدِي سَنَةٌ مِنْ يُوسُفَ وَسَنَةٌ مِنْ مُوسَى بْنِ
 عِمْرَانَ ﷺ وَهُوَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يَصْلُحُ اللَّهُ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَعَنِ الْحُسَيْنِ ﷺ قَالَ
 فِي الْقَائِمِ مِائَتُ سَنَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سَنَةٌ مِنْ نُوحٍ وَسَنَةٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَسَنَةٌ مِنْ مُوسَى وَسَنَةٌ مِنْ
 عِيسَى وَسَنَةٌ مِنْ أَيُّوبَ وَسَنَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ (http://www.yasoob.com). عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
 عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ كُلَّمَهُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ، ثُمَّ أَطْلَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِطْلَاعَةً فَخَلَقَ مِنْ نُورٍ
 وَجْهَهُ الْعَقِيقَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْتَ بِنَفْسِي عَلَى نَفْسِي أَلَا أَعَذَّبُ كَفَّ لَابِسَهُ - إِذَا تَوَلَّى عَلِيًّا -
 بِالنَّارِ) (الطَّبْرَسِي: ٦٢ / ٨). عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ مَجْمُوعٍ
 إِبْلِيسَ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أَذْنَبَهُ ابْنُ آدَمَ
 اسْتَحُوذَتْ عَلَيْهِ. قَالَ إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ. وَمِثْلُهُ مَعَ
 زِيَادَةٍ فِيهِ. وَتَمَامُهُ فِي الْبَحَارِ. عِلَلُ الشَّرَائِعِ: فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، الْمُرْوِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ قال تعالى: وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَرِيدُ الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكْفَهُ عَنْهُ، لئَلَّا يَدْخُلَهُ عَجَبٌ وَيُفْسِدَهُ الْخَبَرُ (الطبرسي: ١/ ١٠٣). عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ رَجُلَانِ فِي الْحَبْسِ فَاخْرَجَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَسَمِنَ وَغَلِظَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَنَحَلَ وَصَارَ مِثْلَ الْهَدْبَةِ فَقَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ لِلْمَسْمَنِ: مَا الَّذِي أَرَى بِكَ مِنْ حَسَنِ الْحَالِ فِي بَدَنِكَ؟ قَالَ: حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَقَالَ لِلْآخَرِ: مَا الَّذِي أَرَى بِكَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ فِي بَدَنِكَ؟ قَالَ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَبَرُ: إِنَّ شَتَمَ فَاضْرِبُونِي أَوْ فَاقْتُلُونِي أَوْ قَرِّبُونِي، فإني أَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ ذُرِّيَةَ نَبِيٍّ لَا يَزَالُ مَغْلُوباً أَبَداً مَا بَقِيَ، فَإِذَا مَاتَ يَصْلِيهِ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ. شَامِي يَطْلُبُ عَتَرَةَ الرَّسُولِ ﷺ جَارِيَةً لَهُ: عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ النَّخَعِيِّ الْقَاضِي، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ وَهُوَ يَنَاجِي رَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: مَا تَرْجُو مِنْهُ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَنَاجِي رَبَّهُ؟ فَقَالَ: أَرْجُو مِنْهُ مَا رَجَوْتُ مِنْ أَبِيهِ آدَمَ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ. وَكَانَ فِيهَا نَاجَاهُ أَنْ قَالَ لَهُ: يَا مُوسَى لَا أَقْبِلُ الصَّلَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي، وَأَلْزَمَ قَلْبَهُ خَوْفِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي، وَلَمْ يَبْتَ مَصْراً عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَعَرَفَ حَقَّ أَوْلِيَائِي وَأَحْبَائِي. فَقَالَ: يَا رَبِّ تَعْنِي بِأَحْبَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، فَقَالَ: هُمْ كَذَلِكَ يَا مُوسَى، إِلَّا أَنِّي أَرَدْتُ مَنْ مِنْ أَجْلِهِ خَلَقْتُ آدَمَ وَحَوَاءَ وَمَنْ مِنْ أَجْلِهِ خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ. فَقَالَ مُوسَى: وَمَنْ هُوَ يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ شَقَقْتُ اسْمَهُ مِنْ اسْمِي لِأَنِّي أَنَا الْمُحَمَّدُ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِهِ.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ: قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ لِإِبْلِيسَ: أَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أَذْنَبَهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ، وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ: يَا دَاوُدُ بَشِّرِ الْمَذْنِبِينَ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ، قَالَ: كَيْفَ أَبْشِرُ الْمَذْنِبِينَ، وَأَنْذِرُ الصَّادِقِينَ؟ قَالَ: يَا دَاوُدُ بَشِّرِ الْمَذْنِبِينَ أَنِّي أَقْبِلُ التَّوْبَةَ وَأَعْفُو عَنْ الذَّنْبِ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ أَنَّهُ لَا يَعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ

أنصبه للحساب إلا هلك (العالمي: ٣٦ / ٢١). وخلاصة القول من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أتدري يا موسى لم انتجبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يارب، فأوحى الله إليه: أني اطلعت إلى الأرض فلم أجد عليها أشد تواضعاً لي منك، فخر موسى ساجداً وعفر خديه في التراب تذلاً منه لربه.. اللهم احشرنا في زمرة سيدنا الإمام الحسين وأحبابه... اللهم آمين.

خاتمة :

بعد هذه الجولة في رحاب سمات وصفات الإمام الحسين عليه السلام وما جاء على لسانه من مرويات عن نبي الله موسى عليه السلام نستطيع أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها ، وهي على النحو الآتي:-

١. ظهر لنا من دراسة حياته وآثاره فهو مدرسة الشرع والأدب واللغة لقد كان من الأئمة البارزين في الرواية والدراية وعلوم اللغة وله ملكة لغوية تؤثر في المتلقي، إن نشأته الأولى في بيت النبوة كانت عاملاً أساسياً ورافداً مهماً لبناء شخصيته ، ليظهر بعلمه وخلقه وسمته النبوي وليُعلم الطلاب والسائلين لقد كان عالماً وإماماً كبيراً وله آراء متميزة في التوجيهات الإدارية والتربوية .

٢. إن الألفاظ والعبارات والآراء التي أطلقها الإمام وجدناها مشحونة بألوان من الحكم والمواظ والتوجيهات ، وجدنا الإمام قد اجتمعت فيه من الخصال ما تفرقت في غيره من العلماء .

٣. تُعدُّ شخصية الإمام الحسين عليه السلام إحدى الشخصيات المهمة والفريدة والفاعلة على المستوى البشري، ولها من الأهمية ما يدعو إلى الاعتناء بكافة الجوانب المتعلقة بها على

الدوام. من جانب الدراسات الشرعية المتعلقة بشخصيته أو تسخيرها للدراسات التربوية، والعلمية والنفسية واللغوية. ليعُدَّ تطويراً مستمراً في جميع جوانب المعرفة الإنسانية.

٤. إن الإمام (عليه السلام) كان موسوعياً في تدبر آيات القرآن الكريم في حكمه ومازوي عن موسى (عليه السلام)، متفرداً في استنباطاته وفهمه له، وقد حباه الله سبحانه وتعالى بعمق في النظرة البيانية البلاغية والدلالية في القرآن الكريم، مما يجعله مقدماً على غيره من المبرزين في هذا الباب. وكذلك نجده من جانب آخر يهتم بالتأديب التربوي لتصبح ضرورة شرعية في واقعنا المعاصر حتى تتحقق الأهداف التربوية. ويبدو أن من نافلة القول، التأكيد على المكانة الرفيعة التي حظي بها الإمام الحسين (عليه السلام) وثناء العلماء عليه شرقاً وغرباً، وفي أغلب العلوم الشرعية لقد كان الإمام صاحب رواية ودراية بالحديث النبوي الشريف وله مسند في ذلك.

٥. تمكنت الدراسة من سرد الروايات التي وقف عندها الإمام الحسين، وكشفت الدراسة عن جهوده في هذا الميدان وغيره.

٦. ومن ذلك كله نستطيع القول إن الإمام ضرب أروع الأمثلة في الاستدلال على آرائه من النقل والعقل والقياس. فهم واستنبط الإمام في تكريم الإسلام لحقوق الرعية وهو بين الحقوق الدينية والعلمية والاجتماعية لهم، وعنايته بهذه الجوانب إسهام في بناء الأسرة وحل جميع المشاكل المعاصرة والمتعلقة بالفرد والمجتمع.

٧. خلاصة القول إن ثقافته الفكرية تمتاز بغزارة المعلومات، ويعتز بتاريخه الأبناء والآباء والأجداد، لقد كان ابن البتول فقيهاً غاص في معرفة حقائق النفوس البشرية، وله منهج تربوي متكامل، ومن تخرى آثاره كلها يجده اتصف (عليه السلام) بصفات الدعاة الربانيين المخلصين؛ من الصدق، والإخلاص، والدعوة على بصيرة، والصبر، والرحمة، والعفو، والعزيمة، والتواضع، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والنظام

والدقة، والزهد، والورع، والاستقامة... وفي نهاية المطاف يوصي الباحثان أن تُدرس شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الدرس والجهة التي نظرنا فيها كأن تدرس عنده العلوم البلاغية وتوجيه القراءات القرآنية عنده - وأن يختص بتفسير الآيات التي وقف عندها. لأنه أثرى المكتبة العربية بترائه الفكري المتنوع والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١. الأصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)
- المسالك والممالك ، تحقيق: محمد بن جابر عبد العال الحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال القاهرة، ١٩٦١.
- ٢. ابن أنس، الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ / ٧٩٥م)
- كتاب الموطأ، تونس، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٩ م.
- ٣. الأنباري، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)
- كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) مصدر الكتاب: موقع يعسوب <http://www.yasoob.com>
- ٤. ابن بابويه القمي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت: ٢٨١هـ / ٨٤٩م)
- الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، ١٩٦١ م.
- كتاب الخصال، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، د، ت .
- ٥. البرقي، أبي جعفر احمد بن محمد بن خالد (ت: ٢٧٤هـ / ٨٨٧م)
- كتاب المحاسن، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠ هـ.
- ٦. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٠م)
- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الاولى، تونس، دار

- الغرب الاسلامي، ١٩٩٦ م.
٧. الجوهري، ابي بكر احمد بن عبد العزيز البغدادي (ت: ٣٢٣هـ / ٩٣٤م)
- السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، طهران، مكتبة نينوى، ١٤١٩هـ.
٨. ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- صحيح ابن حبان، تحقيق: احمد شاكر، د، م، دار المعارف، ١٣٢٧هـ / ١٩٥٢ م.
٩. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)
- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الاولى، د، م ١٩٥٩ م.
١٠. الحلي، نجم الدين ابي القاسم جعفر بن الحسن (ت: ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)
- المعبر في شرح المختصر، حققه وصححه عدد من الافاضل، قم - ايران، مؤسسة سيد الشهداء، ١٩٨٥ م.
١١. الحسيني، السيد شرف الدين علي الاسترآبادي (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)
- تأويل الآيات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الطبعة الاولى، قم - ايران، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٧هـ.
١٢. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله الضبي (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)
- المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م.
١٣. رضا، محمد رشيد
- الحسن والحسين، د، م، مكتبة مشكاة الاسلامية، د، ت.
١٤. الطبرسي، ميرزا حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)
- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د، م، د، ت.
١٥. الطبرسي، امين الدين ابو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٤م)

- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق، مهدي هوشمند، الطبعة الأولى، الناشر: دار الحديث، د، م، د، ت .
- اعلام الوري بأعلام الهدى، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٩٧٠ م .
- ١٦. الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت: ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)
- كتاب الامالي، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري وعلي اكبر الغفاري، قم، ١٤٢١هـ .
- ١٧. العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة (ت: ١١١٢هـ / ١٧٠١م)
- تفسير نور الثقلين، قم ، المطبعة العلمية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٥ م .
- ١٨. العسكري، الإمام أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) (ت: ٢٦٠هـ / ٨٧٤م)
- تفسير الإمام العسكري، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي "عجل الله فرجه الشريف"، قم، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٤ م .
- ١٩. العياشي، محمد بن مسعود (ت: ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)
- تفسير العياشي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي، د، م، ٢٠٢١م .
- ٢٠. العاملي، ابو جعفر محمد بن الحسن حر (ت: ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م)
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، طهران، المكتبة الاسلامية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م .
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، الطبعة الثالثة، قم، منشورات مكتبة بصيرتي، ١٩٨٠م .
- ٢١. ابن عبد البر، الحافظ ابو عمر يوسف بن عبدالله النمري المعروف بـ (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الاولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .
- ٢٢. القمي، محمد بن محمد رضا (ت: ١١٢٥هـ / ١٧١٣م)
- تفسير كنز الدقائق، قم- ايران، نشر: مجتبى العراقي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م .
- ٢٣. القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م)
- معاني الأخبار، الناشر: د، م ، دار المعرفة للطباعة والنشر، د، ت .

- علل الشرائع، قم- ايران، ١٤٢٥ هـ .
- كتاب ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن، الناشر: د، م، دار المعرفة للطباعة والنشر، د، ت .
- ٢٤. القرشي، الشيخ باقر شريف
- كتاب حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، د، م، ١٣٧٢ هـ .
- ٢٥. ابن كرامة، شرف الاسلام بن سعيد المحسن (ت: ٤٩٤ هـ /
- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تحقيق: تحسين آل شبيب، طهران، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٢٦. ابن اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (ت: ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)
- الفتوح ، تحقيق: محمد عبد المنعم، الطبعة الاولى، الهند، مطبعة دار المعارف العثمانية، ١٩٧٥
- ٢٧. ابن كثير، اسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م)
- البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد العزيز التركي، الطبعة الاولى، الرياض، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)
- كتاب الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، قم، ١٣٦٣ هـ .
- ٢٩. لوبون، غوستاف .
- حضارة العرب ، ، نقله إلى العربية :عادل زعيتر ، الطبعة الرابعة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة، ١٩٦٤ م .
- لجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم (عليه السلام)
- موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، د، م، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
- ٣٠. ابن ماجه، ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م)
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ٢٠٠٩ م

٣١. ماهر، سعاد .
- نشأة المدن وتطورها ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ م .
٣٢. الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٥م)
- صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي ابو قتيبة، الطبعة الاولى، د، م، دار طيبة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
٣٣. - المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي ١١١١هـ
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية، د، م، وزارة الارشاد الاسلامي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٣٤. المازندراني، مولي محمد صالح (ت: ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م)
- شرح اصول الكافي، طهران ، المكتبة الإسلامية، ١٩٩٢م .
٣٥. - الشيخ المفيد، ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)
- كتاب الاختصاص، تحقيق: علي اكبر الغفاري ومحمود الزرندي، د، م، ١٩٩٣م .
٣٦. نظام الدين، عبد الحميد
- مفهوم الفقه الاسلامي وتطوره واصالته ومصادره العقلية والنقلية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٤م .
٣٧. - النجفي، هادي
- الف حديث في المؤمن، الطبعة الاولى، النجف، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦هـ .
٣٨. - الهادي ، كاشف الغطا .
- مستدرك نهج البلاغة ، الطبعة الثانية، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، المملكة المغربية ، ١٩٨٠م .

المنطلقات القيادية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام

على وفق النص القرآني

أ. د. وجدان صالح عباس

كلية الآداب جامعة الكوفة

wijdan.alfatlawi@uokufa.edu.iq

يتناول البحث الموسوم بـ (المنطلقات القيادية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام على وفق النص القرآني)

أقسام القيادة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام على وفق النص القرآني فقد تحدثت في التمهيد عن لفظة (قاد) لغة واصطلاحاً. فالأمة بها حاجة إلى قيادة حكيمة وحكومة عادلة توفر للناس أجواء العدالة.

أما المبحث الأول فقد وسمته بـ (القيادة في القرآن) وتمثلها في الإمام الحسين عليه السلام وبينت فيه أنواع القيادات والآيات التي تناولت ذلك.

أما المبحث الثاني فقد كان عنوانه (مؤهلات الإمام الحسين عليه السلام القيادية ومصادرها) وهي العصمة والكفاءة العلمية والإلهام والأخلاق العالية والشجاعة والصمود والعبادة.

الكلمات المفتاحية: منطلق القيادة، الإمام الحسين، النص وفق القرآن

Leadership Principles for the Revival of Imam Hussein (peace be upon him) According to the Quranic Text

Dr. Wijdan Saleh Abbas / Head of the Arabic Language
Department at the College of Arts, University of Kufa

Abstract

The research tagged with (the leadership premises of the renaissance of Imam Hussein, peace be upon him, according to the Qur'anic text) deals with

Sections of leadership in the revival of Imam Hussein, peace be upon him, according to the Qur'anic text. The preamble spoke of the word "led" in language and idiomatically. The nation needs wise leadership and a just government that provides people with an atmosphere of justice. Leaders such as right leadership and invalid leadership and the verses that dealt with that.

As for the first topic, I described it as leadership in the Qur'an and represented it in Imam Al-Hussein, peace be upon him, and showed through it the types of leadership, such as right leadership and false leadership, and the verses that dealt with that.

As for the second topic, which was entitled (Imam Al-Hussein, peace be upon him, leadership qualifications and their sources), which is infallibility, scientific competence, inspiration, high morals, courage, steadfastness and worship.

And praise be to God, Lord of the worlds. And prayers be upon Muhammad and the God of the good and pure

Keywords: Leadership principles, Imam Hussein, Quranic-based text.

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف ترشدنا إلى الإقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته والصلاة والسلام على رسوله الأمين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن من نعم الله على عباده هدايتهم ومن فضله توجيههم ومن محبته لهم تعريفهم بأمور دينهم ودنياهم فضلاً عن هذا محبتهم لآل بيت نبيه فهم سفن النجاة ودعاة الهدى وسبيل الله الصحيحة وعروته الوثقى.

التمهيد

المنطلقات القيادية لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

لغة :

الطفل الذي يولد في بيئة دينية محافظة حينما يفتح عينيه وينشق سمعه ويتفتق إحساسه يلاحظ العديد من مظاهر التقديس والولاء لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أهله ومجتمعه.

فالأب عندما يذكر اسم إمام منهم يردفه بعبارات الثناء والتمجيد ووالدته كذلك إذ إن في أي مشكلة أو صعوبة تمر عليها أو على أسرته تهرع بالتوسل إلى أحد الأئمة الأطهار بل يتعدى الأمر ذلك ففي مناسبات عديدة يلاحظ هذا الطفل انقلاباً شاملاً وتغيراً كاملاً في حياة الناس من أقرانه في المذهب أو المذاهب الأخرى ولاسيما أوقات العزاء ومراسم عاشوراء.

فتنغرس في نفسه بدايات الولاء المطلق لهذه القيادة التي لم يعرفها عن قرب ولم يطلع عليها فيبدأ بتناول الكتب والمراجع وسير العظماء ليرى أيهم أصح لأن يكون قائداً له يمثل في الحياة. وانطلاقاً من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (الحسن والحسين إمامان قاما أو

قعدا) (الكليني، ج ١، ص ٥٨) سوف نتناول المنطلقات القيادية للإمام الحسين (عليه السلام) في ثورته ونهضته المباركة ضد الظلم والطغيان وكيف كانت هذه القيادة مشحونة ومرسومة بالعناية الإلهية والنص المقدس.

فأهم شيء تحتاجه الأمة هو وجود قيادة حكيمة وحكومة عادلة توفر للناس أجواء العدالة والأمن والحرية وتسير بالمجتمع في طريق التقدم والازدهار (أئمة أهل البيت رسالة واجتهاد، ٢٧)

فإذا ما ابتليت الأمة بقيادة غير حكيمة ومنحرفة وحكومة ظالمة فإن مصيرها يتحول إلى جحيم وظلم مستمر ولا بد حينئذٍ للقائد من التحرك وعدم الوقوف مكتوف الأيدي ضد هذه القيادة المنحرفة في المجتمع ولا شك أن أهم منعطف تاريخي عاشته الأمة الإسلامية خاصة هو تولي يزيد بن معاوية دفعة الحكم الإسلامي ومن قبله معاوية وجرت أحداث ومواقف مؤلمة مثلما يخبر بها التاريخ في طياته العريضة. فما حدث فيما بعد هو دليل كافٍ على أهمية قيادة الإمام الحسين (عليه السلام) لهذه الأمة التي أراد الأعداء الانقضاء عليها والقضاء على الدين الحنيف.

والقيادة مفردة من مفردات الحياة ومفهوم اجتماعي وأمي كثيرًا ما نسمع به ونقرأ عنه في الكتب والمضام.

وهو مصطلح داخل في إشكالات تأويلية عقدية وسياسية وأيدلوجية وتعرض لقراءات مختلفة من مدارس الفكر البشري بل استشرى هذا الاختلاف في المجتمع فنجد طائفة من الناس يفهمون هذه المفردة فهما ساذجًا بسيطًا وأخرى تفهمه على وفق معطيات حياتية وثقافية وفكرية متقدمة بل ذهب بعضهم إلى تقديس هذه المفردة دون مراعاة أية خصوصية أو ضوابط أو شروط فيمن تنطبق عليه هذه المفردة (القيادة في نهج الأنبياء: ٣)

وينبغي الالتفات إلى أن القيادة هي نوع من العقيدة الأيدولوجية والقيادة قبل ذلك مهمة إنسانية ذات سمات ومزايا خاصة تناولها الباحثون كثيرًا في تخصصات متعددة وما ذلك إلا لأهميتها سواء على مستوى الدراسات النفسية أو الإدارية.

والقيادة لغة: (قاد الدابة يقودها قودًا وقيادًا وقيادة... أخذ برسناها ومشى بها خلفه) (الطراز مادة (قاد)) ويتضح من هذا المعنى المعجمي أربعة أشياء: قائد ومقود وواسطة للقيادة وسير على نحو التابع والمتبوع منه تتفرع المعاني الأخرى.

أما في الاصطلاح فهي الإرادة ثم العمل وإثارة رغبة العمل في نفوس الآخرين وتوزيع الجهود والمسؤوليات لتحقيق الأهداف وقبل ذلك هي إعمال الانضباط عن رغبة لا عن خوف والاهتمام بالمصلحة العامة قبل الخاصة والمحافظة على تماسك الوحدة بين أبناء الشعب في الشدائد والملمات (لكوراني، ٤٥)

وعليه فإن القيادة هي السبق والتقدم لارتداد الأفضل ويمكن تعريفها من وجهة نظرنا القاصرة بأنها القدرة على التأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة تضمن المصلحة العامة.

ومصطلح القيادة لم يرد بلفظه ولا بأصله في القرآن الكريم لكن على مستوى المعنى نجد آيات عديدة تتعلق بمعنى القيادة وما يرتبط بها من قبيل لفظة الإمامة ومشتقاتها ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤) وكلمة الحكم ومشتقاتها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ كِتَابَ وَلَهُمْ أُولَئِكَ وَلِئُوبَةِ﴾ (الجاثية: ١٦) ولفظة الخلافة ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٦). وكذلك لفظة (أسوة) التي وردت في موطنين: أولهما للرسول ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(الأحزاب: ٢١) وثانيهما لنبي الله إبراهيم عليه السلام وأتباعه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (المتحنة: ٦) وهذه الألفاظ والمصطلحات منطبقة على شخص الإمام الحسين عليه السلام متوافرة فيه.

المبحث الأول

القيادة في القرآن وتمثلها في الإمام الحسين عليه السلام

رب سائل يسأل: هل ترك الإسلام ورسوله هذه الأمة في مهب الريح دون قيادة وإدارة؟ وهل يجوز لنا القول بأن الإسلام وهو صاحب المبدأ الشامل والفكر الثاقب يتغافل عن هذا الأمر؟ وهل يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان غافلاً عن حدوث هذا الواقع المرير أو لم يكن مهتماً بمستقبل الأمة والرسالة (حاشاه من ذلك)؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول: قدم الإسلام البديل ورسخ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ووضع الضمانات الكافية لحماية الرسالة ولسلامة الأمة من قبيل الأحاديث العديدة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يحدث للأمة بعد وفاته (بن حنبل ٤٨٩: ٣ و البخاري) وعمل كذلك منذ بدء دعوته بتخطيط إلهي على إعداد خليفته لقيادة هذه الأمة ولسد الفراغ بعد غيابه (رسالة وجهاد، ٨٣٦).

أنواع القيادة

١. قيادة حق: تكون للهداية والرشاد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣) وفي موضع آخر قال سبحانه عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤). فهذه قيادة رحمانية ربانية اختارها الله لقيادة البشر وتدعو إلى إصلاح الدنيا والجنة في الآخرة وخير من يمثلها في الواقع الفعلي محمد وآل

بيته الأ طهار ومنهم الإمام الحسين (عليه السلام).

٢. قيادة باطلة: تكون للغواية والضلال وتدعو إلى فساد في الدنيا والنار في الآخرة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص: ٤١) ويجب محاربتها وقتالها بنص القرآن نفسه ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢) وأجدر من يمثلها في الواقع أعداء أهل البيت ومن يدعون إلى الفساد في الأرض.

إن اختيار الأفراد لقيادة الأمة بالشروط والصفات اللازمة يتبع دوما المسؤولية التي توكل إليهم لأن لكل نوع من المسؤوليات شروطاً وصفات خاصة. ومن المتعارف لدينا إن المسؤوليات كلما عظمت وكبرت كانت شروطها أشد وأصعب وفي الحقيقة إن أصل انتخاب الأصلح يُعد من أهم الأصول في عملية التعيين ولكن الأصل أسىء استعماله لهذا لم يعد ممكناً تطبيقه عند تسلم غير الكفو له.

وهناك معايير قرآنية لاختيار هذا القائد ففي ثلاث سور من القرآن أشير إلى الضوابط والمعايير وهي:

١. في سورة البقرة إذ جرى فيها الحديث عن قصة طالوت وجالوت وانتخاب طالوت قائداً لبني إسرائيل في ذلك الزمان (اشموئيل) لمحاربة السلطان الجائر موضحاً فيه خاصتين لانتخابه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧) وهما سعة العلم والجسم فمن الواضح إن القدرة الجسدية والفكرية شرطان أساسان في جهاد الأعداء.

٢. في سورة يوسف عندما قدم يوسف عرضاً للملك بتحمل مسؤولية خزائن مصر ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥) فالأمانة شرط في

الاختيار للقيادة فضلاً عن العلم.

٣. في سورة القصص في قصة نبي الله موسى وابنة نبي الله شعيب عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) إذ القوة شرط فضلاً عن الأمانة لذا اقترحت ابنة شعيب عليه السلام استئجار موسى عليه السلام ليكون مديراً لأموال الأسرة وممتلكاتها (الإدارة والقيادة ١٣٦- ١٣٧). وإذا ما زدنا بقية الضوابط والمعايير التي توضع في اختيار القائد من قبيل الإيمان بالهدف والعلم والقدرة والأمانة والإصلاح والصدق وحسن السابقة والوراثة الصالحة وسعة الصدر والتجربة والخبرة والشجاعة والحزم والعدالة والمقبولية والتزام الأصول والضوابط فنجد كل هذه المعايير تتحقق في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

فالإمام مؤهل لهذا المنصب الخطير والمسؤولية الضخمة التي تتوقف عليها حياة الأمة الإسلامية ومصير الرسالة.

ولاشك أن البعد الأسري أحد أهم أبعاد شخصية الإنسان فالأسرة التي عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على إيجادها وتقديمها إلى العالم لتكون النموذجية التي يريدها الإسلام وهي أسرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتألف من الرسول والإمام علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليه السلام إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) وهناك كوكبة عديدة من الأحاديث التي نطق بها نبي الأمة صلى الله عليه وسلم أبرزت ملامح شخصية الحسين عليه السلام وحددت أبعاد مكانته في الإسلام وتضافرت تلك النصوص وتواترت إذ قام الرسول بدوره في تربية سبطه وريثه فأفاض عليه من مكرماته وأخلاقه وغذاه بقيمه ومثله ليكون صورة له فلقد انطوت نهضة الإمام الحسين عليه السلام على روح النضال والعزة والكرامة ومصدق ذلك قوله: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله) وقوله أيضاً: (والله

لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل ولا أقر إقرار العبيد) فقد حرص الإمام الحسين عليه السلام منذ البدء ومنذ أن خطب في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعلن نفسه قائداً وممثلاً للإسلام بوصفه يمثل شخص النبي روحاً وعقيدة ولحمة وقرابة.

وقد تجلت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بالقرآن واهتمامه له في جانبين رئيسيين هما (مجلة سبيل ثورة الامام الحسين الثورة القرآنية ٣٢-٣٣):

١. البعد اللفظي: إذ تكثر الآيات القرآنية على لسان الإمام الحسين عليه السلام.

٢. البعد العملي: وهو يتضح من المواقف والخطب التي ألقاها الإمام على الناس. وسوف نوضح مدى الارتباط بين نهضة الإمام الحسين وقيادته وبين القرآن الكريم فالبعد الأول (اللفظي) قد ذكره المؤرخون وتواترت به الروايات (المكرم)

منذ مسيره من المدينة حتى وصوله إلى كربلاء ومصرعه فيها ثم نقل رأسه إلى الشام إذ إن الإمام عليه السلام في أثناء خروجه من المدينة متوجها نحو مكة كان يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢١) فقد بين سلام الله عليه أن أمره كأمر الأنبياء الذين خرجوا من قبله فكان خروجه كخروج موسى عليه السلام وكيف لا وهو وراث الأنبياء (السلام عليك يا وراث موسى كليم الله).

ودخل مكة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص: ٢٢) إذ سار الإمام الحسين بالجادة الرئيسة والطريق العام فقال له أصحابه وأهل بيته: لو تنكبت عن الطريق مثلما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض. وحين وصل الثعلبية سئل عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (الاسراء: ٧١) فقال: إمام دعا إلى الهدى فأجابوا إليه وإمام دعا إلى الضلالة فأجابوا إليها هؤلاء في الجنة هؤلاء في النار وهو قوله تعالى:

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧) فالإمام لم يشغله مسيره إلى العراق عن تفسير آيات الله سبحانه عز وجل.

وكذلك قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ٤١) فهذه مقارنة بينه وبين جده رسول الله ﷺ فالإمام لم يكن خروجه بالثورة لمفارقة الأمة وتفريقها بل الإصلاح والإرشاد وتلا هذه الآية حين أبلغه أهل المدينة برسالة يزيد له بالتهديد والوعيد. وعندما طلب منه بعض الأصحاب والأهل تغير وجهة سفره إلى العراق لأنهم لا أمان لهم أهل غدر ونفاق قرأ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آل (عمران: ١٨٥) وعندما سار بالركب والأهل تلا قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨).

وفي يوم عاشوراء قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٧٨-١٧٩) وكان الإمام الحسين عليه السلام يودع أصحابه عندما يريدون التقدم للقتال بقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣) وفي أثناء المعركة تلا الإمام الحسين عليه السلام هذه الآيات ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦) و﴿إِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ٢٧) و﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤).

وفي دعاء الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتل ولده علي الأكبر تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (آل عمران: ٣٣-٣٤) زد على ذلك أنه قرأ القرآن بعد استشهاده وحمل رأسه الشريف على الرمح إذ روى زيد بن أرقم أن الراس المبارك كان يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف: ٩) وعندما وضع الرأس الشريف في موضع الصيارفة قرأ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣) وعندما وضع الرأس على شجرة واجتمع حولها الناس ينظرون إلى النور الساطع منه تلا قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٧) ونقل سلمة بن كهيل أنه سمع الرأس الشريف يقرأ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

فالذي يلحظ من البعد الأول يجد أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان عدل القرآن يعمل به ولا يفارقه برهة كيف لا وهو من أهل بيت زقوا العلم زقا؟

أما إذا ما انتقلنا إلى البعد الثاني (العلمي) فنجد أن الإمام (عليه السلام) هو عدل القرآن وترجمانه وتجسيد حي لروحه ومثال لكل ما دعا إليه من أخلاق وبر وإحسان فأول كلمات نطق بها الإمام (عليه السلام) ورفعت شعارا لنهضته المباركة على الحكم الظالم الغاشم: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله).

وحين وصلته كتب الكوفيين قال: (ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس لنفسه على ذات الله) وعندما نزل كربلاء مع أصحابه كان أول شيء رده (إلا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله فإني لا أرى الموت إلا سعادة والعيش مع الظالمين إلا برما) وفي ليله شهادته قال الإمام لأصحابه: (أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا

أسماعا وأبصارا وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين).

وتبقى كلمته الخالدة على مر العصور: (لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق).

يتبين من ذلك كله مدى الترابط والتماسك ما بين قيادة الإمام الحسين (عليه السلام) والنص القرآني المفوض به أو المطبق في العمل فقد كان الإمام يرفق حتى بالعدو لأنه ينظر إليه نظرة قرآنية إنسانية فقد بكى الإمام الحسين (عليه السلام) على هؤلاء الذين سيدخلون النار بقتله فأبي مصداق قرآني أعظم من الرحمة والرفقة بأشد أعدائه؟

وبهذا تكون الشروط العامة للقيادة المستوحاة من النص القرآني موجودة ومتحققة في الإمام الحسين (عليه السلام) نذكرها على إيجاز وهي (الأفكار الإبداعية ٣٠ والوعي بالذات ١٢٥ والذكاء الأخلاقي ٨٥-٨٦)

١. حسن القصد: أي: وجود غاية في خلق الإنسان وسعيه في الأرض فالإنسان يعي أن أساس محاسبته بين يدي الخالق هو القصد لأن القصدية محرك للسعي نحو الخير والإصلاح ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (النجم: ٣٩-٤١) وحسن القصد متوافر في الإمام (عليه السلام).

٢. الشورى: لابد للقائد من المشورة مع مجموعته سواء أكبرت أم صغرت في أي اختيار أو مهمة تلاقيه بموجب قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) والإمام الحسين كان يشاور أصحابه وأهل بيته فيما يريد فعله.

٣. التأمل الخلاق: القائد لا ينجح أبدا ما لم تكن لديه نظرة ثاقبة في الأمور وتدبير مهام قيادته وقد نبه القرآن إلى ذلك ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

اللهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿(الأعراف: ١٨٥)﴾ وَ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢) وغيرها من الآيات وهذه النظرة والتأمل موجودة في ذات الإمام الحسين عليه السلام.

٤. المصداقية: يجب على القائد أن يكون موجها وداعيا إلى مخالفة الهوى وداعيا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعليه أن يبدأ أولا بنفسه ويجعل منها قدوة لغيره. ونجد مصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣) و﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤) فالله حين بشر إبراهيم بالقيادة أَرادها إبراهيم خالدة متواترة في بنيه من بعده فكان جواب رب العزة واضحا لا لبس فيه.

٥. الاستيعاب: على القائد أن يكون لنا حليما صبوراً على الأذى متواضعا ونجد مصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

٦. القوة المادية والفكرية: إن القوة معيار أساس للتفاضل بين المتنافسين على القيادة فعندما يذكر القرآن حادثة بني إسرائيل وإطاعة طالوت والتجهز للقتال تحت قيادته بالاصطفاء الإلهي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (البقرة: ٢٤٧) اعترض عليه بنو إسرائيل فكان الجواب: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧) إذ يلحظ في هذه الآية القوة في تجلياتها المادية (الجسم) وتجلياتها الفكرية (العلم).

٧. ومن يريد أن يطبق هذه الشروط على الإمام الحسين عليه السلام يجدها متوافرة فيه مجتمعة كلها في شخصه الكريم.

المبحث الثاني

مؤهلات الإمام الحسين عليه السلام القيادية ومصادرها

لابد لكل قائد من مؤهلات وكفاءات عالية يمتلكها ليصبح في هذا الموضع وتجعله جديراً به ومن ثم ينصاع الأتباع لهذا القائد لأنه يمتلك مؤهلات غير موجودة لدى الآخرين فضلاً عن الإيمان المطلق بهذا القائد بكون قيادته مسددة بتسديد إلهي في الواقع وهذه المؤهلات هي (ذكاء الاقناع ٣٥ وسيكولوجية التفكير والوعي بالذات ١٤٠):

١- العصمة: وتعني الالتزام الكامل لأحكام الدين وإصابة الحق دائماً وعليه فالعصمة ضرورة لقيادته لأن المسؤول عن تبين معالم الدين ونشر أحكامه وتطبيقه لابد أن يكون ملتزماً لها أولاً وإلا فكيف يثق المجتمع بقيادته؟! زد على ذلك أن من المفترض في القائد أن يكون قدوة لغيره وأقواله وأفعاله حجة على نفسه وعلى الناس على حد سواء إذ إن انحراف القائد سيؤدي إلى خطر عظيم وجسيم على الأمة سواء بالقول أو بالفعل وعليه فلا بد للقائد من أن يكون معصوماً وقدوة للآخرين كي تطمئن له النفوس وتمنحه الثقة العالية. على أننا يجب أن ننبه إلى أن العصمة لا تعني اختلافاً تكوينياً فسيولوجياً بين الإمام الحسين عليه السلام وسائر الناس إذ يكون الإمام عليه السلام بطبيعته التكوينية مجبوراً على طاعة الله وغير قادر على المعصية والخطأ بل تعني بلوغ الإمام عليه السلام درجة عالية من الوعي والنضج العقلي والديني والنفسي تدفعه إلى عدم الوقوع في الزلل والخطأ والانحراف مع تمكنه من ذلك (تنزيه الأنبياء ٣٤ وابعث في فكر أهل البيت عليه السلام ١٦ وعصمة الأنبياء ٢٧٦).

وقد حكم القرآن بعصمة أهل البيت عليه السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) والروايات متواترة في ذلك (للمزمذ ٣٠: ٥- ٣١ وصحيح مسلم ١١٦: ٢ ومسنند أحمد ٦٢٩٢).

ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) (النيسابوري ١٠٩: ٣).

١. الكفاءة العلمية: إن من أهم ما يميز القائد من أقرانه وأتباعه تحمل المسؤولية ونشر الرسالة التي يؤمن بها والعمل على تطبيقها. ولا يستطيع القائد تحمل هذه المسؤولية ما لم يكن لديه إحاطة شاملة بمعالم الدين عارفا بكل الحقائق التي تتعلق بتطبيق أحكام الإسلام حتى يصبح أعلم الأمة يقول تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (يونس: ٣٥) وقد ورد عن رسول الله ﷺ أكثر من حديث يؤكد الكفاءة العلمية لأهل البيت ﷺ وامتيازهم من جميع العباد من قبيل قوله: (فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) (الأنصاري: أبو العباس) والشيء المحقق أن الإمام الحسين ﷺ أوسع الناس في زمانه علما وأكثرهم دراية وإحاطة بجميع أنواع العلوم والمعارف فهو من ورثة علوم جده رسول الله ﷺ ومن خزنة حكمته ولسائل أن يسأل: كيف يُحصّل الأئمة هذا العلم ويصلون لهذا المستوى الرفيع من المعرفة؟ وللإجابة عن ذلك نقول:

إنهم امتازوا بالذكاء والوقاد وقوة الحافظة منذ صغر أعمارهم والشواهد كثيرة على ذلك في التاريخ.

٢. لتربية والتعليم: فكل إمام يتربى في أجواء أبيه العلمية ويكتسب المعارف والعلوم حتى يصل التسلسل إلى الإمام علي ﷺ الذي قال (علمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب) وكيف لا وهو باب مدينة العلم الذي تربى على يد رسول الله ﷺ (المجلسي ٢٨: ٢٦٢ والغدير ١: ٦١- ٧٧).

٣. الإلهام من الله عز وجل فالله يقذف في روح الإمام ما يحتاجه من العلم والمعرفة

والإلهام ليس مقتصرًا على الأنبياء والرسل فهذا القرآن يحدثنا: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ (القصص: ٧) وكذلك مع مريم ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ (مريم: ١٧-١٩) وهؤلاء ليسوا أنبياء وإنما أولياء صالحون بل الأمر يتعدى ذلك كقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً﴾ (النحل: ٦٨). وهذا الإلهام يمد الله به الإمام لعله المصلحة العامة للدين لأهمية الدور الذي يضطلع به الإمام في إظهار سنة الله وصراطه القويم.

٤. الأخلاق العالية : تحتل الأخلاق أعلى درجات الأهمية في شخصية القائد لأنها تكسب قلوب الناس وتستقطبهم حوله ومن ثم تجعلهم متجاوبين مع دعوته والتاريخ مملوء بالسلوكيات العظيمة لأهل البيت (عليه السلام) وأخلاقهم الكبيرة في التعامل مع العباد بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم من احترام للطرف الآخر مهما كان دينه والعطف على الضعفاء والمحرومين والتجاوز عن الإساءة الموجهة إليه وسنكتفي بمثال واحد .

ففي صباح العيد تقدمت جارية كانت ملكاً للحسين (عليه السلام) بباقة ورد هدية رمزية منها للإمام (عليه السلام) لمناسبة العيد فقبلها قبولاً حسناً شاكرًا لها وقال لها بابتسامة واحترام: أنت حرة لوجه الله تعالى فاستغرب الحاضرون في مجلسه وقالوا : يا أبا عبد الله أهدت إليك باقة ورد لا تساوي شيئاً فاعتقتها؟ فقال (عليه السلام): هكذا أدبنا الله ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ (النساء: ٨٦). ولم أر تحية أرد بها على تحية هذه الجارية أحسن من عتقها (المجلسي: ١٩٥: ٤٤) .

٥. الشجاعة والصمود: وهاتان صفتان ضروريتان في جميع ميادين الحياة ومعاركها وليس فقط في الجانب العسكري إلا أن ساحة الحرب هي أبرز المصاديق لممارستها والقيادة القوية لا تصدر إلا من روح شجاعة ونفس صامدة لذا كان من الضروري أن يقود الأمة من يتحلّى بروح الجرأة والشجاعة والإقدام ولا يخشى في الله لومة لائم فعندما تساقط كل أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) على أرض التضحية والفداء وقتل جميع أولاده

حتى الطفل الرضيع بسيف البغي والطغيان وبقي فريدا في ساحة الوغى يحارب ذلك الجيش العظيم المدجج بأنواع الأسلحة يقول حميد بن مسلم: (والله ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا ولا أجراً مقدما منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فينكشفون عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شد فيه الذئب ولقد كان يحمل فيهم فيهمزون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله) والإمام الحسين عليه السلام مثلما هو معروف من أشجع الناس ومن أربطهم جأشا وأقواهم عزيمة فهو كجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوة بأسه وشجاعته فلقد قاوم النبي الشرك وحطم أوكار الجهل والبغي. وهو كوالده الإمام علي عليه السلام في البطولة والإقدام وخير ما يقال فيه: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

٦. العبادة: العبادة ليست مجرد حركات تقليدية يقوم بها الفرد من قيام وعود ولا هي كلمات يتفوه بها دون فهم ومعرفة وليست العبادة انزال ورهبانية بل هي وقفة تأمل ونظر وتربية للروح والنفس المضطربة يتزود الفرد عن طريقها بالطهارة والمحبة للناس كافة وتنجلي فيها الأحقاد والأنانية فهي خشوع روحي يظهر على أفعال الإنسان فيعرف به قيمته في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف. والعبادة فوق ذلك استلهاهم لمعاني السمو وقيم الحق وتنمية للوجدان والنفس.

فالمعركة تدور رحاها بعنف بين قلة مؤمنة صامدة وهم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وكثرة فاسدة ضالة هم عمر بن سعد وجيشه جيش يزيد قتلى وجرحى وأكف تطاير بضربات السيوف ودماء تسيل من الرؤوس وشمس تسطع بحرارة لاهبة وفي أثناء هذه المواقف الصعبة ينبري أحد أصحاب الإمام عليه السلام يقول للإمام: يا أبا عبد الله نفسي لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة معك فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك

الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ففعلوا بيد أن جيش يزيد سخرُوا من الإمام (عليه السلام) فتقدم الإمام يصلي ببعض أصحابه بينما وقف الآخرون لحراسته من العدو والمهجوم وفي أثناء الصلاة بدأ الطرف الآخر برمي الإمام (عليه السلام) بالسهام ولم يلتفت الإمام لهم بل بقي على صلاته وخشوعه فهو يقف بين يدي جبار السماوات والأرض والشيء المحقق في ذلك أن أصحاب الإمام (عليه السلام) قد تربوا بترية الإمام (عليه السلام) فكانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لا تشوبها شائبة كيف لا وإمامهم قضى حياته صائماً نهاراً قائماً ليلاً ملبياً نداء ربه بالصلاة والدعاء والابتغال غير المنقطع.

أما لو تطرقنا إلى مصادر الإمام القيادية فكل قائد يتمتع بقوة قيادية تجعله قادراً على قيادة الأتباع والجمهور والتأثير فيهم وهنالك العديد من القوى التي يمكن استعماها من لدن القائد لإدارة جمهوره من قبيل قوة الإكراه وقوة المكافئة وقوة العلم الذي يمتلكه القائد وغيرها من القوى (الكوري: ١٤٥).

ولكن القوة الحقيقية التي تكون في القائد المختار التي تعطيه القيادة العليا هي القوة الشرعية أو الدينية الممنوحة له من الله عز وجل ومن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما ينطق عن الهوى * إنها هو وحي يوحى ﴿ (النجم: ٣-٤) ﴾.

وهذه القوة الإلهية للقائد ستجعله قادراً على إدارة الناس فضلاً عن القوى الأخرى التي يتمتع بها من قوة الشخصية وقوة العلم وقوة الحكمة والخطابة والمنطق وغير ذلك وسوف نقف عند هذه القوى بصورة موجزة (الذكاء الثقافي وعلاقته بالتسامح الاجتماعي: ٦٥ وطريقة توليد الأفكار الإبداعية):

١. القوة الشرعية أو الدينية : وهي أهم مصادر قوة القائد التي تخوله إدارة العالم بأسره وهذه القوة لا تعطى إلا للأنبياء والأوصياء ورجال الدين الذين هم بدرجات عالية من العلم وهذه القوة ستجعل من القائد يمارس القوة الشرعية على وفق الدستور

الديني الذي خوله هذا التصرف وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى هذه القوة التي أعطت للإمام الحسين عليه السلام الشرعية الإلهية في قيادة المجتمع نحو التوحيد والعدل الإلهي الذي لا يتحقق إلا بقيادة هذا القائد بعينه وإن الصلاحيات الممنوحة للقائد هي صلاحيات إلهية تكوينية تمنح له فقط دون غيره من البشر.

٢. قوة الرؤية: إذ يمتلك القائد القوة على إلهام الجمهور كيفية إدارة الدولة وتنظيمها وجعل هذه الرؤية حقيقية والإيمان المطلق بتحقيقها وليست مجرد كلام عابر وهنا القائد يحرك مكنونات أتباعه لإظهار الطاقة الكامنة وتحريكها نحو الهدف الأسمى للرسالة التي يريد إيصالها للناس وهذا يولد لدى الجمهور الشعور بالثقة بالقائد لأن البقاء معه هو ضمان لتحقيق ما يصبون إليه من أهداف سامية وهي محاربة الفساد والظلم وإظهار الحق وتطبيق العدالة ومن ثم سيكون هذا الجمهور قادرا على إنجاز جميع الأعمال المناطة به بصورة مثالية.

٣. قوة الخبرة المتراكمة: في القيادة العادية يحتاج القائد العادي إلى الخبرة العلمية نتيجة عمله القيادي وهذه الخبرة قد يتم اكتسابها في عشرين سنة أو أكثر فكيف لمن كان قائدا منذ ولادته ومطلعا على جميع التجارب والأحداث يتعامل معها بحكمة ودقة ولا يترك الأمور على عواهنها بل يضع كل شيء موضعه السليم قولاً وفعلاً وهذا حاصل في شخصية الإمام عليه السلام.

٤. قوة التأثير: وهي قوة تنشأ من طريق معاملة القائد للأفراد التي يستطيع من خلالها أن يميز الأفراد القادة الحقيقيين من غيره ممن يدعون ذلك إذ إن جانب التأثير مهم جداً في حياة الأتباع في كل المستويات وهذا متحقق في الإمام الحسين عليه السلام وتأثيره في الأفراد والجماعات التي ناصرته بل حتى التي لم تنصره في ذلك الحين إذ وصل تأثيره فيهم درجة الندم والحسرة.

النتائج:-

١. علينا أن نفهم قيادة الإمام الحسين عليه السلام على نحو صحيح فهي قيادة تتكرر في أتباعه ومريديه ولا نفهمها على أنها حدث جرى مرة واحدة حسب.
٢. إن قيادة الإمام الحسين عليه السلام هي قيادة بشرية وربانية إذ استطاع الإمام عليه السلام أن يجمع ما بينهما في إطار واحد وقد توافرت لها شروط وصفات تجسدت في شخصية القائد الإمام الحسين عليه السلام.
٣. إن الإمام الحسين عليه السلام لم يرد بقيادته أمر دنيوي بل كان ثائرا على الظلم والفساد الذي دب في مفاصل الدولة الإسلامية وتصدى له بكل ما قوة وعزيمة وحكمة.
٤. إن قيادة الإمام الحسين عليه السلام مستوحاة من القرآن الكريم فهي منهج ثوري متكامل تجد لها في طيات الكتاب العزيز مصاديق عديدة.
٥. إن الإمام الحسين عليه السلام هو وارث الأنبياء والرسل وهم قادة البشرية في كل زمان وبهذا وصلت له القيادة الربانية التي لا تحيز الانخداع بالمظاهر بل لا بد من تقييم الأداء ومعرفة الأشياء بحقائقها لا بمظاهرها.
٦. أثبتت قيادة الإمام الحسين عليه السلام وجوب مقاومة الظلم حتى مع العلم بالشهادة
٧. فالانتصار في ثورة الإمام الحسين عليه السلام كان بالاستشهاد في سبيل المبادئ.
٨. المصادر:-
٩. القرآن الكريم.
١٠. أبحاث في فكر أهل البيت عليه السلام: د. صادق فوزي ود. عدنان كاظم دار الأمير النجف الأشرف ط ٢٠١٥م.
١١. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد: حسن الصفار دار المحجة البيضاء بيروت لبنان ط ٢٠٠٣م.

١٢. الإدارة والقيادة في الإسلام: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ترجمة السيد عباس نور الدين مؤسسة الهدف ايران ط ١٩٩٣: ١ م.
١٣. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار): المجلسي دار إحياء التراث العربي: مؤسسة التاريخ بيروت لبنان ط ١٩٨٣: ٢ م.
١٤. تنزيه الأنبياء: الشريف المرتضى: فارس حسون كريم مطبعة الإعلام الإسلامي ايران ط ١٩٧٨: ١ م.
١٥. ثورة الإمام الحسين ثورة قرآنية: د. صالح العلوي مجلة سبيل العدد ٩ السنة الثانية ٢٠٠٨ م.
١٦. الذكاء الأخلاقي وكيفية تنميته: أيوب خالد مجلة ولدي العدد ٩٢ ٢٠١٢ م.
١٧. ذكاء الإقناع: دبلو كيرت مكتبة جرير دمشق ط ٢٠١١: ١ م.
١٨. الذكاء الثقافي وعلاقته بالتسامح الاجتماعي مجلة الإشراف التربوي العدد ٢ ٢٠١٠ م.
١٩. سيكولوجية التفكير والوعي بالذات: سعاد جبر عالم الكتب الحديث لبنان ط ٢٠٠٨: ١ م.
٢٠. سنن الترمذي: الترمذي محمد بن عيسى تح: أحمد محمد شاكر وآخرون مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت).
٢١. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل تح: مصطفى ديب البضا دار ابن كثير بيروت ط ١٩٨٧: ٣ م.
٢٢. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٧٥: ١ م.
٢٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: مؤيد بن يحيى العلوي دار المعرفة مصر ط ١٩٦٥: ٣ م.
٢٤. طريقة لتوليد الأفكار الإبداعية: علي الحمادي دار ابن حزم بيروت ط ١٩٩٩: ١ م.

٢٥. القيادة الموعودة في عصر ظهور الإمام المهدي: د. يوسف الطائي دار المرتضى ط ٢٠١٥: ١م.
٢٦. القيادة في نهج الأنبياء: الشيخ محمد الكعبي النجف إلا شرف: ط ١٤٣٢: ١هـ.
٢٧. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الأمين عبد الحسين مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت: لبنان: ط ١٩٧٥: ١م.
٢٨. عصمة الأنبياء في القرآن: الشيخ جعفر السبحاني مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان ط ١٩٨٨: ١م.
٢٩. مقتل الإمام الحسين عليه السلام: السيد عبد الرزاق المكرم دار الكتب الإسلامية النجف الأشرف ط ١٩٥٦: ١م.
٣٠. مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة القاهرة (د.ت).
٣١. المستدرك الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النسابوري تح: مصطفى عبد القادر محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٩٩٠: ١م.

منطلقات القيادة الإلهية من المنظور القرآني والروائي القيادة الحسينية نموذجاً

الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصفار

ahalsaffar@hotmail.com

ملخص البحث

هناك منطلقات عديدة للقيادة الإلهية -الحسين والأنبياء ﷺ- نستقيها من صور عديدة في القرآن الكريم مثلت جميعها منهج الأنبياء ﷺ مع أقوامهم. ومن هذه المنطلقات اتباع السنن الإلهية جميعها ومنها الاستخلاف والاستبدال والابتلاء ومن المنطلقات التي تناولنا بالبحث التفاعل الميداني للقائد الإلهي مع مجتمعه في حركة، وتطور النظام الاجتماعي. والمنطلق الآخر هو ما تمتاز بها القيادة الإلهية من أخلاق تجعلها قطب الرحي في حركة الإصلاح الاجتماعي

الكلمات المفتاحية: القيادة الحسينية، المنظور القرآني والروائي، الحسين ﷺ.

Principles of Hussaini Leadership in the Holy Quran: Divine Leadership

Prof. Dr. Ahmed Hussein Al-Saffar

Abstract

There are many points to divine leadership — Hussain and the prophets' peace be upon them— that we draw from morals in the Holy Quran, all of which represent the approach of the prophets with their people.

Following all the divine principles, of which: caliphate successorship, replacement of generations and trials. As well as the points we discussed in the paper, the interaction of the divine leader with his community and the development of the social system; on the other hand, the moral conduct of the divine leadership makes the leader a role model in the social reform movement.

Keywords: Hussein leadership, Quranic and narrative perspective, Hussein, peace be upon him.

مقدمة

إن كل تجارب الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام، وآخرهم علي بن أبي طالب عليه السلام قد ورثها الحسين عليه السلام الشاهد على أمته. لقد ورث الأنبياء علما، وعملا، وأسلوبا، ومنهجاً. فهو القائد، والمصلح الرباني. إن الإصلاح يحتاج إلى قيادة صالحة حقاً في نفسها، وتفقه معني الإصلاح، وتؤمن به، وتحمل رسالته، وترى فيه واجباً إلهياً لا بد منه، وتعرف طريقه ومنهجه، وتحمل ثقل أعبائه، وتخلص له، ولا تخرج في أسلوبها عن خطه، ولا تختفي

عن رؤيتها وسائله ومعالمه. ومن أقدر من الحسين عليه السلام على ذلك؟! وكيف يكون إصلاحاً للأمة، والقيادة غير صالحة؟! وحتماً فإن حجم الإصلاح يتبع حجم صلاح القيادة، وإن رسالية الإصلاح تتبع رسالية القيادة. فلا بد من الرجوع إلى القرآن في ذلك، وندرس ذلك المنهج الرباني.

تعرض البحث إلى مراجعة: السنن القرآنية في ضبط النظام الاجتماعي من خلال دراسة سنتي الاستخلاف، والاستبدال، ودورهما في بناء الفرد، والمجتمع. ثم تعرض البحث إلى دراسة: الإمامة الإلهية. فنشأتها كانت منذ خلق آدم، وإنها قائمة ما قام الزمن إلى يوم القيامة. وهي كذلك في نفوس الصالحين الدعاة إلى الله تعالى. وإن من يعمل ضمن السنن الإلهية من الاستخلاف، والاستبدال فإنه ينشط في التحرك الاجتماعي، وهذا ما استدعى إلى دراسة: القيادة الإلهية وسنة الابتلاء. كان الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً للقيادة الإلهية. كان على الحسين عليه السلام أن يختبر الأمة بسنة الابتلاء ليميز الخبيث من الطيب كما فعل القائد الإلهي طالوت في اختبار أصحابه الذين خرجوا معه لمحاربة جالوت، وأجريت دراسة مقارنة بينهما عليهما السلام في مسألة اختبار الأصحاب والأنصار. ثم تطرق البحث إلى دراسة امتياز دور الحسين عليه السلام من أدوار الأنبياء عليهم السلام. ولا بد من دراسة: أخلاق القيادة الإلهية. لقد تمثلت هذه الأخلاق في: الأبوة، والحكمة، والحلم، والحزم، وعدم التردد، والبصيرة، وعدم استسلام القائد الإلهي لرغبات الناس وأهوائهم، ودوام تمسكه بالحق. ثم الخاتمة، والمصادر.

سنن القرآن الكريم في ضبط النظام الاجتماعي

يعالج القرآن الكريم حركة، وتطور النظام الاجتماعي في ضوء موازين، ومعايير قدّمها القرآن الكريم بمفهومين على أقل تقدير، وهما: مفهوم الاستخلاف، والاستبدال. أما سنة الاستخلاف التي رسمها القرآن الكريم، فلا تكون لأي إنسان؛ بل تكون

للرجال الصالحين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، فيكون مؤدى الآية أن الأرض سيسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ويطيعونه، ولا يشركون به شيئاً كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥).

وتمثلت الخلافة القرآنية بنوعين: فردية كما في حال الأنبياء ﷺ والمصلحين لقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٦)، وخلافة جماعية، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٥٦)، وقوله تعالى بعد غرق قوم نوح ونجاة الصالحين، فجعلهم مع نوح خلائف في الأرض: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (يونس: ٧٣). ويجعل الله تعالى هؤلاء الخلائف - وهم الجماعة المؤمنة - قادة، وملوكاً، وأعزّة بعز الله سبحانه وتعالى، وقد جاء في دعاء الافتتاح ﷺ ما يؤكد ذلك: ﴿وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. (ابن طاووس، ١٤٠٩، ج ١، ص ٥١)

يلتزم القرآن الكريم سنه إلهية بمتلازمة الاستخلاف، والاستبدال، وكأن الاستبدال هو جهاز مناعي للاستخلاف، فأى خلل في الخليفة، أو الخلائف، يتحكم هذا الجهاز مباشرة بأداء دوره بالاستبدال. فعدم أداء دور الخليفة بالنصرة، خلل، يعالجه النظام الآخر وهو الاستبدال: ﴿إِلَّا تَتَفَرُّوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (التوبة: ٣٩) وكذلك في تعطيل المستخلف في الولاء لله وطاعته، فيتفعل نظام الاستبدال: ﴿وَأَن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٢)

وأما سنة الاستبدال؛ وهي تعمل جنباً إلى جنب مع الاستخلاف، لضبط حركة

النظام الاجتماعي. فإذا ما انحرف المجتمع عن الصلاح، والسنن الإلهية، وزاغ عن المشروع الذي أراده الله سبحانه وتعالى بنقض المواثيق الإلهية، وهي كثيرة؛ تلك المواثيق منها النصرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، والولاية لله: لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ (المتحنة: ١٣)، وتخليهم عن هذا الميثاق: ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩) وميثاق التولي مرهون بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر في ميثاق الطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠)، وغيرها كثير من المواثيق التي حددها القرآن الكريم في خلق نظام اجتماعي يسوده التكافل، على نسق النظام القرآني.

والاستبدال نوعان: مادي ومعنوي، فما جرى لأقوام عاد وثمود ونوح ولوط وشعيب وفرعون وهامان وأمثالهم، الذين سلط عليهم أنواع العذاب، واستأصل شأفتهم، كان استبدالاً مادياً، بمعنى استبدال الناس بغيرهم، فهو استبدال وجودي: ﴿فَكَأَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠)، فجازاهم الله سبحانه وتعالى بما يستحقون على ظلمهم، وهي السنة الإلهية التي لا معدل عنها، فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه، ومن ضلّ فعليها.

واستبدال معنوي بأن يكون الاستبدال بآخرين، لكنهم يستنون بسنة الاستخلاف، وبجميع المواثيق الإلهية، وعلى رأسها الصلاح، والتقوى، مع الإبقاء على المنحرفين دون إبادتهم: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)

بمعنى «يستبدل قومًا غيركم بأن يوفقهم للإيمان دونكم، ثم لا يكونوا أمثالكم، بل يؤمنون ويتقون وينفقون في سبيل الله». (الطباطبائي، ج ١٨، ص ٢٤٩) ولما تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إن تولَّينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرَبَ على فخذِ سلمانَ الفارسيِّ، ثم قال: «هذا وقومُه؛ لو كان الدينُ عندَ الثريا، لتناولَه رجالٌ من فارس». (البُستي ١٩٩٣، ح ٧١٢٣)

الإمامة الإلهية

إن الإمامة أو القيادة الإلهية، قائمة منذ خلق الله آدم ﷺ حتى قيام الساعة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، إذ لا تخلو الأرض من خليفة رباني في أي وقت كان، وقد جاء عن الرضا ﷺ في حديث قال: «إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل ﷺ فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، ثم أكرمه الله بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، حتى ورثها الله النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)، فكانت له خاصة، فقلدها ﷺ علياً ﷺ بأمر الله عز وجل، على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء، الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله جل، وعلا: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ (الروم: ٥٦) فهي في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ». (العاملي، ١٤٢٥، ج ٢، ص ٦) وحتما لا يتنافى من حيث المبدأ، أن تكون الإمامة قائمة في نفوس الصالحين الدعاة إلى الله تعالى هادية لهم إلى الصراط المستقيم، «فالإمامة هي الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال، ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر، وإذ كانت تصرفاً تكوينياً، وعملاً باطنياً، فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري، فهو الفيوضات المعنوية، والمقامات الباطنية

التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة، ويتلبسون بها رحمة من ربهم. وإذا كان الإمام يهدي بالأمر، فهو متلبس به أولاً، ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم؛ فالإمام هو الرابط بين الناس، وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها، كما أن النبي رابط بين الناس وبين ربهم في أخذ الفيوضات الظاهرية، وهي الشرائع الإلهية، تنزل بالوحي على النبي، وتنتشر منه، وتوسطه إلى الناس وفيهم، والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها، كما أن النبي دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقة، والأعمال الصالحة» (الطباطبائي، ج ١٤، ص ٣٠٤) فالإمام هو الرابط بين الناس، وبين ربهم، بأن يجسد أحكام الله على الأرض منهاجاً وسلوكاً، ويواجه كل من يحاول الإخلال بها أو تحريفها أو تشويهها، فله السلطة المعنوية والمرجعية، وعليه فإن «ال خليفة الإلهي هو ذلك الإنسان الصالح، الذي يُؤْتَى المُلْك من قبل الله سبحانه وتعالى، ولذا فآدم عليه السلام هو أول من خُلق على وجه هذه الأرض، استخلفه الله ليكون حاكماً على خلقه، وهو قائد سياسي خلقه الله، ومنحه حق التصرف في هذا الكون، تصرف الحاكم والمَلِك، ليكون صاحب سلطة سياسية على هذه الأرض. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)». (الآراكي ١٤٣٢، ج ١، ص ٨٥) ويتابع العلامة الطباطبائي: «إن المراد من الملك، هو السلطنة على الأمور المادية والمعنوية، فيشمل ملك النبوة والولاية والهداية وملك الرقاب والثروة»، (الطباطبائي، ج ٤، ص ٣٧٥) وتؤتي هذه السلطنة من الله سبحانه وتعالى مباشرة من يشاء، حيث يتوافر فيه الصلاح، والتقوى، وإقامة حدود الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦) ومن يستخلف بهذه المضامين، يعمل ضمن ضوابط السنن الإلهية من الاستخلاف والاستبدال فينشط في التحرك الاجتماعي على الجانب الثاني في استبدال

خطوط الانحراف، والزيفان عن طريق الهداية، واتباع السنن الإلهية، متمثلاً ضوابط الاستبدال التي حددتها الآية الشريفة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ١١٤)، ولنا في النبي شعيب عليه السلام مثلاً، فهو يخاطب قومه في دعوته إليهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: ٨٨) فيقول شعيب عليه السلام: «لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد، والخصومة، فلما أمرتكم بالتوحيد، وترك إيذاء الناس، فاعلموا أنه دين حق، وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة، وإثارة الفتنة، فإنكم تعرفون أنني أبغض ذلك الطريق، ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح، والصلاح بقدر طاقتي، وذلك هو الإبلاغ والإنذار، وأما الإجبار على الطاعة، فلا أقدر عليه» (الرازي، ج ١٨، ص ٤٦) فأراد شعيب عليه السلام بذلك أن يرفعهم إلى دائرة العز، والكرامة، والخروج من الوضاعة، وحياة الاحتيال والغش. وهذا الأسلوب يتماهى تماماً مع دعوة الله عز وجل إلى دفع الناس ليعيشوا حياة الاستقامة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧). وكذلك ترتبط الإمامة بالعز إذ لا يصح أن يكون المصلح ذليلاً مهاناً، فذلك لا ينسجم مع المنهج الإلهي: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦) والملك في نفسه، موهبة من مواهب الله، ونعمة يصلح لأن يترتب عليه آثار حسنة في المجتمع الإنساني، وقد جبل الله النفوس على حبه، والرغبة فيه، والملك الذي تقلده غير أهله، ليس بمذموم من حيث إنه ملك، وإنما المذموم إما تقلد من لا يليق بتقلده، كمن تقلده جوراً وغصباً، والعزة من لوازم الملك على الإطلاق، (الطباطبائي، ج ٣، ص ١٣٢) ومن هنا نقول: إن المجتمع الصالح المستخلف من الله تعالى على الأرض، هو ذلك المجتمع الذي امثل أوامر الله سبحانه ونبيه، فيكون بالتأكيد موعوداً بالملك الإلهي المقرون بالعز. وبالخلاف من ذلك، فإن الذل، والهوان، ملازمان لمجتمع يستوجب

الاستبدال لنكتهم العهود، ونقضهم المواثيق الإلهية، وهذا ما جرى لبني إسرائيل: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥)

إن سنة الاستبدال قائمة لإقامة مجتمع متوازن؛ وما قرع الله سبحانه وتعالى المؤمنين، الذين كانوا ملازمين للرسول ﷺ إلا لأنهم كفروا ببعض ما أنزل إليه، فقال الله فيهم مذكراً إياهم بأنه قادر على استبدالهم بقوم خيراً منهم: ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (المعارج: ٤١) وإن خيرية الأمة المستبدلة، تكون باستنائها بأوامر الله ونواهيها، ولذلك استبدل سبحانه وتعالى بني إسرائيل بالأمة الإسلامية، التي وصفها بالخيرية، لالتزامها بشروط سنة الاستخلاف من الإيمان بالله وطاعته له، وما يترتب عليهما من أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وباقي المواثيق الإلهية؛ فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠)

غير أن هذه الأمة بدأت شيئاً فشيئاً تتبعد عن تلك المواثيق الإلهية رغم إيمانها، وهنا لابد أن يغربل المؤمنون بحسب سنة الابتلاء الإلهي الجارية فيهم ليميز الحبيث من الطيب: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩) وقيل: في هذه الآية «خطاب للمؤمنين، وتقديره: ما كان الله ليذكركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق». (الطبراني ٢٠٠٨، ج ٢، ص ١٦٦)

القيادة الإلهية وسنة الابتلاء

باستقراء حركة التاريخ، نجد دائماً بقاء قلة قليلة ممن ينجحون في الابتلاء والاختبار، إذ لا تصمد الكتلة المجتمعية الكبيرة أمام تلك المحن التي عصفت بهم، والفرقة الناجية صمدت بسبب إيمانها، وثبوتها على الحق، والتزامها المواثيق الإلهية، وأحد تلك المواثيق، طاعة الله والرسول، وأولي الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، وقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، حيث جمع فيها بين الرسول وأولي الأمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة، (الطباطبائي، ج ٤، ص ٣٩١) وذكر الإمام الباقر (عليه السلام) سبب نزولها، فقال: «نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ (عليهم السلام)». (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٣، ص ٢١٣)

إن الإمام الحسين (عليه السلام)، قائد إلهي واجب الطاعة. وكان عليه أن يختبر الأمة بسنة الابتلاء، ليميز الخبيث من الطيب، كما فعل القائد الإلهي طالوت في اختبار أصحابه الذين خرجوا معه لمحاربة جالوت في اختبارين رئيسيين، أسفر عنهما انقسام المدّعين للخروج معه في سبيل الله على أربعة أصناف: الأول: من انسلخ عنه في بداية تجمعهم حينما رأوا أن في خروجهم خسران مصالحهم الدنيوية، أما الذين بقوا معه، وساروا قاطعين الصحراء، وقد أصابهم العطش، فاختبرهم بالاختبار الثاني، وهو في امتناعهم من شرب ماء النهر، فلم يمثل لنهي شريحة منهم، مما دفع طالوت لإرجاعهم، والاستغناء عنهم، وبقيت معه الشريحة المؤمنة بقيادته، وضرورة الجهاد في سبيل الله إلا إن هؤلاء متفاوتون بالبصيرة، والإدراك، ويقينية ارتباطهم بالله تعالى، فمنهم من اغترف غرفة من الماء، وهؤلاء هم الذين ارتابوا حينما رأوا طالوت وجنوده، فارتعبوا وظنوا بالله ظن السوء بعدم نصرته لهم، أما البقية الباقية الذين التزموا الطاعة الكاملة، ولم يتذوقوا الماء، فهم الثلة المؤمنة القيادية، والمعول عليها بالإصلاح قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ

مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٤٩-٢٥٠﴾

ولأن الإمام الحسين عليه السلام يمتلك الوراثة التراكمية للعلم والانتفاع به، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢). والحسين عليه السلام من ورث هذا التراث العظيم وهو من الصفوة الذين يتناولونه ويتفنون منه بتطبيقه والعمل به، وهو أحد الورثة الحقيقيين للأنبياء، وهم المؤمنون المخلصون، الذين يتلون الكتاب الإلهي، ويطبقون وصاياه. وكما أن القرآن الكريم قد عدّ التمسك بالكتاب إصلاحاً، وهو من تربي في بيت عدّه الله تعالى بالآية الشريفة: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦)، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها بيوت الأنبياء، وبيت علي عليه السلام منها (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٦٦، ص ٢٥٩) بل أفضلها. (الدمشقي، ١٩٨٦، ج ٧، ص ٨٩) فالحسين عليه السلام إذن هو وارث الأنبياء، والأولياء جميعاً، في الإصلاح والتغيير، وهذا ما نصت عليه زيارة وارث: (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ) (القمي، ص ٥٤٠) وكانت واقعة كربلاء تأكيداً لدعوة الأنبياء الذين صاروا الباطل لإصلاح الأرض بعد إفسادها بالظلم والجور.

وكما فعل طالوت، القائد الإلهي الذي استجاب للأمر الإلهي في تطبيق سنة الابتلاء على أصحابه، فعل الحسين عليه السلام في اختبار الرجال، الذين خرجوا معه من مكة متوجهين إلى العراق. وهناك اختباران على أقل تقدير ليفصل الرساليين عن غيرهم، كما كان مع طالوت.

لقد تميز أنصار الحسين عليه السلام عن أصحابه بالولاء والتفاني، وفهم القضية، وحمل مسؤوليتها تماماً كما تميز أنصار طالوت عن أصحابه.

إن الذين صحبوا القائدين الإلهيين طالوت، والحسين عليه السلام، انقسموا على أربع مجموعات بعد إخضاعهم للسنة الإلهية في الابتلاء؛ إذ يمكننا تحديد توجهاتهم استنتاجاً للروايات، ودراسة للنص القرآني.

أما المجموعة الأولى فلم يكن لهم في الدين مصلحة غير مصالحهم الشخصية، وقد تخلوا عن الركب منذ خطواته الأولى. ولنا مثال في ذلك ما دار من حديث بين عبد الله بن عمرو بن العاص وبطة بن الفرزدق الشاعر، الذي قال له حين أخبره بلقائه للحسين عليه السلام حين خروجه من مكة: «ويلك، فهلا اتبعته، فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا ف ي أصحابه. قال (لبطة). فهمت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدني ذلك عن اللحاق بهم. قال: وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر وينتظرونه في كل يوم وليلة. قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر». (الطبري، ج ٥، ص ٣٨٧) وتساقط مثله الكثير، ممن كانوا يحيطون بالحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة إلى مكة، وكذلك تخلى عنه آخرون قد لحقوا به عليه السلام من مكة إلى بعض المنازل في الطريق إلى العراق، بعدما فهموا أن سير الحسين عليه السلام ليس فيه مغنم دنيوي فترقبوا، ولم يواصلوا معه المسير، ومثال على ذلك ما قاله أبو مخنف في هذا المجال: أخرج الحسين للناس كتاباً في رُبالة (البغدادى، ج ٣، ص ١٢٩) فقرأ عليهم. «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإنه قد أتانا خبر فطيع، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منا ذمام. قال: فترقب الناس عنه تفرقاً، فاخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة، وإنما

فعل ذلك، لأنه ظن أنها اتبعه الأعراب، لأنهم ظنوا أنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته، والموت معه، (أبي مخنف، ١٣٩٨ هـ، ص ٧٩) وهؤلاء الرجال كأصحاب طالوت، الذين طالبوا نبيهم من قبل بالقتال في سبيل الله، ولما جمعهم طالوت للقتال، اثاقل إلى الأرض منهم جمع غفير، ففترقوا عنه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٦) عندما عرف هؤلاء الرجال أن تحركه فيه عناء، وجهد، واستشهاد تراجعوا، وعادوا إلى مصالحهم الدنيوية.

وأما المجموعة الثانية الذين انحازوا عاطفيا إلى معسكر الحسين (عليه السلام) لكنهم لا يميلون للذهاب معه للمعركة، وذلك «نتيجة لصراع داخلي عنيف بين نداء الضمير الذي يدعوهم إلى الانحياز نحو الحسين (عليه السلام) والقتال معه، وبين واقعهم النفسي المتخاذل الذي يدفع بهم إلى التمسك بالحياة الآمنة في ظل السلطة القائمة قد حَيّدوا أنفسهم بالنسبة إلى المعركة، فاعتزلوا معسكر السلطة، ولم ينضوا إلى الثوار»، (شمس الدين، ص ٥٦) وهو ذات الموقف الذي اتخذته من رافق طالوت بعد أن قطعوا الصحراء فأصابهم العطش، وحينما رأوا النهر لم يمتثلوا لأوامر القائد الإلهي طالوت بألا يشربوا منه إلا أنهم تخلّوا عن طاعته وشربوا منه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ (البقرة: ٢٤٩). لقد أدرك طالوت أن أكثرية جيشه من أفراد ضعفاء الإرادة وعديمي العهد، ما عدا بعض الأفراد المؤمنين، وهنا تخلّى طالوت عن الجزء الثاني من جنده الذين لم يمتثلوا لأمره بسبب عدم تجسّد المنهج الرباني لديهم فأرجعهم إلى ديارهم بعدما شربوا من النهر.

فالمجموعتان الثالثة والرابعة كلاهما تمتثلان للواجب الشرعي ويؤمنان بالقائد الإلهي، ولكنهما تتمايزان بالوعي، والبصيرة، ووفقا لذلك؛ الشجاعة في اتخاذ القرار. قال تعالى

على لسان طالوت: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وهم من اغترف بيده، وهؤلاء أثبتوا بعبورهم النهر أنهم يشكّون في النصر الإلهي، وأنهم ليسوا دعاة ربانيين، والجزء النادر وهم الرساليون الذين يحملون همّ المسؤولية، ومشروعهم هو ذاته مشروع طالوت، وهم الذين لم يطعموا الماء، وعدّهم طالوت منه، ومن أهل ولايته، ومن خلصائه الذين عبروا النهر فكانوا الرجال الأشداء، وذووا ثقة عالية بنصر الله لتحقيق المشروع الإلهي. و(المنية) في قول طالوت (منّي) في المخلصين معه كتلك التي قالها الرسول صلى الله عليه وآله بحق سلمان المحمدي فقال: (سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ) (السيوطي، ح ٤٦٨٠)

فالمجموعة الثالثة من الذين رافقوا الحسين (عليه السلام)، وصبروا على متاعب السير، وجعجة جيش بن زياد لهم، وشدة العطش، والخوف الذي كان يرافقهم إلا أنهم حينما رأوا حشود جيش عبيد الله بن زياد لم يصبروا، بل ضعفت همّتهم وخافوا البراز للحرب، قد برروا للحسين (عليه السلام) تراجعهم عن نصرته، ومن هؤلاء الضحّاك بن عبد الله المشرقي، ومالك بن النضر الأرحبي اللذين تخاذلا، وعادا أدراجهما إلى الدعة والراحة. مع أنهما يؤمنان بأحقية الحسين (عليه السلام)، ومشروعية نهضته، لكنهما ليسا على بصيرة من أمرهم. يحكي الضحّاك قائلا: «قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه، فرد علينا ورّحّب بنا وسألنا عما جئنا له؟ فقلنا: جئنا لنسلم عليك، وندعو الله لك بالعافية، ونحدّث بك عهدا ونخبرك خبر الناس، وأنا نحدّثك انهم قد جمعوا على حربك فرأيك. فقال الحسين (عليه السلام): حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فتذمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال، فقلت له: ان عليّ ديننا، وان لي لعیالا، ولكنك ان جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلا قاتلت عنك ما كان لك نافعا قال: قال فأنت في حل، فاقمت معه. (الطبري، ج ٥،

ص ١٠٨) وهؤلاء وإن كانوا يعرفوا الحسين عليه السلام، وقضيته، ويؤمنوا به إلا أنهم لم يحملوا هم القضية، ولم يفهموا النهضة المباركة وأهدافها، تماماً كأصحاب طالوت الذين خبروا قيادته وآمنوا بها إلا أنهم لم يندكوا تماماً في مشروعه الإلهي. هؤلاء هم الذين عدوا مشاركتهم مع طالوت في معركته ضد عدوه هي مجرد إسقاط واجب التكليف الشرعي لا أكثر، ولم يكثرثوا كثيراً للتفاصيل الدقيقة، وكمؤثر على ذلك ما ذكره القرآن الكريم في أنهم علموا برغبة طالوت أن لا يشربوا من ماء النهر البتة، إلا أنهم عملوا بالإجازة منه بعد إلحاحهم عليه، فهؤلاء لم يندكوا إلى تنفيذ رغبته كاملة فكانوا الاستثناء الذين لم يشربوا المشروع الإلهي: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

هؤلاء الرجال فشلوا حينما جاوزوا النهر، وتفاجأوا بضخامة جيش جالوت أمامهم، وهنا أفصح موقفهم عن ضعف إيمانهم بالله ونصره، فظهرت حقيقة سريرتهم، وهوانهم في نصره طالوت، وليس مستغرباً أن ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وليس بعيداً أيضاً أن نرى ذات التصرف من أهل الكوفة، الذين كانوا يرفعون أيديهم بالدعاء لنصر الحسين عليه السلام، وهم جلوس يتفرجون، وكيف يكون النصر إن لم يؤازروه؟، هؤلاء الذين قال الحصين بن عبد الرحمن عنهم «إن أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه! (الطبري، ج ٥، ص ٣٩٢) هؤلاء يؤمنون بالعمل، ولا يريدون تحمل المسؤولية، وينظرون للعمل دون المباشرة فيه، وهذا عبد الله بن مطيع العدوي ينصح الحسين عليه السلام بألا يعرض لبني أمية، فيقول بعد كلمات: «أذكرك الله يا ابن رسول الله، وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية، ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحد أبداً. والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل،

ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية والله لئن هلكت لنسترقن بعدك (الطبريج ٤، ص ٢٩٨) وهذه الكلمات تكشف عن إيمانه بضرورة التغيير من غير أداء لمسؤولياته، وإلا فلماذا الخوف من أن يُسترقوا بعده؟

والمجموعة الرابعة وهم الواعون، الذين يتمثلون قائدهم في مشروعه، وأهدافه، فهم (الدعاة إلى طاعة الله، والقادة في سبيله) (ابن طاووس، ج ١، ص ١٩١) ويعملون بإخلاص لإنجاز المشروع الإلهي وإتمامه سواء تحقق ذلك في حياتهم أم من دونها، وهؤلاء على بصيرة، ووعي تامين. هذا الصنف من الناس، قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). إن وضوح الهدف الذي امتاز بها أصحاب الحسين (عليه السلام) الخُلص، الذين ثبتوا معه، وكانوا على بصيرة من أمرهم، لم تهلهم كثرة من قابلهم من العسكر، فناصروه وآزره، واستحقوا فعلا أن يكونوا من أنصاره، وهم الذين كان الحسين (عليه السلام) يعينهم، هاتفاً بصوته المدوي لسمع الغافلين من أهل الكوفة آنذاك، ومن بعدهم إلى قيام الحجة (عليه السلام) ولسان حاله يقول متمثلاً قول عيسى بن مريم (عليه السلام): ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾ (آل عمران: ٥٢). قال (عليه السلام) حينما بقي وحيداً بعد مقتل أصحابه وأهل بيته: «هل من ناصر ينصرنا؟ وهل من ذاب عن حرم رسول الله؟» (الحلي، ج ١، ص ٤٩) إننا قالها الحسين (عليه السلام) لأجل إقامة الحجة على الآخرين، ولم يك محتاجاً إلى أصحابه في الدفاع عنه، بل كان لاختبار همهم في نصره، وفي السير في سبيل الشهادة، وتحصيل طاعة الله، ورضاه سبحانه من هذه الناحية، إلا أنهم مع ذلك، لم يفكروا طرفة عين في الذهاب، بل أدركوا بكل وضوح ضرورة البقاء مع الحسين، ونيل الشهادة بين يديه». (السيد محمد الصدر، ج ١، ص ٧١) هؤلاء لهم إرادة إيمانية عالية، أنظر ما قاله سعيد بن

عبد الله الحنفي للحسين عليه السلام: «لا والله، يابن رسول الله، لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أننا قد حفظنا فيك وصية رسول محمد صلى الله عليه وسلم، والله، لو علمت أنني أقتل فيك ثم أحيأ، ثم أأحرق، ثم أذري، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟ وقام زهير بن القين، وقال: والله، يابن رسول الله، لوددت أنني قُتلت ثم نُشرت ألف مرة، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن نفس هؤلاء الفتيان من إخوانك، وولدك، وأهل بيتك». (أعلام الهداية للإمام الحسين سيد الشهداء، ١٤٢٢، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠)

وهم ذات الرجال الذين أذعنوا لأمر طالوت، ولم يشربوا من ماء النهر طاعة وولاء له ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

وهكذا فعل الحسين عليه السلام مع أصحابه، الذين بقوا معه بعد الاختبار الأول، الذي أدى إلى تفرق الكثيرين من الذين رافقوه رغبة وطمع، وبقي معه هؤلاء القلة الذين عرفهم التاريخ فيما بعد باسم (أنصار الحسين أو أصحاب الحسين)، وهم الذين استشهدوا بين يديه عليه السلام. لقد اجتازوا اختباراً ثانياً حينما أباح لهم الحسين عليه السلام النجاة بأنفسهم ليلة العاشر من المحرم الحرام، وجعلهم في حل من بيعته، قائلاً لهم: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم، ومدائنكم، حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني هوا عن طلب غيري. فقال له أخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه... وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن

أنفسنا لك الفداء، نفيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا». (أبي مخنف، ص ١٠٩-١١٠)

فالحسين (عليه السلام)، كما الأنبياء (عليهم السلام) تصدوا للفساد، وأصلحوا ما تعاقبته الأجيال من سلوكيات، وممارسات خاطئة بعيدة من القيم الربانية، التي شرعها سبحانه وتعالى، والحسين (عليه السلام) -محور حديثنا- عمل بتأكيد ضرورة إصلاح ما أفسده الأمويون من أمور المسلمين. ولذلك نرى الحسين (عليه السلام) قد تحرك وعظا، وتحذيرا، وإرشادا في كل منطقة نزل فيها، وقد أوضح نقاط الفساد، والعمل على محاربتها ليلا ونهارا. عملا بالمنهج الإلهي، والتزاما لسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي حديث عنه (عليه السلام) أنه قال: «والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على أيدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم»، (الهندي، ١٩٨٩، ح ٥٥٢٧، ج ٣، ص ٦٧) ونلاحظ في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) عندما شاهد صفوف الأعداء بكرلاء، قد اجتمعوا أمامه كالليل المظلم والسيل العارم، قال: «فَنِعَمَ الرَّبُّ رَبَّنَا وَبَسَّ الْعِبَادُ أَنْتُمْ؛ أَقَرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمْتَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ثُمَّ أَنْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ! لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ؛ فَتَبَّ لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». (ابن شهر آشوب ج ٤، ص ١٠٠).

بدأ الحسين (عليه السلام) فردا، وخلق وعيا جماهيريا يتصدى للظلم والفساد، فانطلقت القيادة لتكون جماعية بالبداية، وإن كانت تحت ظله الشريف، واستمرت بعد استشهاده في الأجيال اللاحقة. فالقيادة الإلهية مستمرة دائمة في نفوس المخلصين، وحاضرة ما دار الزمان. فحضور القيادة الإلهية، وهي المحرك، والمتصدي بوجه الظلم والفساد، وكذلك حضور الأمة الواعية المرشحة لاستخلاف الأرض، تلبى دعوة القائدة الإلهي،

فينزل الله نصره عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، وليس بعيدا، فقد استجابت الأمة الواعية لفتوى القائد الإلهي السيد علي السيستاني (<https://ar.wikipedia.org/wiki/>) في جهاد داعش. لقد لبّت الجماهير المؤمنة الواعية دعوة القائد المرجع إلى الوقوف بحزم ضد الفساد الداعشي، ونصروا الدين الإلهي، فاكتملت بذلك مقومات النصر الإلهي لهذه الأمة، واستحققت وسام الخلافة الإلهية، فنزل عليها الإمداد الإلهي بالنصر، وتبوّأت مكانها اللائق بها، وهو الشهادة على سائر الأمم، امتثالا لقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). وأنتهت هذه الفتوى نشاط داعش الممنهج. فكانت غطاءً شرعياً، ودعمًا معنويا لقوات الحشد، والفصائل المنطوية تحته. كان القائد الإلهي حاضرا، والأمة الواعية مستجيبة، فتحقق النصر الإلهي، فكان لزاما على القائد بالتصدي مباشرة. لقول امير المؤمنين: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها» (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩، ج ١، ص ٢٠٢)

امتياز دور الحسين من أدوار الأنبياء ﷺ

وهنا لابد من تأكيد نقطة في غاية الأهمية، هي امتياز دور الحسين ﷺ من أدوار الأنبياء ﷺ بأنه أكثر تعقيدا عما كان في تحركهم للتصدي للظلم، والضلال، والانحراف المجتمعي. والحسين ﷺ كالأنبياء ﷺ تحركوا في مجتمعاتهم لتثبيت قوة الحق، والقيم السماوية أمام الباطل، والقوى المتجبرة الشيطانية المتمثلة باعتناقهم للعقائد المنحرفة؛ إلا إن الأنبياء ﷺ عملوا في مجتمعات فيها واجهتان ظاهرتان، وقوتان متضادتان، وهما: قوى الحق، وقوى الباطل. والشرعية لأهل الحق، ولا لبس فيها، ولكن قوى الضلال تحاول إجهاضها، وقتل دعائها. وتتمثل الشرعية الإلهية، وهي الشرعية الحقة، في الأنبياء، مما

أهلهم للتصدي للعقائد الضالة، أما ما قام به سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من بعد أبيه وأخيه، فقد واجه ما هو أكثر تعقيداً وإشكالاً؛ فالمجتمع مسلم، يستظل بالشرعية الإسلامية، بمعنى أن هناك عقيدة واحدة، ولا وجود للشرك، والحسين عليه السلام يتمتع بالشرعية الإلهية بنص أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله (المجلسي، ج ٤٣، ص ٢٩١) وهي شرعية خاتم الأديان، ولكن هناك في المجتمع سلوكين يتمايزان في التدين: مجتمع التدين الصحيح، ومجتمع التدين الزائف، الذي عمل عليه النظام الأموي، وكرّس كل قواه لتثيته. وهنا تكمن الخطورة في دوره عليه السلام. فقد سلك عليه السلام منهج جده (صلوات الله عليه وآله)، وأبيه، وأخيه عليه السلام بأن حدد مفهوم الشرعية في المجتمع، ولمن تعود. فقد التفّ النظام الأموي على الإسلام المحمدي بدهاء، ومكر، وخديعة من جهة؛ وغفلة الناس، وبالقوة، والبطش، من جهة أخرى، قد عمدت إلى سلب الشرعية من أصحابها، وتقمصها الحاكم الأموي، ثم أضفى عليها ما يسيء للشرعية السمحاء بأحاديث موضوعة، وبالبطش، والتنكيل بمن يقف بوجه النظام الأموي خدمة لمصالحه، وكذلك بإحكام قبضته الجائرة على زمام الحكم. مما دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يثير الوعي، ويشجع الناس لتلمس الشرعية في من تكون؟ وحثهم على الالتفاف حول أهلها. فشخص أولاً السلوك الزائف الذي ابتدأه معاوية، ومن بعده ابنه يزيد، اللذان سلبا الشرعية الإلهية، وبهذا دفع الطائش يزيد بقوة هذه الشرعية، التي ادّعاها، أن يفسد ويحرف قيم الشرعية السمحاء، مما جعل الإمام الحسين عليه السلام بحزم، وإصرار، يثير غبار الجهل، والغفلة عن عقول الناس، وينبههم إلى خطورة هذا الانحراف. ثم عمل الحسين عليه السلام في منهج إصلاحه، ونهضته على نحو واضح وبيّن، وأكده في كل كلماته الشريفة، على تثبيت الشرعية لنفسه، والدعوة لها، التي وضحها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «ألا وإنّا أهل بيت، من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تتهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم،

وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم»، (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩، ج ١، ص ٢٧٦) فلم يفرط في بند من بنود منهج إصلاحه، وسار على ذلك أنصاره، وحملوا ذات المنهج، وأصبحوا حسينيين المنهج والسلوك؛ فكان برنامج الإصلاحية يأتي بالبدل الإلهي للمنهج، وهو عامل بسنة الاستبدال، ولم يكتف بالدعوة لاستئصال السلطة الفاسدة ليزيد، بل فضلا عن ذلك تأكيد اتباع المنهج الإلهي. انظر لكلام معاوية في محاولة منه لبناء الشرعية لابنه يزيد: «قال معاوية: أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا، فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو، خير مني؟ فقال معاوية: مهلا، عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس، وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله ﷺ قبض، ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله، وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد، لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف.» (ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٣٠٠).

أخلاق القيادة الإلهية

تمتاز الروح القيادية بسعة أفق، وعلو خلق، يجعل منه يتخلق بأخلاق الأبوة، وهذا ما قاله الرسول ﷺ: «أنا وعلي أبو هذه الأمة» (الطبري، ج ٥، ص ١٠٨) وما يتحلى به على نحو عام من مكارم الأخلاق فهناك أخلاق أخرى، يمتاز بها القائد، نأخذ نماذج منها: قبول المعذرة، لم يعقب الحسين عليه السلام على تراجع، وتحاذل، كل من الضحاك بن عبد الله المشرقي، ومالك بن النضر الأرحبي، واكتفى بقوله: «حسبي الله ونعم الوكيل، وأنتم في

حل». (الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٦)

ويتمتع القائد الإلهي بالحكمة، وحسن التصرف، عندما ينحسر عنه الناس في المواقف الحاسمة، كموقف موسى عليه السلام من قومه، إذ قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، والموقف نفسه كان لعلّي عليه السلام مع أهل الكوفة فقال: «قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحتهم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان». (الدينوري، ج ١، ص ٢١٢)

ومن أخلاق القائد الإلهي: الحلم. ونجد ذلك في قول هود عليه السلام حينما اتهمه قومه علانية بالسفاهة، فأجابهم: ﴿قَالَ يُقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٧)، وكذلك جواب الحسين عليه السلام حينما اعترضه معاوية بالقول: «أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً، فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟» (الطبري، ج ٤، ص ٣٠٥).

ومن بين الأخلاق القيادية: الحزم وعدم التردد. وهذا القائد موسى عليه السلام حينما تناقل قومه، وانهزموا نفسياً قال كلمته بكل قوة: كلا، ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * (الشعراء: ٦١-٦٢). ولما رأى الحسين عليه السلام أن وظيفته، وتكليفه يحتمان عليه السير في إصلاح ما فسد في الأمة، ليحق الحق ويبطل الباطل، فأظهر عليه السلام في خطبته موقفاً صارماً، وحازماً، من بيعة يزيد بن معاوية قائلاً: «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ؟! لِيرَغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا». (الإسراء: ٩٠-٩٣) ومن المزايا الأخرى هي عدم استسلام القائد الإلهي لرغبات الناس وأهوائهم، ودوام تمسكه بالحق، وهذا ما تجلّى في موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طلب قريش أن يرضخ لأهوائهم باقتراحهم آيات معجزة، لا تقوى على أكثرها إلا القدرة الغيبية

الإلهية، ومنها ما تستحيل بالذات ، وقد أجابهم ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣)، وكان موقف أبي عبد الله الحسين عليه السلام من الذين اقترحوا عليه عدم التوجه إلى كربلاء، وهم كثيرون، ومنهم عبد الله بن الزبير (القمي، ج ١، ص ٧٢) وأبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ١٤، ص ٢٠٩) وعبد الله بن جعفر (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٩) وعبد الله بن عباس (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) وأبو سعيد الخدري (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) وأبو واقد الليثي (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) وجابر بن عبد الله (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) وأبو سلمة بن عبد الرحمن (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) والمسور بن مخرمة (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٨) وعبد الله بن مطيع (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٧) وعبد الله بن عمر (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٧) وعمرو بن سعيد بن العاص (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٩)، وجابر بن عبد الله (بابن سعد، ١٩٩٣، ج ١، ص ٤٤٥)؛ بل حتى أخيه محمد بن الحنفية (ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢١١) الذي نصحه بعدم الخروج إلى العراق، كل هؤلاء وغيرهم عارضوا خروج الحسين عليه السلام بتعليلات مختلفة، وبعضهم دعاه لبيعة يزيد، أو للانزال، أو الذهاب إلى اليمن (القمي، ج ١، ص ٦٦) بعيدا من سلطة يزيد، لكنه عليه السلام رفضها كلها، لأنه يعلم هدفه، ومشروعه، ببصيرة وإدراك لم يستوعبها غيره. إن موقف الحسين عليه السلام ذي البصيرة الثاقبة، الذي تربى في بيت النبوة، كان مصداقا للآية الشريفة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) لتحقيق الهدف في إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، لكي تعرف الأمة حدود الشريعة الإسلامية الحقّة. وهناك صفات عديدة أخرى، وهي: أن القائد يرضى الله تعالى، ولا يأخذ أجرا من أحد، وإنما أجره على الله، وأن قوله يتطابق مع فعله، ويمتاز بوضوح خطابه وصراحته، وأنه لا يلتفت إلى تحقيق مآربه الشخصية، وقبل كل شيء فإنه يتكلم في عمله على الله تعالى، ويعمل بحدود استطاعته.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن القائد الإلهي، المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام، قد التزم السنن الإلهية، وهي سنن الاستخلاف، فكان الخليفة الرباني الذي تولى الإصلاح منهجاً قرآنياً، والذي عمل به كل الأنبياء عليهم السلام، وكذلك عمل بسنة الاستبدال المعنوي، لخلق مجتمع صالح ينشد من ورائه رضا الله تعالى، ويعمل ضمن الموازين الشرعية، وكما فعل القائد الإلهي طالوت باختبار أصحابه، فعل الإمام الحسين عليه السلام، وبالمنهج نفسه في سنة الابتلاء والاختبار لأصحابه وأنصاره.

وانتهى البحث إلى أن القائد الإلهي، الإمام الحسين عليه السلام، قد امتاز دوره من أدوار الأنبياء عليهم السلام في تحديد الشرعية. فإن الأنبياء عليهم السلام عملوا في مجتمعات فيها واجهتان ظاهرتان، وقوتان متضادتان، وهما: قوى الحق، وقوى الباطل. وإن كامل الشرعية لأهل الحق، ولا لبس فيها، في حين تسعى قوى الضلال لإجهاضها، وقتل دعاة الشرعية هذه، ولكن المجتمع الذي واجهه الحسين عليه السلام ما كان بواجهتين، بل بعقيدة واحدة، ولكن بسلوكين مختلفين في الدين: مجتمع التدين الصحيح، ومجتمع التدين الزائف، وامتاز عليه السلام في تحديد عائدة الشرعية في المجتمع إلى شخصه الكريم، ورفض مدّعيها بالباطل، تثبتاً للمنهج الإلهي القويم لخلق مجتمع سليم.

المصادر

١. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي (ت: ١١٠٤)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٥
٢. الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري (ت: ٢٨٢)، منشورات الشريف الرضي، قم
٣. أضواء على ثورة الحسين (عليه السلام)، محمد الصدر.
٤. أعلام الهداية (الإمام الحسين سيد الشهداء)، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، قم، ١٤٢٢
٥. الإقبال بالأعمال الحسنة، علي بن موسى بن طاووس (ت: ٦٦٤)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٩
٦. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
٧. الإمامة والقيادة، كاظم الحسيني الحائري، مكتب آية الله كاظم الحائري، ١٩٩٥
٨. أنصار الحسين (عليه السلام) دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية
٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣ م
١٠. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت: ٨٠٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
١١. تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت
١٢. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى:

- ١٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥
١٣. ترجمه ریحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينه دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت ٥٧١ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط ١٤١٤، ٢٠٠٨
١٤. التفسير الكبير، تفسير القرآن العظيم، الطبراني (ت: ٣٦٠)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٨
١٥. ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١٤١٧، ٧ هـ
١٦. الجامع الصغير، السيوطي (ت: ٩١١)
١٧. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادى المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣
١٨. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الأنوار، الشيخ عباس القمي، دار الأسوة للطباعة والنشر
١٩. سنن القيادة الإلهية في التاريخ، محسن الآراكي، دانسگاه أديان ومذاهب، قم، ١٤٣٢
٢٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩
٢١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣
٢٢. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت
٢٣. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١

٢٤. الفروع من الكافي، الكليني (ت: ٣٢٩)، دار الكتب الإسلامية، طهران
٢٥. كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق
٢٦. كنز العمال، المتقي الهندي (ت: ٩٧٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩
٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤
٢٨. اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (٦٦٤ هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر
٢٩. المآثم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي
٣٠. المجالس الفاخرة في مآثم العترة الطاهرة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤٢١ هـ
٣١. مرآة العقول، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤
٣٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت ٣٤٦)، منشورات دار الهجرة، قم، ١٩٨٤
٣٣. معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣٤. مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية
٣٥. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت: ٦٠٦)
٣٦. مقتل أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ
٣٧. من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت
٣٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

٣٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تیمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦
٤٠. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥
٤١. موسوعة كربلاء، لييب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت
٤٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي
٤٣. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليهِ نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية
٤٤. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ط ١٤٠٤، ٣هـ.

إستعمال جزاء لاسو لتحديد اهم الخدمات المؤثرة في زيارة الاربعين

شروق عبد الرضا السباح

مهدي وهاب نصر الله

مريم صادق كاظم كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

shorouq.a@uokerbala.edu.iq

maryaim.s@s.uokerbala.edu.iq

mehdi.wahab@uokerbala.edu.iq

ملخص البحث

في هذا البحث تم استعمال طريقة احصائية دقيقة لتحديد مستوى الاهمية للعوامل المؤثرة في زيارة الاربعين وهي عدد من المتغيرات التي يمكن ان تؤثر على مستوى الخدمات المقدمة كمتغير معتمد خلال الزيارة الأربعينية وهي (X1 عدد سيارات الاسعاف و X2 المفارز الطبية و X3 المستشفيات الثابتة والمتنقلة و X4 الآليات و X5 باصات نقل الزائرين و X6 حاويات النفايات و X7 الكادر البشري الضيفي و X8 الوقود المتوفر و X9 محطات الطاقة الكهربائية المتنقلة X10 المواقب الحسينية. وتم التوصل الى تحديد اهمية المتغيرات بموجب طريقة جزاء لاسو البيزية حسب مستوى الاهمية للمتغيرات المؤثرة في الزيارة الاربعينية حيث نال المتغير X10 والذي يمثل اعداد المواقب الحسينية الأهمية القصوى بالمرتبة الاولى فقد سجل اعلى قيمة جزاء بلغت ٩٣٢٢,٣ يليه المتغير x7 الذي يمثل الكادر البشري الضيفي المستوى الثاني في الاهمية بقيمة جزاء بلغت ٣,٣١١١ بالمرتبة الثانية، وجاء المتغير x4 الآليات بالمرتبة الثالثة، ومن ثم المتغير x3 بالمرتبة الرابعة والذي يمثل المستشفيات الثابتة والمتحركة، ومن ثم

المتغير x9 محطات الطاقة الكهربائية المتنقلة بالمرتبة الخامسة، والمتغير x8 توفر الوقود بالمرتبة السادسة، والمتغير x1 عدد سيارات الاسعاف بالمرتبة السابعة، والمتغير x2 المفارز المتنقلة بالمرتبة الثامنة.

الكلمات المفتاحية : جزاء لاسو - نظرية بيز - زيارة الاربعين - خدمات زيارة الاربعين - معلمة الجزاء

Using the lasso penalty to determine the most important services affecting the fourteen visits

Shorouk Abdel Reda Al-Sabbah

Mahdi Wahab Nasrallah

Maryam Sadiq Kazem

Abstract

In this research, the principle of the Pisi Lasso penalty and the usual Lasso penalty were used as methods for organizing and selecting variables to determine the best of them. A number of variables have been taken into account that may affect the level

of services provided as an approved variable during the 40th visit: (X1 number of ambulances, X2 medical detachments, X3 pls hospitals, X4 mechanisms, X5 buses transporting visitors, X6 waste containers, X7 guest human staff, X8 available fuel,

X9 mobile electric power plants X10 Husseini processions) and reached that the way of punishment for the peso is better than the penalty method Lasso is contagious

because it recorded the lowest average error boxes and morale of the two models as shown by the calculated F value and the value of Sig. . . The two methods reduced only two separate variables, the x5 and the x6 variable,

and made these variables highly unconnected as services provided during the 40th visit. We note that the penalty method of Lasso Albizi scored the lowest average foul boxes of the Lasso penalty method and that the Lasso penalty method and the penalty method of Lasso Albizi have reduced the same independent variables (X5, X6). The importance of the

variables was determined by the framework ...

Keywords: Lasso penalty - Bayesian theory - the forty visit - the services of the forty visit - the penalty parameter

مقدمة

تعد زيارة الأربعين من أهم الشعائر الحسينية التي حث عليها الرسول الكريم ﷺ واهل بيته ﷺ فقد جعلها مولانا الحسن بن علي العسكري ﷺ من علامات المؤمن، اما بالنسبة للزيارة مشيا على الاقدام فقد وردت في روايات تدلل على استحباب هذا العمل، فعن الامام الحسن العسكري ﷺ أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتغفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم). إقبال الأعمال: ص ٥٨٩ وعنه المقتل للمقرم: ص ٣٧١.

ويرى الباحثون أن الزيارة الاربعينية رمزاً ثورياً للتحرر من الظلم والطغيان، تجعل من الزائرين يشعرون بالأمان والقوة والاتصال مع الله، وتنمي لديهم القيم الانسانية كالتضحية والكرم والتسامح والمحبة والايتار في ما بينهم، والمحصلة لهذه الزيارة ان عملية المشي تتضمن العناصر والابعاد النفسية التي هي ممارسات تفاعلية وليس عملية جسمية صامتة تعتمد على حركة الرجلين واليدين فقط، وعلى طول طريق مشي الزائرين الى الحسين ﷺ يجدون خيرات أبا عبد الله ﷺ موزعة على مناطق مختلفة فخدمته يعملون على مدار (٢٤ ساعة) لإحياء هذه المناسبة العظيمة وتقديم الخدمات المتنوعة في جميع الجوانب التي تُشعر الزائر بالأمن والراحة والإطمئنان وحتى الخدمات الصحية

والفكرية والدينية وارشاد التائهين وغيرها الكثير.

في بعض الاحيان يكون عدد المتغيرات المستقلة المؤثرة على المتغير المعتمد كبيرة وبعضها غير معروف ومتراطة فيما بينها فتنشأ مشكلة التعدد الخطي بين المتغيرات ويؤدي ذلك الى زيادة في تباين المقدرات وبالتالي دقة التنبؤ تكون غير مرضية، وكذلك من المهم في اي دراسة تطبيقية تحديد المتغيرات الاكثر اهمية والتي يمكن ان سيتم تضمينها في الانموذج، لذلك لابد من البحث عن طرائق مهمتها اختيار عدد المتغيرات التوضيحية الالهة وبالتالي تقليص عدد معاملات الانحدار والخروج بالانموذج الافضل الذي تكون لديه قوة تفسيرية وتنبؤية عالية جداً. فهناك العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع تقديرات معلمات انموذج الانحدار، منها ١٩٩٦ اقترح (Tibshirani) [١٦] طريقة جديدة لتقدير معلمات النماذج الخطية اسمها LASSO وهي مختصرات Least Absolute Shrinkage and Selection Operator والتي تقلل من مجموع مربعات البواقي الخاضعة لمجموع القيمة المطلقة للمعاملات والتي تكون اقل من قيمة ثابتة، وبسبب طبيعة هذا القيد فانه يميل الى انتاج بعض المعاملات التي تساوي بالضبط صفر وبالتالي يعطي نماذج قابلة للتفسير، وباستخدام تجربة محاكاة توصل بان LASSO تتمتع بخصائص افضل من طريقة الخطوات المتسلسلة وطريقة إنحدار الحرف .

هدف البحث

يهدف هذا البحث الى استخدام مبدأ جزاء لاسو لمعرفة وتحديد اهم العوامل المؤثرة على خدمات الزائرين.

زيارة الأربعين

ان للزيارة الاربعينية خصوصية مستمدة من القرءان الكريم، والاحاديث النبوية

الشريفة في حث المولين والمحيين لسيد الشهداء على زيارته في جميع الاوقات بشكل عام وفي زيارة الاربعين بشكل خاص لما لهذه الزيارة من اهمية في تثبيت مشاعر المحبة والولاء للإمام الحسين (عليه السلام) واستذكارا للآلام والمحن والمصائب التي حلت به وبأهل بيته الكرام (عليهم السلام) ابتداءً من رجوع السبايا من الشام الى العراق في العشرين من صفر من أجل دفن الرأس الشريف مع الجسد، ولعل ما اسهم في تميز زيارة الاربعين وخصها بهذه الالهمية ما رواه زرارة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (قال ابو عبد الله (عليه السلام) يا زرارة ان السماء بكت على الحسين اربعين صباحا بالدم، وان الارض بكت اربعين صباحا بالسواد، وان الشمس بكت اربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وان الجبال تقطعت وانتشرت، وان البحار تفجرت، وان الملائكة بكت اربعين صباحا على الحسين) (المجلسي، ١٩٨٣، ص ٢٠٦).

هذا فضلا عن ان ديمومة شعائر زيارة الاربعين ماهي الا صورة متكاملة متجددة لرسالة الإسلام، وهي اصوات المنادين بقيم ومبادئ الامام الحسين (عليه السلام) الممثلة لنواميس السماء وتباين الحق وسبل اتباعه التي عمل وسعى سلاطين الجور والطغيان على مر العصور في طمسها وتحريفها، فحركة العشق والتعطش المتولدة في نفوس زائري الامام الحسين (عليه السلام) هي في حقيقتها حالة من حالات العشق والحب للقيم والمبادئ التي حملها انبياء الله ورسوله وسعى الامام الحسين (عليه السلام) لتشيبتها بتضحيته وثورته التي عبر عنه الامام الصادق (عليه السلام) بقوله: (وهل الدين الا الحب) (الريشهري، ص ٥٠٣)

الموكب الحسيني هو عبارة عن التحرك الجماهيري للأمة بقيادة الإمام المعصوم أو نائبه في عصر الغيبة الكبرى من أجل تحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

الخدمات التي تقدمها المواكب الحسينية خلال الزيارة الاربعينية:

- خدمات الطعام والشراب.

- الخدمات الصحية والدواء والعناية بالزائرين.
 - الخدمات الفكرية والثقافية والتنمية والدينية.
 - الخدمات الإعلامية ونقل اخبار الزائرين.
 - خدمات النظافة ودورات المياه وتنظيف الشوارع.
- وخدمات أخرى كثيرة تصب كلها في خدمة الزائرين للخروج بنتائج تليق بصاحب المكان وزائريه .

جزء لاسو: Lasso penalty

اكتشف طريقة الجزء هذه من قبل الباحث روبرت تيشيراني Ropert Tibshirani عام (١٩٩٦) حيث قام بصياغة هذه الطريقة وقدم الكثير من الافكار حول ادائها] [Pliskin

لاسو اقل تقلص مطلق واختيار العامل، هي مختصرات للكلمات الانكليزية (Least Absolute Shrinkage and Selection Operator)، وهي دالة جزء لإنموذج الانحدار الخطي وهي طريقة لتقدير معلمات إنموذج الانحدار وكذلك لاختيار وتنظيم المتغيرات الداخلة في الإنموذج لزيادة الدقة التفسيرية لنماذج الانحدار المستخدمة في تحليل الظاهرة محل الدراسة من خلال عمليات ملائمة الإنموذج لاختيار مجموعة فرعية من المتغيرات المشتركة في الإنموذج النهائي بدلا من استخدامها كلها، ففي طريقة لاسو يتم تصغير مجموع مربعات الاخطاء العشوائية لاعلى حد من مجموع القيم المطلقة لمعاملات إنموذج الانحدار

صممت LASSO اصلاً لنماذج المربعات الصغرى Least squares models، حيث تكشف LASSO عن كمية كبيرة من سلوك المقدّر عن طريق معامل لاسو او ما يسمى بالعتبة الناعمة Soft Thresholding بما في ذلك علاقة مقدّر لاسو مع مقدّر بانحدار

الحرف Ridge Regression ومقدر افضل اختيار مجموعة جزئية من المتغيرات Best subset selection والتي تماثل طريقة الخطوات المتسلسلة Stepwise selection ، ويكشف ايضاً (كما في الانحدار الخطي) انه لا يجب ان تكون تقديرات معامل لاسو فريدة (وحيدة) اذا كانت المتغيرات المستقلة تعاني من مشكلة التعدد الخطي . وان طريقة لاسو لها القدرة على اختيار مجموعة جزئية تعتمد على صيغة القيد، وعلى الرغم من انه تم تعريف لاسو للمربعات الصغرى الا انه يمكن بسهولة استعمال طريقة لاسو في مجموعة واسعة في كثير من النماذج الاحصائية منها النماذج الخطية المعممة ومعاملات التقدير المعممة ونماذج المخاطر النسبية ومقدرات، ويمكن ان تستعمل لاسو في كثير من المجالات مثل الهندسة والاحصاءات البيزية والتحليل المحذب.

قبل طريقة انحدار لاسو كانت الطريقة الاكثر استخداماً لاختيار المتغيرات المستقلة التي يتم تضمينها ضمن الإنموذج هي طريقة الاختيار المتسلسل Stepwise Selection والتي تعمل على تحسين دقة الإنموذج في حالات معينة خاصة عندما يكون لبعض المتغيرات المستقلة علاقة قوية بمتغير الاستجابة، والذي يجعل التنبؤ غير دقيق، فضلاً عن طريقة انحدار الحرف Ridge Regression الاكثر شعبية التي تستعمل لتحسين دقة التنبؤ للإنموذج الانحدار . فهو يعمل على تحسين خطأ التنبؤ عن طريق تقليص معاملات الانحدار الكبيرة من اجل تقليل التكرار ولكنه لا يقوم بالاختيار المشترك وبالتالي لا يساعد على جعل الإنموذج اكثر قابلية على التفسير. بينما لاسو يستطيع تحقيق كلا هذين الهدفين عن طريق جعل مجموعة القيم المطلقة لمعاملات الانحدار لها مقادير اقل من قيمة ثابتة، مما يُجبر بعض المعاملات لتكون مساوية للصفر، مع اختيار إنموذج أبسط لا يتضمن تلك المعاملات [١١].

مبدأ جزاء لاسو: LASSO Penalty Principle

ان مبدأ طريقة جزاء لاسو هو تصغير مجموع مربعات البواقي وفقاً الى قيد يمثل المجموع المطلق للمعاملات والتي تكون اصغر من ثابت معين، اذ يضع لاسو قيداً على مجموع القيم المطلقة لمعاملات الإنموذج Coefficients ، بحيث يجب ان يكون المجموع اقل من قيمة ثابتة (الحد الاعلى) من اجل القيام بذلك تطبق لاسو عملية التقلص (تنظيم) اذ انها تعاقب معاملات الانحدار وتقلص بعضها الى الصفر، واثناء عملية اختيار المتغيرات سيتم تحديد المتغيرات التي تحتوي على رمز غير صفري بعد عملية التقلص وستكون جزءاً من الإنموذج والهدف من هذه العملية هو تقليل خطأ التنبؤ .

ان في طريقة لاسو توجد معلمة ضبط (تسوية) هي التي تتحكم في قوة معاقبة (جزاء) معاملات الانحدار وتحتل اهمية كبيرة في ذلك فعندما تكون معلمة الضبط كبيرة بشكل كافي تضطر المعاملات الى ان تكون مساوية للصفر، وهذه مقيدة في تقليل المتغيرات في الإنموذج، اي بمعنى كلما كانت قيمة معلمة الضبط كبيرة معناه عدد اكبر من المعاملات المساوية للصفر. واذا كانت معلمة الضبط مساوية للصفر، سنحصل على انحدار المربعات الصغرى الاعتيادية OLS Regression ..

صيغة جزاء لاسو: LASSO penalty Formula

تم تقدير معاملات انحدار لاسو طبقاً لمبدأ المربعات الصغرى من الصيغة الأساسية كالآتي :

ليكن لدينا عينة مؤلفة من N حالات كل حالة مؤلفة من P من المتغيرات المستقلة ومتغير متعمد واحد y_i , وليكن x_i يمثل متجه المتغيرات المستقلة للحالة j^{th} , فيكون هدف انحدار لاسو هو حل المعادلة الآتية :

$$\min \left\{ \frac{1}{N} \sum_{i=1}^N (y_i - \beta_0 - x_i^T \beta)^2 \right\} \text{ Subject to } \sum_{j=1}^P |\beta_j| \leq t \quad [12]$$

... (1)

إذا ان :

t : تمثل معلمة حرة تحدد مسبقاً والتي تعيين مقدار التسوية (التقليص).

X : مصفوفة المتغيرات المستقلة.

$$X_{ij} = (x_i)_j \text{ وان}$$

وان x_i^T هي الصف j^{th} من المصفوفة X

فيمكن كتابة صيغة لاسو بالشكل الآتي :

$$\text{Subject to } \|\beta\| \leq t \quad \left\{ \frac{1}{N} \|y - \beta_0 I_N - X\beta\|_2^2 \right\}$$

... (2)

إذا ان :

$\|\beta\|_p = (\sum_{i=1}^N |\beta_i|^p)^{1/p}$ هو الطول القياسي l^p وان I_N متجه الواحدات $(1 \times N)$.

يرمز x_i للمتوسط القياسي لنقاط البيانات x_i و $\bar{y}$ متوسط المتغير المعتمد (متغير الاستجابة y_i) والتقدير $\beta_0 = \bar{y} - \bar{x}_i^T \beta$ إذا ان :

$$= y_i - (\underline{y} - x_i^T \beta) - x_i^T \beta = (y_i - \underline{y}) - (x_i - \underline{x})^T \beta$$

وبالتالي فانه من الطبيعي العمل مع المتغيرات التي تم جعلها مركزية (جعل متوسطها يساوي صفراً)
اضافة الى المتغيرات المستقلة تكون معيارية مثالية

$$\text{Typically standardizes } \sum_{i=1}^N x_i^2 = 1 .$$

ويمكن اعادة كتابة الصيغة (٢-٦) بالشكل الاتي :

$$\text{Subject to } \|\beta\|_1 \leq t \quad \left\{ \frac{1}{N} \|y - X\beta\|_2^2 \right\} \dots(3)$$

ويكون بصيغة مضاعف لاكرانج كالآتي:

$$\left\{ \frac{1}{N} \|y - X\beta\|_2^2 + \lambda \|\beta\|_1 \right\} \dots(4)$$

λ هي المعلمة التي تتحكم في قوة الجزاء (العقوبة) على معاملات الانحدار . [14] [2] [19]

7-جزء لاسو البيزي : Bayesian Lasso penalty

تفترض نظرية بيز *Bayes Theorem* أن المعلمة (المعلّيات) غير المعروفة والمراد تقديرها متغيرات عشوائية *Random Variables* وأن هنالك معلومات مسبقة عنها (اولية) تصاغ تلك المعلومات على شكل توزيع احتمالي يعرف بدالة الكثافة الاحتمالية الاولى *Prior Probability function* إذ يتم التعرف على هذه المعلومات من بيانات وتجارب سابقة او من النظرية التي تحكم الظاهرة . وايضاً تعتمد نظرية بيز على المعلومات الحالية للعينة التي يمكن ان تمثل بدالة الامكان *Likelihoods Function* الخاصة بالملاحظات . ودمج دالة الكثافة الاحتمالية للمعلّيات مع دالة الامكان الاعظم للملاحظات الحالية نحصل على التوزيع الاحتمالي اللاحق *Posterior* والذي عن طريقه ونحت دالة خسارة معينة نستخرج تقديرات بيز .

تم تقدير معلمات انحدار لاسو طبقاً لمبدأ المربعات الصغرى من الصيغة الاساسية كالآتي :

ليكن لدينا عينة مؤلفة من N حالات كل حالة مؤلفة من P من المتغيرات المستقلة ومتغير متعمد واحد ، وليكن يمثل متجه المتغيرات المستقلة للحالة، فيكون هدف انحدار لاسو هو حل المعادلة الآتية :

$$[12] \text{ Subject to } t \dots (1)$$

إذا ان:

t : تمثل معلمة حرة تحدد مسبقاً والتي تعيين مقدار التسوية (التقليص).

جزء لاسو البيزي: Bayesian Lasso penalty

تفترض نظرية بيز أن المعلمة (المعلمات) غير المعروفة والمراد تقديرها متغيرات عشوائية وان هنالك معلومات مسبقة عنها (اولية) تصاغ تلك المعلومات على شكل توزيع احتمالي يعرف بدالة الكثافة الاحتمالية الاولى إذ يتم التعرف على هذه المعلومات من بيانات وتجارب سابقة او من النظرية التي تحكم الظاهرة . وايضاً تعتمد نظرية بيز على المعلومات الحالية للعينة التي يمكن ان تمثل بدالة الامكان الخاصة بالملاحظات . وبدمج دالة الكثافة الاحتمالية للمعلمات مع دالة الامكان الاعظم للملاحظات الحالية نحصل على التوزيع الاحتمالي اللاحق Posterior والذي عن طريقه وتحت دالة خسارة معينة نستخرج تقديرات بيز.

ان طريقة لاسو التي قدمها Tibshirani (1996) لاختيار المتغيرات (تقليصها) في آن واحد واختيار انموذج الانحدار المناسب من مجموعة من نماذج الانحدار تعد من الطرائق الشائعة في نماذج الانحدار الخطية الذي تأخذ الصيغة الآتية :

$$y = \mu + X\beta + e$$

اذ أن:

μ متجه الاستجابة $1 \times n$ والذي يمثل المتوسط العام للاستجابات

X مصفوفة المتغيرات المستقلة $n \times p$

$\beta = (\beta_1, \dots, \beta_p)'$ متجه معاملات الانحدار التي سيتم تقديرها

e متجه الاخطاء العشوائية التي تتوزع توزيع طبيعي مستقل بمتوسط صفر وتباين مجهول σ^2

ان تقدير لاسو يقلل من مجموع مربعات البواقي نسبة الى حد معين t ضمن المعيار 1_L (القيمة المطلقة) , ولقيم t الاقل من المعيار 1_L لتقدير المربعات الصغرى الاعتيادية لـ β فأن تقديرات لاسو يمكن ان توصف كحل للصيغة الآتية :

$$(\tilde{y} - X\beta)'(\tilde{y} - X\beta) + \lambda \sum_{j=1}^p |\beta_j| \quad \dots (5)$$

اذ أن :

$\tilde{y} = y - \underline{y}$ متجه الاستجابة القياسي

λ معلمة الجزء المرتبطة بالحد t

وبما ان دالة الكثافة الاحتمالية للتوزيع الاسي المزوج كخليط في توزيعات طبيعية تقاس كالآتي :

$$\frac{a}{2} e^{-a|z|} = \int_0^\infty \frac{1}{\sqrt{2\pi}} e^{-z^2/2s} \frac{a^2}{2} e^{-a^2s/2} ds \quad a > 0 \quad \dots (6)$$

Andrews & Mallows (1974) اقترح الآتي:

$$y \setminus \mu, X, \beta, \sigma^2 \sim N_n(\mu I_n + X\beta, \sigma^2 I_n)$$

$$\beta \setminus \tau_1^2, \dots, \tau_p^2 \sim N_n(0_p + \sigma^2 D_r) ; D_r = \text{diag}(\tau_1^2, \dots, \tau_p^2) \quad (7)$$

$$\tau_1^2, \dots, \tau_p^2 \sim \sum_{j=1}^p \frac{\lambda^2}{2} e^{-\frac{\lambda^2 \tau_j^2}{2}} d\tau_j^2 ; \tau_1^2, \dots, \tau_p^2 > 0$$

$$\sigma^2 \sim \pi(\sigma^2) d\sigma^2$$

وأن σ^2 و $\tau_1^2, \dots, \tau_p^2$ مستقلان

وبعد اجراء التكامل نسبة لد $\tau_1^2, \dots, \tau_p^2$ فإن التوزيع الشرطي الاولي لد β سيأخذ الشكل الآتي :

$$\dots(8)\pi(\beta \setminus \sigma^2) = \prod_{j=1}^p \frac{\lambda}{2\sqrt{\sigma^2}} e^{-\lambda|\beta_j|/\sqrt{\sigma^2}}$$

(Park & Casella 2008) اقترحا بان صيغة لاسو يمكن ان تشير الى توزيع لاحق بيزي عندما تكون المعلمة β_j لها توزيعات أولية (سابقة) أسية مزدوجة (Laplace) اذا استبدلت في الانموذج (١) الآتي :

$$\beta \setminus \tau_1^2, \dots, \tau_p^2 \sim N_n(0_p + \sigma^2 D_r) ; D_r = \text{diag}(\tau_1^2, \dots, \tau_p^2)$$

فان التوزيع الاولي لد β سيكون كالآتي:

$$\dots(9)\pi(\beta) = \prod_{j=1}^p \frac{\lambda}{2} e^{-\lambda|\beta_j|}$$

اذا أن β مستقلة (غير مشروطة) بـ σ^2

σ^2 لد اولي كتوزيع *Typical inverse Gamma* القياسي كاما معكوس توزيع وباستعمال كالآتي :

$$\dots(10)\pi(\sigma^2) = \frac{\gamma^a}{\Gamma(a)} (\sigma^2)^{-a-1} e^{-\frac{\gamma}{\sigma^2}} ; \sigma^2 > 0 \quad (a > 0, \gamma > 0)$$

وأن دالة الكثافة الاحتمالية المشتركة تكون كالآتي:

$$f(y|\mu, \beta, \sigma^2)\pi(\sigma^2)\pi(\mu) \prod_{j=1}^p \pi(\beta_j|\tau_j^2, \sigma^2)\pi(\tau_j^2)$$

$$= \frac{1}{2\pi^{\frac{n}{2}}} e^{-\frac{1}{2\sigma^2}(y-\mu I_n - X\beta)'(y-\mu I_n - X\beta)} x^{\frac{\gamma}{\Gamma(a)}} (\sigma^2)^{-a-1} e^{-\frac{\gamma}{\sigma^2}x} \frac{1}{(2\pi\sigma^2\tau_j^2)^{\frac{1}{2}}} e^{-\frac{1}{2\sigma^2\tau_j^2}\beta_j^2} \frac{\lambda^2}{2} e^{-\lambda^2\tau_j^2/2}$$

والآن باعتبار $\underline{y}$ معدل عناصر y , وبسبب ان اعمدة X اصبحت قياسية فان:

$$(y - \mu I_n - X\beta)'(y - \mu I_n - X\beta)$$

$$= (\underline{y} - \mu I_n)'(\underline{y} - \mu I_n) + (\tilde{y} - X\beta)'(\tilde{y} - X\beta)$$

$$= n(\underline{y} - \mu)^2 + (\tilde{y} - X\beta)'(\tilde{y} - X\beta)$$

فأن التوزيع الشرطي الكامل لـ μ هو توزيع طبيعي بمتوسط $\underline{y}$ وتباين $\frac{\sigma^2}{n}$.

وبالمكاملة نسبة الى μ نحصل على الدالة الحدية كالآتي:

$$\frac{1}{(\sigma^2)^{\frac{n-1}{2}}} e^{-\frac{1}{2\sigma^2}(\tilde{y}-X\beta)'(\tilde{y}-X\beta)} (\sigma^2)^{-a-1} e^{-\frac{\gamma}{\sigma^2}x} \prod_{j=1}^p \frac{1}{(\sigma^2\tau_j^2)^{\frac{1}{2}}} e^{-\frac{1}{2\sigma^2\tau_j^2}\beta_j^2} \frac{\lambda^2}{2} e^{-\lambda^2\tau_j^2/2}$$

.....(11)

وكما نلاحظ ان الدالة (5) تعتمد على y فقط من خلال $\tilde{y}$. وما يزال ارتباط المعلومات لآخرى غير متاثر وهكذا نستطيع الحصول على عينات Gibbs لـ β و σ^2 و $\tau_1^2, \dots, \tau_p^2$ بالاستناد على دالة الكثافة السابقة

ومما ان التوزيع الشرطي الكامل لـ β هو توزيع طبيعي متعدد المتغيرات : والاس الذي يتضمن β هو :

$$-\frac{1}{2\sigma^2}(\tilde{y} - X\beta)'(\tilde{y} - X\beta) - \frac{1}{2\sigma^2}\beta' D_{\tau}^{-1}\beta$$

$$= -\frac{1}{2\sigma^2}\{\beta'(X'X + D_{\tau}^{-1})\beta - 2\tilde{y}'X\beta + \tilde{y}'\tilde{y}\}$$

وليكن $A = X'X + D_{\tau}^{-1}$ واكمال المربع لما بين الاقواس ينتج :

$$\beta' A \beta - 2 \tilde{y}' X \beta + \tilde{y}' \tilde{y} \\ = (\beta - A^{-1} X' \tilde{y})' A (\beta - A^{-1} X' \tilde{y}) + \tilde{y}' (I_n - X A^{-1} X') \tilde{y}$$

إذا β له توزيع شرطي طبيعي بمتوسط $A^{-1} X' \tilde{y}$ وتباين $\sigma^2 A^{-1}$

وان التوزيع الشرطي الكامل لـ σ^2 هو معكوس كاما كالاني :

$$(\sigma^2)^{-\frac{n-1}{2}-p/2-a-1} \exp\{-\frac{1}{2\sigma^2} (\tilde{y} - X\beta)' (\tilde{y} - X\beta)/2 + \beta' D_{\tau}^{-1} \beta/2 + \gamma\}$$

و معلمة قياس $-\frac{n-1}{2} - p/2 - a - 1$ له توزيع معكوس كاما بمعلمة شكل σ^2 إذا
 $(\tilde{y} - X\beta)' (\tilde{y} - X\beta)/2 + \beta' D_{\tau}^{-1} \beta/2 + \gamma$

ولكل $j=1, \dots, p$ فان الجزء الذي يتضمن τ_j^2 من التوزيع المشترك هي :

$$\tau_j^{-\frac{1}{2}} \exp\{-\frac{1}{2} \beta_j^2 / \sigma^2 / \tau_j^3 \pm \lambda^2 \tau_j^2\}$$

فأن التوزيع اللاحق المشترك لـ β و σ^2 في ظل التوزيعات الاولى (2) و (3) يكون كالاني :

$$\pi(\beta, \sigma^2 | y) = \frac{\pi(\beta) \cdot \pi(\sigma^2) \cdot l(\beta, \sigma^2 | y)}{\iint \pi(\beta) \cdot \pi(\sigma^2) \cdot l(\beta, \sigma^2 | y) d\beta d\sigma^2} \dots (12)$$

وبعد التعويض في الصيغة 2-33 فان التوزيع اللاحق يكون بالشكل الاتي :

$$(\sigma^2)^{-(n+p-1)/2-a-1} \exp\{-\frac{1}{2\sigma^2} (\tilde{y} - X\beta)' (\tilde{y} - X\beta)/2 + \gamma\} - \\ \frac{\lambda}{\sqrt{\sigma^2}} \sum_{j=1}^p |\beta_j| \}. (13)$$

ان شكل دالة الكثافة الاحتمالية (6) تشير الى انه من الآمن ان نضع $0=a$ لافتراض ان البيانات ليس لها خطية (بعبارة اخرى $\tilde{y}$ ليست في فضاء متعامد لـ X وايضا ليكن $\gamma = 0$ وهذا مقابل لاستعمال توزيع اولي ثابت القياس غير معلوماتي $\frac{1}{\sigma^2}$ عند σ^2 , ونلاحظ ان تغير وحدة واحدة من قياس $\tilde{y}$ لا يتطلب اي تغيير في λ لغرض انتاج حل ييزي متوازن (المصفوفة X هي واحدة لقابليتها للقياس) .

وباستعمال خوارزمية تعظيم التوقع (EM) يمكن الحصول على تقديرات معلمات انحدار لاسو البيزي من خلال تطبيق الخوارزمية على المعادلة رقم (13) كالآتي :

ان المعلمة λ لها دالة امكان والتي عند تعظيمها للحصول على تقدير بيز التجريبي .
(2001) Casella , اقترحت خوارزمية تعظيم التوقع EM عن طريق محاكاة مونت-كارلو التي تنفذ باستعمال معانية جيس Gibbs sampler للاسو البيزي وحسب الخطوات الآتية :

(١) في التكرار الاول $0=K$ نختار قيمة اولية لـ $\lambda^{(0)}$

(٢) توليد عينة من التوزيعات اللاحقة لـ β و σ^2 و $\tau_p^2, \dots, \tau_1^2$ باستعمال معانية Gibbs

(٣) نكرر استعمال λ في التكرار $\lambda^{(k)}$

(٤) خطوة إيجاد التوقع : تقرب دالة الامكان المتوقعة (للبيانات الكاملة) لـ λ بتعويض المعدلات

المستندة الى معانية جيس في الخطوة (3) نسبة لمعاملات الدالة β و σ^2 و $\tau_p^2, \dots, \tau_1^2$

(٥) خطوة التعظيم : عند التكرار $\lambda^{(k+1)}$ تكون قيمة λ التي تعظم توقع دالة اللوغاريتم في الخطوة السابقة .

(٦) العودة للخطوة (٢) وتكرار نفس الاجراءات لحين الحصول على التقارب المطلوب بين كل تقدير وقبله وان Log Likelihood تكون كالآتي :

$$-\left(\frac{n+p-1}{2} + a + 1\right) \ln(\sigma^2) - \frac{1}{2\sigma^2} (\tilde{y} - X\beta)'(\tilde{y} - X\beta)/2 + \gamma + \frac{1}{2} \sum_{j=1}^p \ln \ln(\tau_j^2) - \frac{1}{2} \sum_{j=1}^p \frac{\beta_j^2}{\sigma^2 \tau_j^2} + p \ln(\lambda^2) - \dots (14) \frac{\lambda^2}{2} \sum_{j=1}^p \tau_j^2$$

الخطوة (٤) من التكرار K تتضمن اخذ القيم المتوقعة لدالة لوغاريتم الامكان الشرطية على $\tilde{y}$ في كل تكرار $\lambda^{(k)}$ للحصول على تكرار خوارزمية تعظيم التوقع كالآتي :

$$\lambda^{(k+1)} = \sqrt{\frac{2P}{\sum_{j=1}^p E_{\lambda^{(k)}}[\tau_j^2/\tilde{y}]}}$$

والتوقعات الشرطية يجب ان تستبدل بالمعادلات المستخرجة من معانية Gibbs .

الجانب العملي :

تم الاخذ بنظر الاعتبار عدد من المتغيرات التي يمكن ان تؤثر على مستوى الخدمات المقدمة كمتغير معتمد خلال الزيارة الأربيعينية وهي (X1 عدد سيارات الاسعاف و X2 المفارز الطبية و X3 المستشفيات الثابتة والمتنقلة و X4 الآليات و X5 باصات نقل الزائرين و X6 حاويات النفايات و X7 الكادر البشري الضيفي و X8 الوقود المتوفر و X9 محطات الطاقة الكهربائية المتنقلة X10 المواكب الحسينية). والتي اخذت من النشرات الاحصائية السنوية لمركز كربلاء للبحوث والدراسات كما في جدول (١) وبتطبيق طريق جزاء لاسو وجزاء لاسو البيزي.

جدول (١) المعلومات المقدرة باستعمال طريقة جزاء لاسو وطريقة جزاء لاسو البيزي وقيمة t لكل طريقة ومعلمة الجزاء التفسيرية

Variable	LASSO	t-value	Penalty	BLASSO	t-value	Penalty	Important
x1	1.57689	13.5697	1.9971	1.2344	17.3556	1.9075	7
x2	0.78966	8.78543	0.1225	0.2556	9.46444	0.1123	8
x3	4.78666	22.4366	2.0071	5.9077	25.8966	2.1078	4
x4	5.7886	31.3688	2.9999	5.5565	32.4642	2.9766	3

x5	0.00000	0.00000	0	0.00000	0.00000	0	No Important
x6	0.00000	0.00000	0	0.00000	0.00000	0	No Important
x7	8.79565	56.7854	3.6546	9.79664	58.7755	3.3111	2
x8	2.56444	12.4666	0.9999	4.67544	16.5376	0.9972	6
x9	4.56444	11.4444	2.0182	6.44442	12.3364	2.0072	5
X10	9.78654	55.6755	3.9907	10.5633	60.5644	3.9322	1
Indicators	MSE= 2.8096	F=79.434Sig. 0.00001		MSE=1.3433	F=146.234Sig. 0.0000		

مناقشة النتائج :

نلاحظ من جدول (١) ان طريقة جزاء لاسو البيزي افضل من طريقة جزاء لاسو العتيادية لانها سجلت اقل متوسط مربعات خطأ ومعنوية الانموذجين كما هو مبين من قيمة F المحسوبة وقيمة Sig. . وان الطريقتين قلصت متغيرين مستقلين فقط هما المتغير x5 والمتغير x6 وجعلت هذين المتغيرين غير مهمين بدرجة عالية كخدمات مقدمة خلال زيارة الأربعين . ونلاحظ بان طريقة جزاء لاسو البيزي سجلت اقل متوسط مربعات خطأ من طريقة جزاء لاسو وان طريقة جزاء لاسو وطريقة جزاء لاسو البيزي قد قلصت نفس المتغيرات المستقلة وهي (X5، X6). وتم تحديد اهمية المتغيرات بموجب الطريقة الافضل وهي طريقة جزاء لاسو البيزية حسب مستوى الاهمية للمتغيرات المؤثرة في الزيارة الاربعينية حيث نال المتغير x10 والذي يمثل اعداد المواكب الحسينية الأهمية القصوى بالمرتبة الاولى فقد سجل اعلى قيمة جزاء بلغت ٩٣٢٢,٣ يليه المتغير x7 الذي يمثل الكادر البشري الضيفي المستوى الثاني في الاهمية بقيمة جزاء بلغت ٣,٣١١١ بالمرتبة الثانية، وجاء المتغير x4 الآليات بالمرتبة الثالثة، ومن ثم المتغير x3 بالمرتبة الرابعة والذي يمثل المستشفيات الثابتة والمتحركة، ومن ثم المتغير x9 محطات الطاقة الكهربائية المتنقلة بالمرتبة الخامسة، والمتغير x8 توفر الوقود بالمرتبة السادسة، والمتغير x1 عدد سيارات الاسعاف بالمرتبة السابعة، والمتغير x2 المفارز المتنقلة بالمرتبة الثامنة.

الاستنتاجات

- ١ - طريقة جزاء لاسو البيزي افضل من طريقة جزاء لاسو الاعتيادية لانها سجلت اقل متوسط مربعات خطأ
- ٣- استبعدت الطريقتين متغيرين مستقلين فقط هما المتغير x5 الذي يمثل باصات نقل الزائرين والمتغير x6 والذي يمثل حاويات النفايات.

- ٤- تم تحديد اهمية المتغيرات بموجب الطريقة الافضل وهي طريقة جزاء لاسو البيزية حسب مستوى الاهمية للمتغيرات المؤثرة في الزيارة الاربعينية.
- ٤- نال المتغير x_{10} والذي يمثل اعداد المواكب الحسينية الأهمية القصوى بالمرتبة الأولى.
- ٥- سجل المتغير x_7 الذي يمثل الكادر البشري الضيفي المستوى الثاني في مستوى الاهمية حسب الطريقة المستعملة في التقدير.
- ٦- سجل المتغير x_4 الآليات بالمرتبة الثالثة
- ٧- سجل المتغير x_3 بالمرتبة الرابعة والذي يمثل المستشفيات الثابتة والمتحركة .
- ٨- سجل المتغير x_9 محطات الطاقة الكهربائية المتنقلة بالمرتبة الخامسة
- ٩- سجل المتغير x_8 توفر الوقود بالمرتبة السادسة
- ١٠- سجل المتغير x_1 عدد سيارات الاسعاف بالمرتبة السابعة، واخيراً المتغير x_2 المفارز المتنقلة بالمرتبة الثامنة.

التوصيات

- ١- نوصي الجهات ذات العلاقة بايلاء اهمية كبيرة بالمواكب الحسينية وتقديم الدعم الكافي لها كونها حققت اكثر المتغيرات اهمية من باقي المتغيرات عدم اهمال اي من المتغيرات الاخرى كونها جميعها لها تاثير معنوي على الزيارة الاربعينية. وذلك بسبب ان المواكب الحسينية تقدم الدعم المعنوي واللوجستي للزائرين خلال زيارة الاربعين بايواء الزائرين واطعامهم وتوفير المستلزمات الطبية والفنية لهم.
- ٢- ضرورة تكثيف حملات الوعي الثقافي والنظافة بالتعاون مع أصحاب المواكب وتوجيه الزائرين من خلال الوسائط الإعلامية.
- ٣- ضرورة تثقيف الزائرين بالشعائر الحسينية، لما لهذه الزيارة من أثر رئيس في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت عليه السلام.

المصادر :-

١. العتبة العباسية المقدسة / مؤشرات الرضا عن الخدمات المقدمة للزائرين في موسم الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام).
٢. الدكتور مصطفى عزيزي / الابعاد العقدية في مضامين الزيارة الاربعينية/ ص ١٢.
٣. دبدوب، مروان عبد العزيز . (١٩٩٨) (تقويم بعض طرائق التعرف على العلاقة الخطية في نماذج الانحدار)، جامعة الموصل، مجلة الرافدين، ٢٠، ٥٣، ص: ٣٥٣-٣٦٠.
٤. عبودي، عماد حازم، علي، حميد يوسف، (٢٠١٧)، (مقارنة مقدري Hurber Las- so و Hurber Elastic Net باستخدام المحاكاة)، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية، العدد (٢٨)، الجزء الاول، بحث مستل من اطروحة دكتوراه .
٥. المجلسي، محمد باقر . بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، دار الكتب الاسلامية، ج١٩٨٣، ٤٥.
٦. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ١ <http://shiaonlinelibrary.com>
7. Al-Hassan ,Yazid M., (2010) , " Performance of a new ridge regression estimator" , Journal of the Association of Arab Universities for Basic and Applied Sciences , 9, 23–26 .
8. Ali , Sadig Mohommed BAGER, (2018) , " Ridge Regression for Addressing of the Multicollinearity Problem with Application in Cost of Production" , 3rd Central & Eastern European LUMEN International Conference New Approaches in Social and Humanistic Sciences | NASHS 2017| Chisinau, Republic of Moldova | June 8-10, 2017, 57-63.

9. ALKHAMISI M. A. , SHUKUR G., (2007) , " A Monte Carlo Study of Recent Ridge Parameters " , Communications in Statistics—Simulation and Computation, Taylor & Francis, 36: 535–547.
10. C. Montgomery, Douglas; A. Peck, Elizabeth; Vining G. Geoffery , (1982). "Introduction to linear regression analysis" , Fifth Edition, A JOHN WILEY & SONS, INC., PUBLICATION.
11. E. Hoerl, Arthur. and W. Kennard, Robert, (1976)."Ridge regression: iterative estimation of the biasing parameters", commun. Statist.A5, 77-88 .
12. Fonti Valeria, (2017) , " Feature Selection using LASSO" , Research Paper in Business Analytics, VU Amsterdam .
13. Fujino ,Yuri, Murata, Hiroshi, Mayama, Chihiro Asaoka, Ryo , (2018) , " Applying “Lasso” Regression to Predict Future Visual Field Progression in Glaucoma Patients" , The Association for Research in Vision and Ophthalmology, Inc, 2334- 2339.
14. Hans ,Christ , (2009) , " Bayesian lasso regression" , Biometrika ,96, 4, Biometrika Trustpp. 835–845 .
15. Hoerl, Arthur .E. and Kennard, Robert W., (1970a)."Ridge regression: Biased estimation for non-orthogonal Problems", T Econometrics Journal , Vol.12, No.1,55-67.
16. Hoerl, Arthur .E. and Kennard, Robert W., (1970b)."Ridge

regression: Applications to Non-Orthogonal Problems, ", T
Econometrics Journal, Vol.12, No.1,69-82.

17. J. Fu Wenjiang , (1998) , " Penalized Regressions: The Bridge
Versus the Lasso " , Journal of Computational and Graphical
Statistics, Volume 7, Number 3, Pages 397-416.

18. Kannard , Arthur E. Boart W.; F. Baldwin, Kent, (1975), " Ridge
Regression , Some solutions " , Communications in statistics , 4(2),
105-123.

19. L.J, Pliskin , (1987) "A Ridge type Estimator and good prior
Means. Communication in Statistics, 16,3427-3429.32

20. Tibshirani , Robert, (1996) ," Regression Shrinkage and Selection
via the Lasso" , J. R. Statist. Soc. B 58, No. 1, pp. 267-288.

21. Tibshirani , Robert, (1997) ," The LASSO method for variable
selection in Cox Model " , J. R. Statist. Soc. B 58, No. 1, pp. 267-
288.

22. Zhang , Ruoqiu; Zhang, Feiyu; Chen ,Wanchao; Yao ,Heming;
Ge Jiong; WuS,hengchao; Wu,Ting; Du, Yiping , (2018) , " A new
strategy of least absolute shrinkage and selection operator coupled
with sampling error profile analysis for wavelength selection" ,
Esiliver, Chemometrics and Intelligent Laboratory Systems 175
,47-54.

التنبؤ بعدد الزائرين العراقيين المشاركين في زيارة الأربعين باستعمال

منهجية Box-Jenkins

للفترة (٢٢٠٢-٦٢٠٢)

شروق عبد الرضا سعيد السباح

سكينة شامل جاسم

حنان جساب محمد

ملخص البحث

في هذا البحث تم استعمال البيانات السنوية لأعداد الزائرين المحليين وبواقع (١٥) مشاهدة سنوية وللفترة من (٢٠٠٨-٢٠٢١)، والتي الحصول عليها من مركز كربلاء للدراسات والبحوث التابع للعتبة الحسينية المقدسة وقد كان الهدف من البحث هو التنبؤ بأعداد الزائرين العراقيين للزيارة الأربعينية، وتم استعمال نماذج السلاسل الزمنية (منهجية بوكس-جينكينز) لتحقيق هذا الهدف وتم التوصل الى ان عدد الزائرين في حالة تزايد في السنوات المقبلة .

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين - اعداد الزائرين - السلاسل الزمنية، التنبؤ، بوكس جينكينز.

Predicting the number of Iraqi visitors participating in Visiting
the fortieth using the snikneJ-xoB methodology For the period
(6202-2202)

Shorouk Abdel Reda Saeed Al-Sabbah

Sakina Shamil Jassim

Hanan Jasab Muhammad

Abstract

In this research, annual data on the number of local visitors was used
(15) annual observations for the period (2008-2021), which were
obtained from The Karbala Center for Studies and Research of the Holy
Shrine of Hussein, which was the target From the research, it was used
to predict the number of Iraqi visitors for the Arbaeen visit Time series
models (Box-Jenkins methodology) were used to achieve this goal The
number of visitors will increase in the coming years.

Keywords: Arbaeen visit - number of visitors - time series,
forecasting,

Box Jenkins.

ملخص البحث

إن قضية استشهاد الامام الحسين المسلمات في الدين الإسلامي اذ قتل مظلوماً على يد الفئة الباغية بمعركة الطف الخالدة في كربلاء المقدسة، وتشرفت كربلاء بجسده الطاهر ليكون قبلة للمؤمنين يزار لطلب الشفاعة وتقرباً لله (عز وجل)، وتعد زيارة الأربعين المليونية من الزيارات المهمة ومن اكبر التجمعات العالمية، وذهب الكثير من الباحثين لدراسة ظواهر هذا الزيارة واسبابها ونتائجها على المجتمع بشكل عام وعلى الفرد بشكل خاص، من هذا المنطلق جاءت اهمية دراسة اعداد الزائرين وامكانية صياغة نموذج رياضي لتمثيل سلسلة الاعداد واستخدام هذا النموذج لغرض التنبؤ بأعداد الزائرين مستقبلاً. تعد زيارة الاربعين من اهم الشعائر الحسينية التي حث عليها الرسول الكريم ﷺ واهل بيته ﷺ فقد جعلها مولانا الحسن بن علي العسكري ﷺ من علامات المؤمن، اما بالنسبة للزيارة مشيا على الاقدام فقد وردت في روايات تدلل على استحباب هذا العمل، فعن الامام الحسن العسكري ﷺ أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم). (إقبال الأعمال: ص ٥٨٩ وعنه المقتل للمقرم: ص ٣٧١). ويرى الباحثون أن الزيارة الاربعينية رمزاً ثورياً للتحرر من الظلم والطغيان، تجعل من الزائرين يشعرون بالأمان والقوة والاتصال مع الله، وتنمي لديهم القيم الانسانية كالتضحية والكرم والتسامح والمحبة والايثار في ما بينهم، والمحصلة لهذه الزيارة ان عملية المشي تتضمن العناصر والابعاد النفسية التي هي ممارسات تفاعلية وليس عملية جسمية صامته تعتمد على حركة الرجلين واليدين فقط، وعلى طول طريق مشي الزائرين الى الحسين ﷺ يجدون خيرات أبا عبد الله ﷺ موزعة على مناطق مختلفة فخدمته يعملون على مدار (٢٤ ساعة) لإحياء هذه المناسبة العظيمة وتقديم الخدمات المتنوعة في جميع الجوانب التي تُشعر الزائر بالأمن والراحة والإطمئنان وحتى الخدمات الصحية والفكرية والدينية وارشاد التائهين وغيرها الكثير.

زيارة الأربعين

زيارة الأربعين، هي ذكرى مرور أربعين يوماً على إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحى بنفسه وبأنصاره في سبيل الدين. وتكريم ذكرى الشهيد وإقامة أربعينه، إنما هو أحياء لاسمه ولمنهجه وطريقه. وإحدى طرق التكريم وإحياء الذكرى هي زيارة الإمام الحسين في اليوم الأربعين لاستشهاده والتي تصادف يوم العشرين من شهر صفر ولها فضيلة كبيرة.

يتوافد على مدينة كربلاء في العراق ملايين الشيعة القادمين من مدن عراقية أخرى ومن خارج البلاد، لإحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين. أربعين الحسين من أبرز المناسبات الدينية لدى الشيعة، يحيونها بزيارة ضريح الحسين بن علي بن أبي طالب، ثالث الأئمة لدى الشيعة في كربلاء وضريح أخيه أبو فضل العباس المجاور له.

وتُعد ظاهرة زيارة الأربعين المباركة إحدى تجليات عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومقامه الشامخ، وموقعيته في الوجدان الانساني، إذ تزحف الملايين المؤمنة من كل حذب وصوب مشياً على الإقدام نحو قبره الشريف لزيارته في ذكرى الأربعين من كل عام، حيث يزداد عشاقه ومحبيه لتشكّل ذروة الزحف نحو حرمة الطاهر ومشهده الزاهر، ليكونوا بالقرب من روحه ونهجه وشعاعه المبارك كي يستلهموا منه قيم العدل والحق والتضحية والبذل والإيثار والإخلاص والمسؤولية والانسانية. كما أن هذه الزيارة المباركة تنفرد بتقديم استعراض خدمي طوعي وعقائدي وفكري وأخلاقي في منتهى الفاعلية، ولم تقتصر آثارها على شريحة محددة، لا من حيث العمر أو الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي، فالكل متاح له أن يتربى على مبادئها صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، فهي ببساطة ممارسة اجتماعية - دينية يرسمها الملايين من خلال مشاهد من الوفاء وعشق السخاء وتكريم التضحية وخلق أنماط متميزة من الكرم والإيثار.

تعد زيارة الأربعين ظاهرة اجتماعية ومهرجان ولاء حسيني تعبوي ينتظره الملايين لأداء زيارة الامام الحسين، اذ يستلهمون منه (الانسانية والقيم والمبادئ والتسامح والتعاون والتعايش السلمي والمواطنة)، وعلى الرغم من تفشي جائحة كورونا في ارجاء المعمورة في عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٢١ م، وفرض اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير الاحترازية، كالعزل، والحجر الصحي، والتباعد الجسدي، وغلق الحدود البحرية، والبرية، والمطارات لعدة فترات، الا ان هذه الشعيرة المباركة استعدت لها الوزارات والمؤسسات والدوائر الحكومية والمواكب والهيئات الحكومية فضلاً عن الزائرين لأحيائها في العشرين من صفر ١٤٤٣ هـ، والتي شهدت توافد (١٤٥٥٣٣٠٨) مليون زائر محلي وعربي واجنبي.[٢] فلا شك أن لمسيرة الولاة والوفاء المليونية في اربعينية الإمام الحسين، وما يبذل فيها من جهود سخية من قبل أصحاب المواكب والهيئات الحسينية، والعتبات المقدسة، ومؤسسات الدولة بصنوفها كافة، وفرق العمل التطوعي، ومنظمات المجتمع المدني لها أهمية بالغة على الصعيدين المحلي والدولي، فهو عطاء قل نظيره لانه يؤرخ لهذه المسيرة المعطاء التي حافظت على الق حضورها من خلال ما تم تدوينه عبر الأجيال المتعاقبة، حتى اخذ اليوم اشكالا جديدة ومعاصرة.

لقد حظي الجانب الاحصائي باهتمام كبير من لدن أهل العلم والمعرفة كونه يُقدم ارقاماً وبيانات ونسباً مئوية واشكالا تعكس أهمية أي ظاهرة من عدمها. ونظراً لما تُشكله ظاهرة زيارة الأربعين المباركة من رقم احصائي كبير بجوانبها ومتغيراتها كافة، اذ تشهد تعاظماً وتطوراً ملحوظاً سواء على مستوى اعداد الزائرين المحليين والعرب والأجانب او على مستوى ما يُقدم ويُبذل من جهد بشري ومادي وخدمي عظيم من قبل المواكب المحلية والعربية والأجنبية والمتطوعين واقسام العتبة الحسينية المقدسة والوزارات والمؤسسات والدوائر الحكومية ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الاعلام المختلفة فهو حريٌّ بالجمع والتبويب والدراسة والتحليل.

ر على الاقدام

ان هذا الطقس الديني الضخم يقوم على السير لمسافات طويلة من مدن العراق الأخرى، وصولاً إلى كربلاء. فمن البصرة، تنطلق القوافل سيراً على الأقدام قبل عشرين يوماً من الأربعين. ومن إيران التي يفد منها بعض الزوار مشياً أيضاً تنطلق المسيرات قبل شهر من الأربعين. أمّا بالنسبة للزوار القادمين من دول أخرى جواً، فيحيون الذكرى بالسير على مدى يومين متواصلين من النجف حيث مقام الإمام علي بن أبي طالب، باتجاه كربلاء.

يعد السير على الاقدام أشبه بمواساة لأهل بيت الحسين الذين ساروا لمسافات طويلة بعد عودتهم من الشام. بعد واقعة الطف، سببت زينب أخت الحسين ومن كان معها من أصحابه وأفراد عائلته وأولاده. وفي طريق عودتهم إلى المدينة، مررن بكربلاء لزيارة قبر الحسين.

فضل زيارة الاربعين

عن الحسين بن ثوير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام ان كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ان الرجل ليخرج الى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من اهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى يأتيه، فإذا أتاه نجاه الله تعالى فقال: عبي سلني اعطك، ادعني اجبك، اطلب مني اعطك، سلني حاجة اقضها لك، .. وقال أبو عبد الله عليه السلام: وحق على الله ان يعطي ما بذل». وعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «ان لكل امام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم

رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءهم يوم القيامة». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «وكل الله تعالى بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك شعثاً غبراً ليكون له يوم القيامة يصلون عنده، الصلاة الواحدة من صلاة احدىهم تعدل ألف صلاة من صلاة الادميين، يكون ثواب صلاتهم وأجر ذلك لمن زار قبره عليه السلام» وقال الإمام الصادق عليه السلام: «زوروا الحسين عليه السلام ولا تحفوه، فانه سيد شباب اهل الجنة من الخلق وسيد الشهداء». وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

دلالات زيارة الأربعين

تتنوع دلالات زيارة الأربعين بضخامة التراث الإنساني في الثورة الحسينية التي تحييها الزيارة الأربعينية من جهة، وبدرجة التفاعل مع القيم الإنسانية والمفاهيم الربانية فيها، من جهة أخرى. تبرز الدلالات في أبعاد الزيارة المعنوية الروحية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والإعلامية الاجتماعية والسياسية التي تستمدّها من أبعاد القضية التي تتبناها روحياً وفكرياً وثنوياً. وهذه الدلالات تعمّ الزوار جميعاً، بيد أن هناك دلالات خاصة بالشعب العراقي لا بد من الإشارة إليها لأنها تشكّل بحد ذاتها معلماً واضحاً في طريق الحسين إلى الله تعالى.

تكشف المناسبة الأربعينية ميزة وفردة لدى الشعب العراقي على المستوى الروحي والمعنوي تتجلى في مشاهد التعاون ومستوياتها السامية ما بين الهيئات الشعبية والرسمية لتقديم كافة الخدمات للزائرين، بل وأفضلها. كما يظهر العراقيون، أصحاب الأرض، بهذا الاستنفار الجماهيري والشعبي الكامل لكل الطاقات وبأعلى درجات العمل الطوعي، العمل المنظم بشكل دقيق ومتكامل والرغبة اللا محدودة والقدرة على رعاية هذه الحشود المليونية، وتكريس الجهود والتفرغ لخدمة ضيوف الإمام الحسين وزواره.

إن الشعب العراقي يؤكد عبر إحياء زيارة الأربعين والعمل على إنجاحها والمساهمة في تشكيل كل لوحاتها، بل والتصدي واستلام المبادرة بمعزل عن الدور الرسمي، على أنه شعب عصي على التحديات بما فيها من ظروف قهر ومعاناة وإرهاب. يعزز الشعب العراقي خلال الزيارة عمق المشتركات بين أفراد المجتمع العراقي على تعدد مكوناته وإثنياته، ويقوي النسيج المجتمعي المتناسك في مواجهة مخططات التفرقة والفتنة التي عمل الاحتلال الأمريكي على تغذيتها وتنمية التطرف لنشر الإرهاب وتفتيت المجتمع العراقي. ويظهر الشعب العراقي أنه قادر على النهوض المرة تلو الأخرى رغم كل المعاناة الإنسانية والاقتصادية، وأنه يمتلك من القابليات في عمق وجدانه الحضاري ما يؤهله لتوظيف الزيارة كمرتكز أساس من مرتكزات النهوض الحضاري إذا ما توفرت الاستراتيجية المناسبة لوضع البلاد على مسار النهوض الحقيقي. وفي الدلالات العامة لزيارة الأربعين التي يعكسها الشعب العراقي إلى جانب الزوار في إحياء المناسبة، فيمكن إيجازها بما يلي:

- البعد الروحي

إن الزيارة الأربعينية بما تعبر معه عن ارتباط بالإمام الحسين (عليه السلام) كفيلة بتعزيز الارتباط بالله تعالى عبر تحويل ألفاظ الحب والأحاسيس والولاء للإمام الحسين (عليه السلام) من أتباعه ومحبيه، أو مشاعر الإعجاب بالقضية التي جسدها من قبل غير أتباعه، إلى ولاء حقيقي قوامه الموالاة للحق والعدل والإنصاف والثبات، والبراءة والكفر بالطواغيت والمستكبرين والظالمين. بهذا المعنى، يصبح الحب هو المحرك العملي الذي يستمد منه الإنسان قوة الارتباط بالمعاني النبيلة والقيم الرفيعة. ويؤهل هذا الشق العملي الإنسان للتحرك في بيئته ومجتمعه وفق المفاهيم الإيجابية سواء الإيمانية أو العملية في ضرورة العمل الجاد والإعداد وعدم الخمول واليأس والركون للظلم والظالمين. هذا، وتؤثر

الأجواء والمظاهر التفاعلية في الزيارة وأثناء رحلة المشي في ترك انعكاسات نفسية؛ هي في الجملة من الممارسات الديناميكية ما بين العناصر العقلية والقلبية بما يؤمن نوعاً من التحرر الروحي خارج الممارسات التقليدية الحياتية والروتين الأدائي والفكري.

- البعد الأخلاقي

توفر زيارة الأربعين عددًا من الدروس الأخلاقية العملية إذ تستخرج الملكات الأخلاقية والصفات النفسية الكامنة، وتكشف عملياً عن المستوى الأخلاقي ودرجته، سواء في السفر أو في درب المشاية والتعامل مع الآخرين وتدارك المواقف. ومن هذه المعطيات الأخلاقية: الصبر والتواضع والإيثار والتضحية بالمال والوقت وبذل الجهد وخدمة الآخرين وتقدير المساعدة، والتعاون، والعفة، والعفو، والحلم، والأدب واحترام حرمان الطريق وغيرها من المعاني الفاضلة، والوفاء بالعهود سواء مع الله تعالى وأهل بيته الأطهار أو مع النفس والآخرين. وتعد هذه الكمالات من أفضل العبادات التي تكشف عن رقيّ نفس الإنسان وتؤهلها للتضحية الأعظم لأجل المبادئ والقيم السامية وتساهم في تربية النفس وترويضها لتكون لائقة بحمل أبعاد القضية الحسينية، والافتداء بها، كما تولّد حالة من التفاعل الروحي والنفسي بما يؤدي إلى إيقاظ أسمى معاني الخلق الرفيع.

- البعد الثقافي

إن زيارة الأربعين مؤتمر عالمي عنوانه أسمى معاني الحرية والعزة والكرامة، ويحمل من المفاهيم الأخلاقية والدينية والمعنوية والاجتماعية الكثير بما يغني طريق الإنسانية بالعديد من الرايات والبيارق الحسينية في طريق بناء المجتمع القوي المتناسك. تستعرض الزيارة دروساً ثقافية متنوعة، من أهمها ثقافة العمل الطوعي بما يخدم تطور المجتمعات؛

وثقافة التعايش السلمي والانفتاح على الآخرين؛ وثقافة التعامل وفق مبدأ الإنسانية؛ وثقافة البذل والصرف في سبيل الله، والإنفاق على حبه. وهذه المفاهيم تشترك مع الأبعاد الأخرى الاجتماعية والاقتصادية، بيد أن من المفاهيم الثقافية التي تعطي الثقل للبعد الثقافي في الزيارة الأربعينية فهي ثقافة انتصار النهج والتحلي بالبصيرة.

إن الزيارة ليست طقساً جامداً من مراسم العزاء والحزن والبكاء، وإنما هي عملية تأمل في كيفية مواجهة الظلم ولو ببذل الأرواح والأموال. هي عملية تفاعلية تكسر الجمود والسلبية في تأطير القضية بتجلياتها المادية الحسية بعيداً عن عناصرها المتفاعلة في تسطير خلود الدم على السيف. وتشكل البصيرة المصداق الأتم في الرؤية الثاقبة لبواطن الأمور وحقائقها بما يحركها باتجاه الهدف بعد تحديد الغاية. وتدفع البصيرة بمسار الالتزام بالقيادة قدماً، والإيمان بها بما يجعلها تمثل لأوامرها وتجدد معها البيعة في ساحات الجهاد. وهذه البصيرة هي التي صنعت محور المقاومة.

إن ثقافة انتصار الدم على السيف أو انتصار النهج هو جوهر القضية الحسينية التي تجسد الزيارة الأربعينية أبرز مصاديق الالتزام بأهدافها وتطلعاتها ونشر رسالتها. إن من معالم هذه الثقافة أن النصر السياسي الاستراتيجي أهم من النصر المادي الآني. إن أداء التكليف هو الواجب بعد تأمين العوامل ورفع الموانع، وبمعزل عن النتيجة، كما إن الثمن لا بد وأن يتناسب مع الهدف والغاية، وأن لا خوف في صرخة حق ضد جائر. تشكل الزيارة فرصة لا غنى عنها لنشر مبادئ النهضة الحسينية، وإيصال تعاليمها وزيادة الوعي حول مبانيها ورفع الشبهات حولها. وإن من التكليف الواجب هو استثمار هذا الحدث في العمل التثقيفي بالاستفادة من الجموع الغفيرة باختلاف ألوانها ولغاتها سواء عبر تقديم الصورة الأمثل للزيارة على الصعيد الفردي والجماعي أو على صعيد المؤسسات المختلفة في المجال الثقافي لتنظيم الفعاليات والنشاطات المناسبة.

- البعد الاقتصادي

تشكل القوة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي رافعة أساسية في نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية، فضلاً عن معرفة كيفية إدارة المال وعدم الإسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف. إن أموال الزيارة الأربعينية قوة مالية توظف في إحياء هذه المناسبة من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام الطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين. ويعد هذا التوظيف من جوهر الممارسات العبادية، وهي لا تقتصر على تمويل ميزانية الأربعين، وإنما تصبح ثقافة الصرف والبذل في سبيل الدين، في الحضر كما في السفر، وبذلك تتجلى أسمى درجات التعاون والتكافل الاجتماعي بين مختلف أبناء المجتمع والأمة.

- البعد الإعلامي

تؤمن الزيارة الأربعينية المنصة الإعلامية الأكبر التي لا يمكن لأضخم محطات الإعلام الإتيان بمثلها. ويبعث الزوار العرب والأجانب الرسالة الأعظم في تاريخ البشرية؛ رسالة الالتحام حول العدل والتمسك بالحق والكفر بالباطل وأتباعه. هي منصة صوت الأمة الأقوى لنقل همومها وتطلعاتها والتشبيك بين أهدافها في الوحدة والإصلاح والتكافل والتنظيم والإيمان والقوة والبأس. من هنا، يصبح من باب التكليف على وسائل الإعلام النهل من بركات هذه المنصة الإلهية لإيصال صرخة الحق ورفض الباطل والمساهمة في تعليم كيفية كسر الهياكل الفكرية البالية والأنظمة السياسية الجائرة، والأخذ بيد الأمة في قول كلمة «لا» ضد سلطان جائر. إن الزيارة مؤتمر إعلامي مهمه إعادة إحياء المؤتمر السياسي الذي عقده الإمام في مكة قبل خروجه في جمع الحجاج من المهاجرين والأنصار والتابعين وغيرهم لشجب سياسة الظلم، وكشف الانحراف السياسي والفكري لماكانت الجور الحاكمة، وتصحيح

انحرافها وتقويم ارتدادها عملياً عبر «ثورة الطف» التي وضعت شرعية تغيير السلطة الحاكمة موضع التطبيق، وتحريك واقع الأمة والدفع بها نحو مسار أكثر ارتقاء للانعقاد والحرية. إن الزيارة فرصة لتفاعل الإعلام العالمي والدولي مع واقع الأمة وتطلعاتها؛ قد يكون من المناسب تشجيع الكتابات الأجنبية حول موضوع الزيارة وأبعادها وأهدافها، إذ يندر وجود مقالات ودراسات حول الزيارة على أهميتها وفرادتها كتجمع بشري أقله ومظاهرها التي لا مثيل لها في أي مكان في العالم.

- البعد الاجتماعي

تنعكس قدسية الزيارة الأربعينية في رمزياتها التي تجمع أصحاب الفكر التقدمي والإرادة الحرة من كافة الطوائف الإسلامية، ومن غير المسلمين في إحياء هذه الشعيرة. تترجم الزيارة قوة ترابط المجتمع الواعي بحقوقه وطاقاته واجتماعه حول القضية الحسينية بما ينجح أداء المراسم والطقوس. وتظهر هذه القوة بين الزوار عبر الممارسة العملية لمختلف المفاهيم الثقافية والصفات الأخلاقية الواردة أعلاه بما يعكس وجود نقطة تحول في مسار بناء الإنسان وفق النموذج الحسيني في التضحية والإيثار والشجاعة والغيرة والعلاقة مع الله تعالى. وتكشف الزيارة حالة من التعافي الإيجابي الكبير في السلوك الاجتماعي للزوار، خاصة وأنها تمتحن الزائر بسلوكياته وأخلاقه ومواقفه وكلماته. وتعد الفئة الشبابية محور القوة الاجتماعية لما يختزن هؤلاء من طاقات وأفكار قيد الاستقطاب في صناعة المجتمع الحسيني المهدوي. من هنا، يصبح التعاون بين مختلف الفعاليات الثقافية والدينية والتربوية لتوجيه هذه الفئة وتهذيب مشاعرهم ومظاهرها وصقل طاقاتهم في طريق خدمة المشروع الحسيني وحفظ أهدافه، بالتوازي مع العمل على تحصينها أمام المشاريع التغريبية الاجتماعية والثقافية التي تعمل على استلاب الشباب من البيئة المؤمنة تحت عناوين التحديث ومجارة العلوم العصرية، لا سيما عبر مواقع

التواصل الاجتماعي. إن الزيارة الأربعينية عملية صقل للروابط الاجتماعية والأسرية وللمشاعر الإنسانية فضلاً عن بلورة القيم الحضارية بين الشعوب المختلفة، بما يزيل الحواجز الاجتماعية والنفسية والثقافية بينها في الطبقية والعرقية والقومية والقطرية، ويُعزّز معه خلق نسيج اجتماعي تجمع مبادئ الحق وثوابت الطريق.

- البعد السياسي

إن القضية الحسينية هي قضية حتمية الصراع والمواجهة ضد الحكم الجائر، وليس لأجل السلطة والهيمنة والغلبة. وهي صراع الحق ضد الباطل على مر الأزمان، بما تتجاوز معه الهوية المذهبية الضيقة لتكون مشروع أمة الأمة والعالم الأوسع. وتحيي الزيارة أهداف ثورة الطف في تفجير طاقة الثورة وروح الرفض، وتحريك الضمائر وإثارة الوجدان، والحفاظ على وجود الرسالة الإسلامية والدين المحمدي الأصيل الشرعية والثبات والبصيرة في المسار. تؤكد الزيارة على المشروع المقاوم الذي يستلهم من ثورة الطف قضيته في رفض الانكسار ومحاربة الاستكبار وعدم المهادنة أو الخضوع والخنوع أو سلب الكرامة. الزيارة فرصة لإظهار قوة انعكاسات القضية الحسينية في مواجهة الظالمين وقدرتها على تحويل مجرى الأمور وإحداث التحولات، مذ قيام الثورة الإسلامية في إيران وسقوط نظام صدام في العراق ونجاح (حزب الله) في لبنان في مقارعة العدو الاسرائيلي، ونمو محور المقاومة من العراق إلى اليمن، إضافة إلى كل حركات التحرر في العالم التي استلهمت من ثورة الطف مقارعة الظالمين.

تستحضر الزيارة القيم والمبادئ من شعارات الثورة ورمزية إحيائها وهتافاتها لتبلور إرادة التغيير وإثارة روح التحدي وكسر حواجز الخوف، والجرأة في إدانة الباطل. إن كلمات الإمام القصار وفي خطبه كلها رسائل سياسية تاريخية تتجاوز الزمان والمكان في وجوب القيام ضد الظالم والحكم الجائر.

تجسّد أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) لوحة ديمقراطية متقدمة بالمفهوم الحديث في مسيرات التأييد والتضامن مع أهداف المسيرة الحسينية الخالدة في إصلاح المجتمع واستنهاض الأُمّة، وإنهاء الاستبداد، وتحرير إرادة الأُمّة من حكم القهر والتسلّط والهيمنة الفكرية، وإقامة الحقّ وتقوية أهله، وتوفير القسط والعدالة الاجتماعية وتطبيق حكم الشريعة، وإزالة البدع والانحرافات، وإيقاظ روح المقاومة، وهدم مشاعر الخوف والهلع من النهوض ومقارعة الظلم، وإلهام الثورات والانتفاضات.

- الجانب التطبيقي

تم الاعتماد على البيانات السنوية لأعداد الزائرين المحليين وبواقع (١٥) مشاهدة سنوية وللفترة من (٢٠٠٨-٢٠٢١)، وتم الحصول على البيانات من (مركز كربلاء للدراسات والبحوث) والتي وضحت في الجدول (١) اذ تم استعمال برنامج EViews في تحليل البيانات.

جدول (١) بيانات الزائرين العراقيين (المحليين)

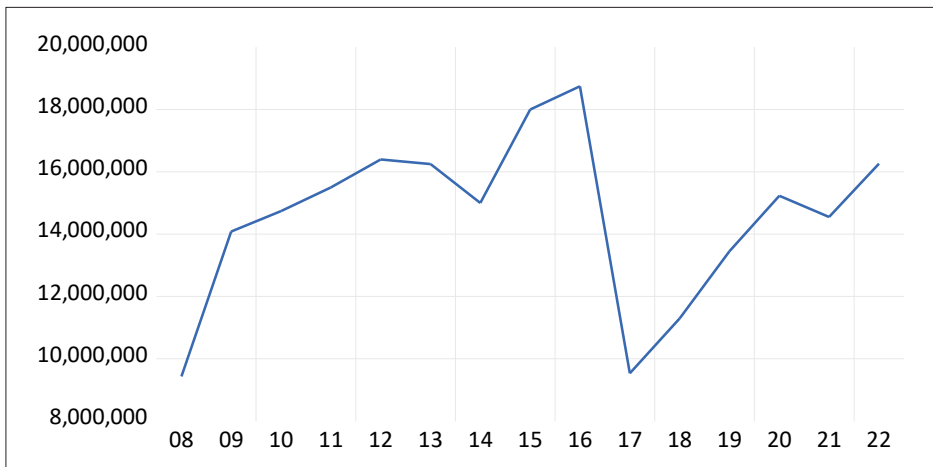
ت	مواسم الزيارة	الزائرين العراقيين
١	١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨	٩,٤٣٠,٠٠٠
٢	١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩	١٤,٠٨٠,٠٠٠
٣	١٤٣١ هـ - ٢٠١٠	١٤,٧٣٩,٨٣٩
٤	١٤٣٢ هـ - ٢٠١١	١٥,٥٠٠,٠٠٠
٥	١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢	١٦,٤٠٠,٠٠٠
٦	١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣	١٦,٢٥٠,٠٠٠
٧	١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣	١٥,٠٠٠,٠٠٠
٨	١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤	١٨,٠٠٠,٠٠٠
٩	١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥	١٨,٧٥٠,٠٠٠
١٠	١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦	٩,٥٢٨,٨١٢
١١	١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧	١١,٢٩٤,٦٥٨
١٢	١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨	١٣,٤٥١,٤٣٥
١٣	١٤٤١ هـ - ٢٠١٩	١٥,٢٢٩,٧٩٦
١٤	١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠	١٤,٥٥٣,٢٨٧
١٥	١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١	١٦,٢٦٢,٥٤٢

رسم السلسلة البيانية

قبل البدء بتحليل السلسلة الزمنية قيد الدراسة تم رسم السلسلة الزمنية كما موضح في الشكل رقم (١). نلاحظ ^(١)

وجود تذبذبات متكررة مع اختلاف وتيرة التزايد بين سنة واخرى وهذا ما يبين وجود اتجاه عام وعوامل موسمية .

= عدد الزائرين العراقيين



الشكل رقم (١) السلسلة الزمنية لعدد الزائرين العراقيين (المحليين)

اختبار استقرارية السلسلة الزمنية

بملاحظة الرسم البياني للسلسلة الزمنية كما في الشكل رقم (١) نجد ان السلسلة تميل الى التذبذب بتغير الزمن والذي يبين بان السلسلة غير مستقرة وهذا ما يؤكد الرسم البياني لدالة الارتباط الذاتي والارتباط الذاتي الجزئي في الشكل رقم (٢). وكذلك قيم الجدول رقم (١) الذي يوضح اختبار Unit Root test باستخدام اختبار ADF حيث

كانت فرضيات هذا الاختبار كالاتي:

H0:السلسلة الزمنية غير مستقرة

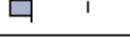
H1:السلسلة الزمنية مستقرة

الجدول رقم (١) يبين نتائج اختبار حذر الوحدة باستخدام اختبار ADF
للسلسلة الزمنية الاصلية

Null Hypothesis: Y has a unit root			
Exogenous: Constant			
(Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=3			
		t-Statistic	*.Prob
Augmented Dickey-Fuller test statistic		-3.203380	0.0417
Test critical values:	level 1%	-4.004425	
	level 5%	-3.098896	
	level 10%	-2.690439	

فمن خلال قيمة (P-Value) في الجدول رقم (١) والتي قيمتها (٠,٠٤١٧) نجدها أقل من (٠,٠٥) أي انها معنوية فهنا نرفض فرضية العدم أي ان السلسلة المدروسة مستقرة.

الجدول (٢) يوضح معاملات دالة الارتباط الذاتي والذاتي الجزئي للسلسلة الزمنية الاصلية

Date: 05/15/22 Time: 23:41		Sample: 2008 2022		Included observations: 15			
Autocorrelation	Partial Correlation	AC	PAC	Q-Stat	Prob		
		1	0.214	0.214	0.8361	0.361	
		2	-0.168	-0.224	1.3905	0.499	
		3	-0.144	-0.057	1.8291	0.609	
		4	-0.151	-0.153	2.3601	0.670	
		5	-0.249	-0.247	3.9465	0.557	
		6	-0.081	-0.050	4.1318	0.659	
		7	-0.180	-0.344	5.1659	0.640	
		8	-0.180	-0.269	6.3502	0.608	
		9	0.296	0.200	10.067	0.345	
		10	0.198	-0.219	12.065	0.281	
		11	0.067	0.027	12.353	0.338	
		12	-0.030	-0.205	12.430	0.412	

الجدول رقم (٢) يشير الى ان الارتباط الذاتي يقع داخل حدود الثقة ٩٥٪ على مدى جميع الفجوات الزمنية وهذا يشير الى سكون السلسلة الزمنية، وان معلمة الارتباط الذاتي AC تبدأ من قيمة منخفضة عند تخلف زمني لفترة واحدة (١١٩, -٠) lag ١ وتنخفض بشكل بطيء لتكون عند (٠٣٦, -٠) lag ١ هذا يؤكد مرة أخرى على أن السلسلة الزمنية هي مستقرة.

وللحصول على افضل نموذج يتم اختبار عدة نماذج مقترحة من نماذج بوكس جينكينز حتى نحصل على افضل نموذج للتنبؤ.

تحديد النموذج الملائم

لغرض تشخيص أو معرفة بأن النتائج في الجدول (٢) مقبولة نقوم بالحصول على البواقي من نفس النموذج المقدر، ومن هذه البواقي نحصل على معامل الارتباط الذاتي ومعامل الارتباط الجزئي وشكل الارتباط الذاتي، وإذا تبين أن جميعها تقع داخل فترة الثقة ٩٥٪، بمعنى أن الارتباط الذاتي بين حدود المتغير العشوائي غير معنوي و بالتالي يكون النموذج المقدر ملائماً ومقبولاً، وباستخدام برنامج EViews حصلنا على النتائج التالية :

الجدول (٣) يوضح معاملات دالة الارتباط الذاتي والذاتي الجزئي للسلسلة الزمنية المقدرة

Date: 05/15/22 Time: 23:53						
Sample: 2008 2022						
Included observations: 15						
Autocorrelation		Partial Correlation		AC	PAC	Q-Stat Prob
				1	0.214 0.214	0.8361 0.361
				2	-0.168 -0.224	1.3905 0.499
				3	-0.144 -0.057	1.8291 0.609
				4	-0.151 -0.153	2.3601 0.670
				5	-0.249 -0.247	3.9465 0.557
				6	-0.081 -0.050	4.1318 0.659
				7	-0.180 -0.344	5.1659 0.640
				8	-0.180 -0.269	6.3502 0.608
				9	0.296 0.200	10.067 0.345
				10	0.198 -0.219	12.065 0.281
				11	0.067 0.027	12.353 0.338
				12	-0.030 -0.205	12.430 0.412

في الجدول (٣) نلاحظ ان السلسلة الزمنية تعد مكاملة من الرتبة صفر أي ان ($D=0$) اذ نقوم بتجريب نموذج الانحدار الذاتي باستخدام الرتب (١،٢،٣)، أي ان $AR(1)$ و $AR(2)$ و $AR(3)$ ونموذج المتوسط المتحرك باستخدام نفس الرتب تصبح $MA(1)$ و $MA(2)$ و $MA(3)$ و نختار النموذج الأكثر ملائمة لوصف البيانات باستخدام بعض المعايير.

أن النتائج في الجدول (٣) تبين ان معاملات الارتباط الثاني للبواقي تقع داخل فترة ثقة ٩٥٪، مما يشير إلى أن النموذج ARMA المقدر ملائم لوصف سلوك البيانات المستخدمة في التقدير.

الجدول (٤) معايير اختيار النموذج الجيد

	(ARMA(1,1	(ARMA(1,2	(ARMA(2,1	(ARMA(2,2	(ARMA(2,3	(ARMA(3,2	(ARMA(3,3
Akaike info criterion	32.82679	32.78538	32.81103	32.72579	32.86089	32.74366	32.91151
Schwarz criterion	33.01560	32.97419	32.99984	32.91461	33.04970	32.93248	33.10033
Hannan-Quin criter	32.82477	32.78336	32.80901	32.72378	32.85888	32.74165	32.90950

الجدول (٤) يبين سبعة نماذج مقترحة من نماذج ARMA وكذلك يبين معايير اختيار النموذج الجيد وهي كل من (AIC)، (SIC)، (H-QIC) حيث تم اختيار النموذج ARMA (٢، ٢) كأفضل نموذج ليمثل البيانات.

تقدير معلمات النموذج المقترح

بعد تحديد رتب كل الانحدار الذاتي AR والمتوسط المتحرك MA يكون بالامكان تقدير النموذج المطلوب سواء باستخدام AR أو MA أو ARMA في حالة تقدير النموذج بصيغة $\hat{y}_t = \phi_1 \hat{y}_{t-1} + \phi_2 \hat{y}_{t-2} + \epsilon_t$ فستكون صيغة الدالة كما يلي:

$$(LS(OPTMETHOD=OPG) \ Y \ C \ AR(1) \ AR(2) \ MA(1) \ MA(2)$$

وبعد تقدير النموذج ARMA حصلنا على النتائج التالية:

جدول رقم (٤) يبين نتائج تقدير النموذج المقترح ARMA(٢,٢)

Dependent Variable: Y

Method: ARMA Maximum Likelihood (OPG - BHHH)

Date: 05/16/22 Time: 01:48

Sample: 2008 2022

Included observations: 15

Convergence not achieved after 500 iterations

Coefficient covariance computed using outer product of gradients

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	14865915	340081.3	43.71283	0.0000
AR(1)	1.505152	0.436068	3.451645	0.0073
AR(2)	-0.868909	0.382253	-2.273126	0.0491
MA(1)	-1.935892	21.58327	-0.089694	0.9305
MA(2)	0.990498	21.84624	0.045340	0.9648
SIGMASQ	2.85E+12	6.28E+13	0.045293	0.9649
R-squared	0.589001	Mean dependent var	14564691	
Adjusted R-squared	0.360669	S.D. dependent var	2723436.	
S.E. of regression	2177610.	Akaike info criterion	32.72441	
Sum squared resid	4.27E+13	Schwarz criterion	33.00763	
Log likelihood	-239.4331	Hannan-Quinn criter.	32.72139	
F-statistic	2.579578	Durbin-Watson stat	1.877737	
Prob(F-statistic)	0.102686			
Inverted AR Roots	.75-.55i	.75+.55i		
Inverted MA Roots	.97-.23i	.97+.23i		

لذا فان المعادلة المقدرة للنموذج تكون بالشكل التالي:

$$Y = C(1) + [AR(1)=C(2), AR(2)=C(3), MA(1)=C(4), MA(2)=C(5)]$$

[“UNCOND, ESTSMPL=”2008 2022

$$Y=14865915.3+[AR(1)=1.50515200208, AR(2)=-0.868908$$

$$57828, MA(1)=-1.93589165432, MA(2)=0.990498312734, UN-$$

[“COND, ESTSMPL=”2008 2022

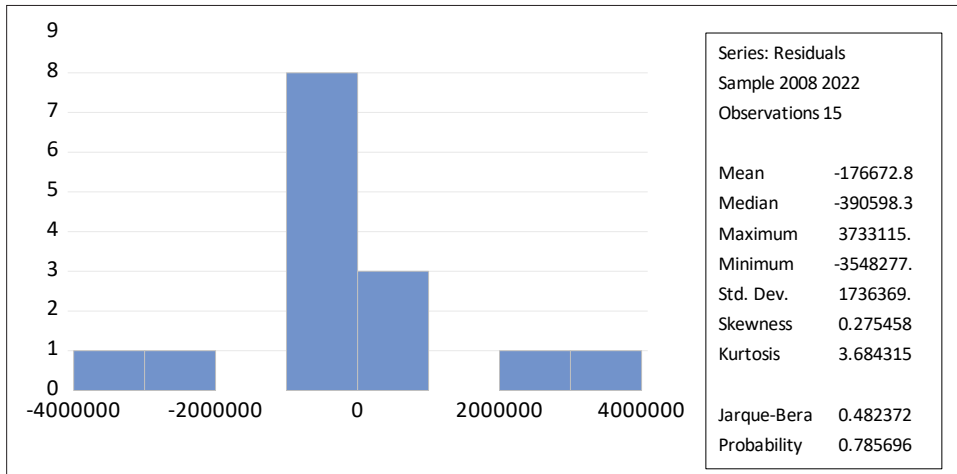
التحقق من صحة النموذج

- اختبار التوزيع الطبيعي للبواقي:

- نقوم باختبار الفرضيات التالية:

H_0 : ان توزيع البواقي يتبع التوزيع الطبيعي

H_1 : ان توزيع البواقي لا يتبع التوزيع الطبيعي

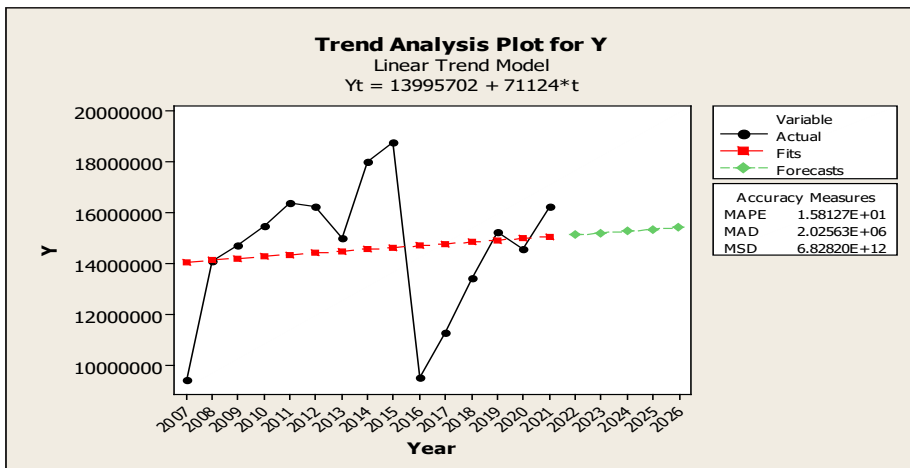


باستخدام اختبار Jarque-Bera نلاحظ ان قيمة probability تساوي ٠,٧٨٥٦٩٦ , واي اكبر من ٠,٠٥ اي لا نرفض فرضية العدم اي ان البواقي تتبع التوزيع الطبيعي. تم التنبؤ بالناتج بعدد الزائرين العراقيين (المحليين) لمدة خمس سنوات وكانت النتائج المبينة في الجدول (٥) و تم تمثيل السلسلة الزمنية كما في الشكل رقم (٦) و التي تبين بان لها نفس سلوك السلسلة الاصلية.

الجدول (٥) يوضح قيم التنبؤ بعدد الزائرين العراقيين للفترة (٢٠٢٢-٢٠٢٦)

Forecasts	
Period	Forecast
2022	15133681
2023	15204805
2024	15275928
2025	15347052
2026	15418176

الشكل (٥) السلسلة الزمنية للتنبؤ بعدد الزائرين العراقيين للفترة (٢٠٢٦-٢٠٢٢)



الاستنتاجات

١. وفقا للتنبؤات التي تم حسابها فان اعداد الزائرين سوف تتحقق ارتفاعا في السنوات المقبلة

٢. بالنسبة للسلسلة الزمنية قيد الدراسة فان ان استخدام نماذج (Box-Jenkins) هي افضل في التنبؤ.

٣. اعتماد نموذج ARMA (٢،٢) لتمثيل السلسلة الزمنية .

التوصيات

٤. استنادا الى ما تم التوصل اليه من نتائج يمكن ان نوصي بالاتي:

٥. الدعوة إلى ادراج زيارة الأربعين في لائحة التراث العالمي.

٦. الاهتمام بالزائرين بصورة عامة والوفود من خارج العراق بصورة خاصة لينقلوا الصورة الحسنة للزيارة المباركة.

٧. التكثيف من الندوات الفكرية مع الشباب من كلا الجنسين لينقلوا للعالم الصورة المشرقة للزيارة المباركة .

٨. توفير خدمات اضافية لزائرين الوافدين خلال زيارة الاربعين مثل اماكن الاستراحة والفنادق والفرق الصحية .

٩. نشر فرق توعوية باهمية زيارة الاربعين ودلالاتها المعنوية والروحية.

١٠. استخدام نماذج وطرائق أخرى للتنبؤ مثل نماذج التمهيد الاسي، ونماذج دالة المويجة أو طرق الشبكات العصبية لتقدير معالم النموذج والتنبؤ باحسن طريقة .

المصادر

١. العتبة العباسية المقدسة / مؤشرات الرضا عن الخدمات المقدمة للزائرين في موسم الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام).
٢. الدكتور مصطفى عزيزي / الأبعاد العقيدية في مضامين الزيارة الأربعينية.
٣. قاضي طباطبائي، السيد محمد علي، تحقيق حول أول أربعين للإمام سيد الشهداء (عليه السلام)، بنياد علمي وفرهنگي شهيد آيت الله قاضي طباطبائي، قم، ١٣٦٨ هـ ش
٤. زوار الأربعينية يواصلون مسيرهم الى كربلاء رغم الامطار وقسوة الطقس"، ajel.sa، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢، مؤرشف من الأصل في ٣ أكتوبر ٢٠١٨، اطلع عليه بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢.
٥. أصبحت تعد بالملايين في الأعوام الأخيرة) نسخة محفوظة ٠٨ ديسمبر ٢٠١٥ على موقع واي باك مشين.
٦. الملايين تتجه لزيارة الحسين في الأربعين، مؤرشف من الأصل في ٥ نوفمبر ٢٠١٣، اطلع عليه بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠١٢.
٧. شبر، السيد جواد، أدب الطف وشعراء الحسين، دار المرتضى، بيروت.
٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ ق

الحسين في وجدان الإنسانية وأربعينته المباركة ميدان الشمولية النثر والشعر الحسيني المسيحي أنموذجاً

رجاء محمد بيطار

معهد الكفيل العتية العباسية

rajaa.m_bitar@outlook.com

ملخص البحث

إن هذا البحث يتمحور حول ارتباط مفهوم الزيارة الأربعينية بالعشق الإنساني الشمولي لشخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، وانعكاس هذا الارتباط على نفوس البشر الذين رأوا في الحسين رمزاً للحرية والانعتاق من قيد الظالمين ورفض الباطل والتعلق بالحق، والاستعداد الكامل للتضحية بالنفس والمال والولد في سبيل العقيدة والمبدأ...

يشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، ويبدأ بتعريف الزيارة كنشاط اجتماعي ديني عقائدي جماعي، ثم ينتقل في المبحث الأول إلى تعريف زيارة الحسين وفضلها ويخصّص أكثر فينتقل إلى الزيارة الأربعينية ورمزيّتها، خصوصاً فيما يتعلق بالإقبال العظيم عليها، من كلّ فئات المجتمع وطوائف البشر حول العالم، ثم ينتقل إلى توضيح العلاقة بين الزيارة والحج بمفهومه المعروف لدى الديانات الإبراهيمية، وقبل الإسلام وبعده، ليخلص إلى إثبات شمولية هذه الزيارة وعالميتها اعتماداً على شمولية صاحبها وعالميته، وارتكازها على العلاقة الاستثنائية مع شخصية الحسين (عليه السلام).

في المبحث الثاني يقوم البحث برصد الأثر الحسيني في النثر والشعر المسيحيين، كمصداق لتوضيح تلك العلاقة السامية بين الحسين ومحبيه، على اختلاف طوائفهم، وبالأخصّ المسيحيين منهم، مع إيراد الشواهد المناسبة، ليختم البحث بتأكيد انعكاس

تلك العلاقة الإنسانية الوطيدة على زوار أربعينية الحسين (عليه السلام)، إذ يقصدونه تعظيماً لشخصه المقدس ولما يرمز إليه من معانٍ إنسانية عميقة لا حدود لها إلا الإنسانية.

كلمات مفتاحية: الزيارة الاربعينية، النشر المسيحي، الشعر المسيحي، الامام الحسين

“Hussein in the conscience of humanity and his blessed ziyart al Arbaeen: A field of inclusivity - Prose and Christian Hussein Poetry as an example”

by the Lebanese researcher Rajaa Mohammed Bitar.

rajaa.m_bitar@outlook.com

Abstract

This research revolves around the relation between the concept of the Arbaeen Visit and the humanitarian love to the personality of Imam Hussein, peace be upon him, and the reflection of this relation on the souls of people who find in Hussein a symbol of freedom and liberation from the bondage of the oppressors, rejection of falsehood and attachment to the truth, through his complete readiness to sacrifice himself, money and children for the sake of faith and principle.

This research includes an introduction, two chapters and a conclusion, and it begins with the definition of the visit as a collective social, religious, and ideological activity. Then it moves on to clarifying the relationship between the visit and the pilgrimage in its concept known to the Abrahamic religions before and after Islam, to conclude the comprehensiveness and universality of Arbaeen Visit depending on the comprehensiveness and universality of its owner, and its reliance on the exceptional relationship with the personality of Imam Hussein, peace be upon him.

In the second chapter, the research monitors the Hussein influence in Christian prose and poetry, as a credential to clarify that lofty relationship

between Hussein and the people who love him, regardless of their sects, especially Christians among them. To conclude the research by confirming the reflection of that strong humane relationship on the visitors of Imam Hussein, as they seek him in veneration, for his sacred person and for the deep humane meanings that he symbolizes, and have no limits except the humanity itself.

المقدمة

أصل وشمولية فكرة الزيارة الحسينية من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف:

حينما يكون بحثنا حسنيًا فإننا ننطلق من القرآن الكريم والحديث الشريف لندخل في رحابه، فنبني الرحمة قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين» (المجلسي، ج ٤٣، ص ٢٧١)، والحسين (عليه السلام) جوهر الرسالة الإسلامية ومحبي معالمها بعدما كادت تدرس، لا في عصر استشهاد فحسب، بل هو باقٍ ما بقي ذكره الخالد، وحيٌّ في الضمائر ما عاشت البشرية تحيي الشعائر الحسينية...

ومن الملاحظ أننا نرى في القرآن الكريم آياتٍ عديدةٍ نستدلُّ بها على ارتباط الإنسان بأوليائه، أحياءً وأمواتًا، ومنها قوله تعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل﴾ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين ﴿آل عمران: ١٤٤﴾، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.. (المائدة: ٥٥)

فأمَّا الآية الأولى فنزلت يوم أحد بعدما انهزم الناس ولم يبقَ مع النبيِّ الأكرم (عليه السلام) إلا علي (عليه السلام) وأبو دجانة رضي الله عنه (الشهرودي، ج ٣، ص ٢٦١)... وعن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في رسالة طويلةٍ إلى أصحابه جاء فيها تفسير هذه الآية بقوله: «وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويُتبع أمره في حياة محمد (عليه السلام) وبعد قبض

محمد ﷺ...» (الكليني، ج ٨، ص ٦) فهي إذًا للتدليل على خلود الإسلام وعالميته وعدم انتهائه بوفاة النبي الأعظم ﷺ، وبالتالي فإن تعاليمه وشرائعه مستمرة باستمرار الحياة الإنسانية على هذه الأرض، ومستمدّة من كل تلك العطاءات والتضحيات الجسام التي قدّمها النبي فداءً لدين الحق والهدى، سواءً في نفسه، أو في أهل بيته وذريّته، وهو القائل: «ما أؤذي نبيّ مثلاً أؤذي» (المجلسي، ج ٣٩، ٥٦)، وتبقى تلك الصلة العميقة المتجدّرة في الأرواح والقلوب، لتوثّق علاقة المخلوق بخالقه، عبر نبيّه المرسل الذي أدّى الرسالة وجاهد في سبيلها حتى غدت ما أصبحت عليه... ويحتاج هذا الموضوع إلى بحثٍ مستقلّ ليس هنا مجاله.

وأما الآية الثانية فهي للتدليل على اختصاص الولاية بمن نصّ الله عزّ وجلّ عليه في هذه الآية بحسب الروايات المتواترة، وكونه الإمام عليّاً عليه السلام الذي تصدّق بخاتمه وهو راع، في القصة المشهورة، التي يرويها أهل الحديث من العامة والخاصة (مجمع البيان في تفسير القرآن“ ج ٣ ص ٣٢٢-٣٢٣؛ الطباطبائي، ج ٦، ص ١٦؛ المجلسي، ج ١٣٥ ص ١٨٧)، وقد أوردنا هذين الشاهدين للتأكيد على شمولية الإسلام من جذوره إلى جذعه وأوراقه، بدءاً بالرسالة حتى الإمامة، مصداقاً لقول النبي في حديث الثقلين: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبداً» (ابن سعد ١/ ١٩٤؛ العامل، ج ٢٧، ص ٣٤)، ولا شكّ في أن ولاية الإمام علي عليه السلام تتبعها ولاية المعصومين من بنيه، بحسب الروايات الشريفة المعروفة، ومنها الحديث الشريف: «أنا سيد النبیین وعلي سيد الوصیین وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي» (الحنفي: ٣/ ١٠٤)... كل هذه الأحاديث والآيات نستنتج منها أن التواصل المستمرّ بين الإنسان وأوليائه، أنبياء وأوصياء، مطلوبٌ وضروريٌّ، وأنه يكرّس تلك المنهجية الإنسانية القائمة على دعامةٍ أساسية، هي ارتباط العبد بربه

عن طريق أوليائه الذين اختارهم الله لنقل الرسالة والمحافظة عليها، هذا الارتباط الذي يتم عبر التواصل الدائم معهم، ومع نهجهم القويم، ومن مصاديق هذا التواصل زيارة مراقدهم الشريفة، التي نصّت عليها روايات الأئمة المعصومين بنصوصٍ مخصوصة وبمناسباتٍ محدّدة، لعلّ أهمّها وأكثرها فضلاً هي زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، لما لاستشهاده ومظلوميته من أثر عميق في وجدان الأمة وبنائها...

المبحث الأول

زيارة الحسين (عليه السلام) بين الاستحباب والمحبة

١. فضل زيارة الحسين (عليه السلام) في الحديث الشريف:

لعل إحدى أبرز الطرق التي تستمرّ بها العلاقة الواقعية بين المؤمنين وأوليائهم عامة، وبين المسلمين الشيعة وأئمتهم المعصومين خاصة، هي زيارة الأضرحة الشريفة لهؤلاء الأئمة (عليهم السلام)، وما يتبع تلك الزيارة من مراسم وطقوس، تؤثّق تلك الصلة المباركة، وتضع العلاقة الرفيعة في إطار الممارسة العملية، مع التركيز على أبعاد تلك الزيارة ومدلولاتها، وتأثيرها الواقعي في حياة الفرد والمجتمع، الإسلاميّ الشيعيّ منه وغير الإسلاميّ أيضاً، باعتبار أن الزيارة قد تمتدّ إلى أفرادٍ وجماعاتٍ يقدّسون هؤلاء الأولياء ويقتدون بهم، وإن لم يكونوا يعدّونهم أئمةً لهم بالمعنى الدقيق...

وقد وردت نصوص متعدّدة عن النبي والأئمة (عليهم السلام) في استحباب زيارة قبور المؤمنين، فعن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) قوله في حديثه عن القبور: «... فزوروها فإنه يرقّ القلب وتدمع العين وتذكّر الآخرة...» (المرعشي، ج ١، ص ٣٧٦)، وقد كان لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) النصيب الأوفى من هذه الأحاديث، لما يحمله سيد الشهداء من خصوصيّة في حياته وشهادته وما بعدها... ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر، حديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)

مخاطباً عبد الله بن عباس حول زيارة الحسين (عليه السلام): «يا ابن عباس، من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجةٍ وألف عمرة» (الخزاز، ص ١٧)، وحديث الإمام الباقر (عليه السلام): «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام) فإن إتيانه مفترضٌ على كلِّ مؤمن يقرّ للحسين (عليه السلام) بالإمامة من الله عزَّ وجلَّ». وحديث الإمام الصادق (عليه السلام) في خيرٍ طويلٍ ودعاء، سنورده هنا بتمامه، لأهميته في طرح الموضوع، بسنده عن معاوية بن وهب قال: «استأذنت على أبي عبد الله (الصادق) (عليه السلام) فقيل لي ادخل فدخلت، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصية ووعدنا بالشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرَّ كلِّ جبارٍ عنيد، وكلِّ ضعيفٍ من خلقك أو شديد، وشرِّ شياطين الجنِّ والإنس، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، أللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافاً منهم على من خالفنا، فارحم اللهم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله (عليه السلام)، وارحم تلك العيون التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، أللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان، حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش...» (الصدوق: ٩٤-٩٦؛ ابن قولويه: ٢٢٧-٢٢٨)

إن الأحاديث المستفيضة في هذا الشأن، وهذا الحديث العظيم هو أشملها وأعمّها

لتطرقه إلى فضل الزيارة مع ما يواجهه الزائرون من عقباتٍ دنيويةٍ، وتأكيد إصرارهم عليها رغم كل ذلك، وخلاصتها توكيداً لا شك فيه على عظمة هذه الشعيرة المقدسة، وما عظم أئمتنا شيئاً إلا لأهميته وأثره البالغ في بناء النفوس والأرواح، وتثبيت القلوب على الإيمان والتصديق بالنبي ورسالته ووصيته وبالأئمة المعصومين من عترته، ومن ثم الحصول على السعادة الدنيوية والأخروية...

٢. فضل زيارة الأربعين في الحديث الشريف:

أما زيارة الأربعين، فهي أيضاً ذات خصوصيةٍ تتعلق بذكرى استشهاد سيد الشهداء وإحياء ذكره في وقتٍ محدّدٍ هو مرور أربعين يوم على استشهادِهِ، وقد وردت في فضلها عدة أحاديث، أهمّها ما ورد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قوله: «علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»... (المفيد، ٣٥٢)

وقد ورد نصّ زيارة الأربعين بسندٍ صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أورده الشيخ الطوسي في «تهذيب الأحكام» ج ٦ ص ١١٣ و«مصباح المتهجّد» ص ٧٨٨ والسيد ابن طاووس في «إقبال الأعمال» ج ٣ ص ١٠١.

٣. آثار زيارة الحسين (عليه السلام):

إن آثار هذه الزيارة العظيمة على نفوس الزائرين وعلى المجتمع الإنساني الذي يكتنف هذه الشعيرة لا تُنكر، فإن هذه الآثار تمتدّ عبر الأزمنة والأمكنة، وتبرز ديمومتها واستمرارها وارتقاؤها بالشخصية الإنسانية إلى تلك الصفات الرفيعة التي أرادها لنا الحسين (عليه السلام) بثورته، وأرادها لنا أهل البيت (عليهم السلام) بإحيائهم لذكراه عبر زيارته، في مناسباتٍ متعدّدة، لعلّ هذه المناسبة هي أكثرها شمولاً، لاشتمالها على مراسم المشي الفردي والجماعي، لأممٍ وخلائق يجمعها حبّ الحسين وتقديس مسيرته الخالدة، ولا

يفرّقها اختلاف الطوائف والملل، كما أن تأثير محبة الإمام الحسين عليه السلام، وتأثير هذه الزيارة الشمولية في النفوس الإنسانية على اختلاف مشاربها قد تُرجم عبر الكثير من المواقف والآثار الأدبية الخالدة لأدباء وشعراء من مختلف الطوائف، وسنحاول إلقاء الضوء على شيءٍ منها في هذه الدراسة.

إننا نلاحظ ونستنتج، كيف تحوّلت هذه الزيارة المختصّة بثالث أئمة الشيعة الإثني عشرية، وثاني سبطي نبي الإسلام، وأحد ريجانيته، إلى زيارةٍ عالميةٍ إنسانية، لا تقتصر على الشيعة والمسلمين، بل تمتدّ لتحتوي كلّ فئات المجتمع الإنسانيّ، وكلّ أقطار العالم من أقصاه إلى أقصاه... بل إن هذه الزيارة ذات الجذور التاريخية والعقائدية والعاطفية العميقة، ما برحت تتنامى وتتعاظم في أفئدة الناس وعلى مرّ العصور، في مفارقةٍ عجيبةٍ لا يفسّرُها منطق اجتماعيّ أو تاريخيّ أو سياسيّ، فهي قد حوربت بشدة، وجوّهت من قبل طواغيت العصور الماضية والحاضرة، ولكنها مع كل قطرة دمٍ سالت، كانت ولا تزال تتغذّى وتنمو وتزدهر، حتى بلغت ما هي عليه الآن من عظمةٍ استثنائية، هي بحقّ صاحبها أقلّ من القليل...

٤. العلاقة بين الزيارة والحج في الديانات الإبراهيمية:

إن الديانات السماوية، والتي يُطلق عليها الباحثون اسم الديانات الإبراهيمية، نسبةً إلى نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، هي تلك الديانات التي أتى بها أنبياء الله من نسل إبراهيم، وهي يهودية موسى ومسيحية عيسى وإسلام محمد، صلوات الله عليهم أجمعين، ويلحق بعض المؤرّخين بها دياناتٍ أخرى كالصابئة والمندائية والسامرية والدرزية والبابية والبهاية والزرادشتية والسيخية...

إن مفهوم الزيارة، أو الحج بصيغة الديانات الإبراهيمية غير الإسلامية، هو مفهومٌ قديم تناقلته الأجيال ودرجت عليه منذ العصور الغابرة، ولا تزال الكثير من الأمم تحجّ

إلى مواطن تمثل لها بعداً دينياً ما، له ارتباطٌ بعقائدها ومفاهيمها.

ويعرّف الحجّ لغوياً بأنه يعود إلى الجذر اللغويّ حجج، والمراد منه القصد المتكرر لعملٍ معيّن معظّم مرةً في السنة (الزبيدي، مادة حج).... ويصطلح عليه بأنه قصد موضعٍ مخصوصٍ في وقتٍ مخصوص للقيام بأعمالٍ مخصوصة... (بن همام ٢ / ١٢٠؛ الدردير ٢ / ٢؛ المحتاج ١ / ٤٥٩؛ منتهى الإرادات ١ / ٤٧٢)

نستنتج إذاً أن الحجّ اصطلاحاً هو تلك الطقوس الدورية التي يمارسها أتباع معتقديّ ما، حيث يقصدون مكاناً يحترمونّه ويقدّسونّه، في وقتٍ معيّن من السنة، ويقومون بأداء مراسم معينة ترتبط بذكرى هذا المكان وما يعنيه لهم...

لقد حجّ الهندوس قديماً إلى نهر الغانج، وحجّ اليهود ولا يزالون إلى حائط المبكى الذي يعدّونه من بقايا هيكل سليمان، وحجّ المسيحيون ولا يزالون إلى أماكن مقدّسة عديدة حول العالم، منها كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان، وكنيسة السيدة غوادالوبي في المكسيك، ومزار سيدة فاطمة في البرتغال، ومزار سيدة لوردس في فرنسا، وكنيسة المهد وكنيسة يوحنا المعمدان في بيت لحم، وكنيسة القيامة في القدس وغيرها، وكانوا في كلّ تلك الطقوس يترجمون عقائدهم ويحيون ذكرى من يحبّون بارتباطهم بتلك الأماكن، التي تمثل لهم بعداً رمزياً يحققون من خلاله أنفسهم ويحافظون على كيانهم ووجودهم، وربما يأتي ذلك استناداً إلى قول القديس جيروم: «إن من الدين التعبّد في الموضع الذي وطأته قدما المسيح» (ستيفن رنسيان، ج ١: ٦٣)، فبيت لحم هي مسقط رأس السيد المسيح، وكنيسة القيامة تحتوي قبره بعد الصلب بحسب معتقدتهم، ولوردس الفرنسية هي مكان ظهور السيدة العذراء عليها السلام للقديسة برناديت في العام ١٨٨٥، وغير ذلك...

وحجَّ العرب من حنفاء ونصارى ويهود ووثنيين، في الجاهلية السابقة للإسلام، إلى الكعبة، لارتباطها بجدهم اسماعيل وأبيه إبراهيم عليه السلام، ولئن كانت طقوسهم التي مارسوها وابتدعوها مفرغةً من محتواها الروحي والفكري آنذاك، فلعل السبب يعود إلى فقدان الارتباط بين النظري والعملي، وابتعادهم عن الفكرة الأساس التي سنَّ الحجَّ لأجلها، وتمسكهم بقشورها الجوفاء، حتى غيروا وبدّلوا وفقدوا الجوهر الحقيقي للحج... ثم أتى الإسلام ليعث تلك الشعيرة حيةً تضجّ بالروحانيات الراقية تزخر بالمعاني السامية، وترفع من وجدان الإنسان عبر ربط الطقوس بمعانيها، والشعائر بدواعيها، إذ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس... (المائدة: ٩٧)، و﴿إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهرّ بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (الحج: ٢٦)، ﴿ولكلّ أمةٍ جعلنا منسكاً ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهم إلهً واحداً فله أسلموا وبشّر المختبين﴾... (الحج: ٣٤)

وكذا كانت زيارة النبي وأهل بيته عليهم السلام، التي هي نوعٌ من الحجّ المستحبّ، بالمفهوم اللغوي للكلمة، وبالمفهوم الاصطلاحيّ أيضاً، دون المفهوم الشرعيّ...

لم تكن الزيارة يوماً حجّاً، إلا بقدر ما هي انطلاقٌ للروح نحو المعبود... ولعل زيارة الحسين عليه السلام، بما تحويه من مضامين إنسانية رفيعة، ومدلولات عميقة، هي أبرز حجّ إنسانيّ شاملٍ على الإطلاق، لا لتفوّقها على الحجّ الواجب إلى الكعبة المشرفة، فتلك شعيرةٌ لا يختلف في أهميتها ووجوبها ذو دينٍ وعقلٍ وبصيرة، ولكن لأنها لم تختصّ بالمسلمين دون غيرهم كالحجّ، ولم يلتزم بها غير المسلمين لإيمانهم بوجوبها عليهم، بل كان الدافع إليها اختيارياً بحثاً، فحتى المسلمون والشيعّة، الذين يروون في استحبابها الروايات الجزيلة، فهم يقومون بها بدافعٍ عاطفيّ بالدرجة الأولى.

ولئن كانت مواقع الحجّ التي تستهدفها طقوس الأديان السماوية عمومًا، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعقائد أتباعها، فإن لنا أن نسأل: أي دافع يحدو بمسيحيٍّ أو صابئيٍّ أو غيرهما أن يزور الحسين (عليه السلام)، وهو لا يمثل له رمزًا دينيًا يعتنقه، ولا عقيدة روحية يصطفّيها؟!!

إن لنا أن نبحث عن السرّ في إجابات هؤلاء أنفسهم، عبر رصد علاقتهم بهذه الشخصية الاستثنائية، شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، وانعكاس هذه العلاقة في ما قالوه أو كتبوه، ومحاولة استقراء مشاعرهم وأفكارهم التي توجّهوا بها صوب الحسين.

المبحث الثاني

الحسين (عليه السلام) في فكر غير المسلمين، الفكر المسيحي أنموذجاً:

لقد هزّت مأساة كربلاء، التي تمسّحت على ناصية النصف الثاني من القرن الأول الهجريّ، ضمائر الشعوب مذ كانت، وخاطبت وجدان الإنسان بكل أطيافه، فصارت رمزاً لوقوف الحقّ ضدّ الباطل، ولرفض الدلّ، وعدم التنازل عن المطالبة بالحقّ مهما كانت العقبات، وتلك أحاديث الإمام الحسين (عليه السلام) قد ذهبت أمثالاّ للأحرار في كلّ مكان؛ «هيّئات منّا الدلّة» (المسعودي، ص ١٦٦)، وفي بعض المصادر «هيّئات منّا الدنيّة» (الحراني، ص ٢٤١) ... «ما خرجتُ أشراً ولا بطراً بل خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد»... (المجلسي، ج ٤٤ ص ٣٢٩؛ الكوفي، ج ٥ ص ٣٣)

ولم يقتصر أثر تلك الفاجعة المدوّية في حينها على المسلمين فحسب، فالتاريخ يروي لنا قصص مسيحيين جاهدوا بين يدي الحسين، بعدما رأوا الحقّ وعرفوه، ولا مس قلوبهم الحية بوجوده الملكوتيّ، فصاروا من مريديه وأنصاره، ووهب بن عبد الله الكلبي (ابن طاووس، ص ١٦١؛ الحلي، ص ٦٢؛ الريشهري، ج ١، ص ٧٧٧) هو أحد تلك النماذج الراقية، ذاك العريس الذي ترك عرسه، وأعرض عن الدنيا التي فتحت له ذراعيها ليرتمي في أحضان الآخرة، وفضّل الباقي على الزائل، فحسنت عاقبته بين يدي الحسين...

ويروي لنا التاريخ كذلك قصة أخرى جرت بعد الاستشهاد، وخلال رحلة السبي المريعة بين الكوفة والشام، فيعرج على ذلك الدّير الذي رأى الراهب فيه نوراً يتصاعد من الأرض نحو السماء، وإذا به ينبعث من رأس الحسين المرفوع على القناة، فعمل على استبقائه لديه طيلة تلك الليلة، بعدما اشترى صمّت الجلاوزة بالمال الوفير، وقام بتطبيب الرأس وتكريمه، ثم غسّله بفيض مدامعه. (ابن الجوزي، ص ٢٣٦ - ٢٣٧؛ الخوارزمي، ج ٢ ص ٤٩ - ١١٥ - ١١٦)

لم تنته قصة الحسين (عليه السلام) مع النصارى في ذلك المكان، ولم يقتصر ذاك الهدى المنبثق من دمائه الزاكية على تلك الأحداث، بل هو راح يضرب في عمق الزمان طويلاً وعرضاً وارتفاعاً، حتى وصل إلى عصرنا الحاضر، فإذا بالقرن الماضي يحتضن قومًا استطاعوا أن يتجردوا من الأنانية الطائفية، وأن يروا الأمور بمقياسٍ آخر، غير التعصب المقيت والتزمت البغيض، وأن يدركوا ما وراء الأكمة، فرأوا النور الذي لم تتمكن سجون القرون من أن تخفيه، واكتشفوا الشعاع الذي أحيت في النفوس تلك الذكرى الخالدة التي ما فتى أتباع الحسين يروونها للحياة في كل عاشوراء، فعرفوا الحسين...

فإنه، مع اشتداد الظلم وانطلاق عددٍ من الثورات والأصوات الحسينية في مواجهته، نشط اطلاع أهل العالم، ومنهم المفكرين المسيحيين من مستشرقين غربيين وأدباء شرقيين، على الفكر الإسلامي، وشهدت أواخر القرن التاسع عشر وأواسط القرن العشرين وما بعدها انفتاحاً فكرياً بين الأديان والطوائف، وانطلاق الفكر في رحاب الحريات الإنسانية دونما عوائق، فاستطاع عددٌ من أولئك المفكرين أن يطلقوا العنان لأقلامهم في ميدان الحسين؛... وقد زاد المسيحيون العرب على غيرهم، بأنهم عايشوا الفكر الإسلامي في منابعه، وعرفوا قصة كربلاء، وربما سمعوا مجالس عاشوراء، واستوثقوا من مظلومية سيد الشهداء، ورأوا في توضيحته بنفسه وأهله وعياله وأصحابه، صورةً أخرى عن توضيحات المسيح (عليه السلام) وإيثاره، وكان لأخلاقه الرفيعة وشيمه الفاضلة أثرٌ عظيمٌ في تكوين علاقة إعجابٍ وإكبارٍ ربطتهم به، فغدا لهم رمزاً من رموز الإنسانية الفاضلة، وهاموا حباً بتلك الشخصية الكاملة، وتغنّوا ببطولاته الروحية والجسدية، ورفعوه إلى مصافٍ قديسيهم، ووضعوا نصب أعينهم الاقتداء بنهجه الحرّ الأبّي في رفض الظلم والذلّ... وغدا جزءٌ كبيرٌ من الشعر والنثر المسيحيين مفعمين بحبّ الحسين...

ليس غريباً كل ذلك، بل إن تميّز المسيحيين عن سواهم بالتقرّب من أهل الحق والإيمان

عموماً، هو أمرٌ أشار إليه القرآن الكريم في مواضع متعدّدة، منها قوله تعالى: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة: ٨٢-٨٣)

وقوله أيضاً: ﴿وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناها الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمة...﴾ (الحديد: ٢٧)

إن هذه الآيات تنبئنا عن تلك النفسية الرقيقة الشفافة التي يملكها المسيحيّ المؤمن بوصايا المسيح السائر على تعاليمه، بغضّ النظر عن معتقده المغاير، فهو يملك من الحبّ والصفاء ما يجعله يرى بعض جوانب الحقّ فلا يغفل عن إدراكها، وإذا بأدباء مسيحيون متعدّدون خاضوا لجح الفكر الحسينيّ، وأبدعوا في رحابه، ما بين شعرٍ ونثر، فتركوا بصمةً مميّزةً في سجلّ الإنسانية السمحاء، تُرجمت عملياً عبر تدفقّ الزائرين من مسيحيين ومسلمين وصابئة وغيرهم إلى رحاب الحسين (عليه السلام) في مسيرة الأربعين، ...

أولاً: النثر الحسيني المسيحيّ:

برز من مفكّري المسيحية المعاصرين عدد كبيرٌ من الأدباء الذين تغنّوا بالإمام الحسين (عليه السلام) وثورته ونضاله ضد الظلم، وتضحياته القصوى التي لا تماثلها تضحيات في تاريخ البشرية، فهذا أنطوان يوسف بارا الإعلامي السوريّ المسيحيّ يقول في كتابه «الإمام الحسين في الفكر المسيحي»: «شخصية الحسين محيطٌ واسع من المثل الأدبية والأخلاق النبوية، وثورة فضاء واسع من المعطيات الأخلاقية والعقائدية...» (أنطوان بارا، ص ٢٦، ٢٧)

كما يقول أيضاً في موضعٍ آخر من نفس الكتاب: «... إن الفداء والاستشهاد

اللذين يشكّلان ركن الدين المسيحيّ الأساسي، قد جسّدهما الحسين (عليه السلام) خير تجسيد في استشهاده، هذا الاستشهاد الذي لا يقدم عليه إلا المبشرون بالأديان السماوية أو المتصدّون لانحرافها، وكان الحسين (عليه السلام) واحداً منهم...» (أنطوان بارا، ص ٣٨٤)

ويقول أيضاً في لقاء أجرته معه وكالة «تنا» على موقع «تقريب» الإخباري: «إن ملحمة كربلاء وثورة الحسين (عليه السلام) هي عبارة للزمن، والأهداف التي انطلقت من أجلها لا تخصّ ديانة واحدة، وإنما هي عبارة عن ضمير جميع الأديان لأنها تمثل صوت المظلومين والمضطهدين...» (<http://www.taghribnews.com/ar/interview>)

والجدير بالذكر أن هذا الكاتب المفكّر نفسه قد شارك في المسيرة المليونية للزيارة الأربعينية في العام ٢٠١٣ نحو قبر الحسين (عليه السلام) قائلاً: «إن شعيرة المشي على الأقدام إلى قبر الحسين (عليه السلام) هي تطهير للنفوس وتذويب للفوارق الطبقية كما هي شعيرة الحج». (<https://kitabati.info/subject.php?id=25977>)

ويقول البروفيسور بيير لوري الأكاديمي الفرنسي في جامعة السوربون: «رسالة الله ليس لها معنى في أفواه الناس إلا عند هؤلاء الذين يجعلون من الحسين أسوة لهم، يجاهدون في سبيل الله من أجل العقيدة، ويكشفون القناع عن الكفر في الوقت نفسه...» (الخزرجي، ص ١٢٤)

ويقول بولس سلامة القاضي والإعلامي والشاعر والأديب المسيحي اللبناني في مقدمة كتابه ملحمة الغدير، المتمحور حول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن العروبة المستيقظة اليوم في صدور أبنائها لأحوج ما تكون إلى التمثّل بأبطالها الغابرين، وهم كثر، على أنه لم يجتمع لأحد منهم ما اجتمع لعليّ من البطولة والعلم والصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين، فقد عاش الأب للحقّ، وجرّد سيفه للذود عنه، واستشهد الابن

في سبيل الحرية يوم كربلاء، ولا غرو، فالأول ربيب محمد والثاني فلذة منه...» (بولس سلامة، مقدمة ملحمة الغدير)

ويقول المفكر المسيحي ميشال كعدي: «أما الإمام الحسين فقد خُصَّ بالبقاء الدائم في الأديان والطوائف العالمية، وبقي ركن إيمانٍ وصلاة، ومعيناً للفضائل وقبساً لأرواح ونفوس المؤمنين في الأديان كلها، ثم زادها ضياءً في عيون البشر...» ([https://almo-\(\(terfy.com/post/print/22850](https://almo-((terfy.com/post/print/22850)

ويقول القس المسيحي الدكتور أواديس استانبوليان في مقالٍ له بعنوان: «القرآن الكريم والمسيح في وجدان الإمام الحسين (عليه السلام): «إن الإمام الحسين نذر نفسه لإنقاذ أبناء آدم، وأراد أن يرفعهم إلى السماء... وإن محور ثورة الحسين لم يكن من أجل خلافةٍ على سلطةٍ دنيوية وإنما من أجل الحفاظ على القرآن الكريم الكريم حقيقةً وحقاً». (<https://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=66981>

أما جوزيف الهاشم الشاعر والوزير السابق فيقول: «إن الإمام الحسين هو المندور السماوي للشهادة وإن ثورته ثورة إنسانية تعني الإنسان في كليته وانتمائه عند المسلمين والمسيحيين...» (<https://lebanon.shafaqna.com/news>)

ويقول جورج جرداق الشاعر والأديب المسيحي العريق، ومؤلف كتاب «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية»: «حقاً إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، أي أنصار الحسين، كانت على درجةٍ بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالدًا لا زوال له إلى الأبد.»

أما نصري سلهب فقد ألّف كتباً عديدة حول الإسلام، منها «لقاء المسيحية والإسلام»، و«في خطى محمد» و«في خطى المسيح»، و«الإسلام كما عرفته»، وهي كتب عاجلت تلك العلاقة الصافية التكاملية بين الدينين السماويين، وشخصياتهما المقدسة المشتركة.

وأما سليمان كتاني، فله كتب عديدة أيضاً عن أهل البيت (عليه السلام)، منها «الإمام علي نبراس» و«متراس»، و«فاطمة الزهراء وتثر في غمد»، و«الإمام الحسن الكوثر المهدور»، و«الإمام الحسين في حلة البرفير»، والكتاب الأخير يمجّد شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ويبحث شهادته الاستثنائية ويرتقي في آفاقه العلوية...

ويقصر المجال عن الإمام بكلّ ما كتب وتثر وقيل، ولكننا يمكننا أن نجزم بأنه قلّ أن نجد عظيماً من عظماء التاريخ لم يقل في الإمام الحسين وثورته شيئاً عظيماً، ونصل إلى استنتاج نهائي، أن الإمام (عليه السلام) كان ذاك الألق الخالد في ضمير البشرية، واللواء المرفرف فوق آفاق الحرية، يستلهم منه كلّ حرّ صفات الإباء والوطنية، ويلتقي في سمائه كل عاشق بأنوار الفداء والعطاء، المتغلغلة في صميم ثورته الملكوتية.

ثانيًا : الشعر الحسيني المسيحي :

الشعر، ديوان العرب وسجلّ حياتهم، ينطق بتاريخهم ويدوّن أمنيّاتهم، ويهمسون ويصدقون معه وعبره بكل ما يعتلج في أعماقهم ويرسخ في ضمائرهم ويترجم حروف حضارتهم التي ارتقت بها رسالة نبيّهم، وهبطت بها أطباع جاهليّاتهم القديمة والحديثة... والحسين، هو من أحيى به الله تعالى دين نبيّه، حينما هدّده جشع الجاهلية الأمويّة بالزوال، فكان كبش الفداء وإكسير الحياة، أطفأ بدمائه الزاكية لهيب الرمال، وأذكى في نفوس الأحرار شعلة العطاء، فغدا لهم قبسًا يستضيئون بكفّه البيضاء.

لقد عرف العرب الشعر ناطقًا بلسانهم، يذيع أخبارهم ويتنقل مع أسفارهم، يخلّد مآثرهم ويلهب ضمائرهم، فكان حرّياً بواقعة الطفّ أن تعيش عبر القرون في حروف الضاد، إذ لم ينطق تاريخ العرب بفاجعة مثلها، فشحذ الشعراء قرائحهم على حدّ القوافي، ووقفوا على مفارق التاريخ يخطبون ويلهبون النفوس، ويحيون بكلامهم الحماسة في الصدور والرؤوس، ويتصدّون للظلم المنصبّ عليهم بسياطٍ من شعرٍ ونور...

لقد ارتجز أبطال الطفّ أشعارهم ليخلّدوا أخبارهم، فكانت أول «الطفّيّات»، وقدموها بين يدي سيدهم ومولاهم تمامًا كما قدّموا أرواحهم، ثم انثنى إمام العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام) يخطو الخطوة التالية، مخاطبًا شاعر القافلة الثاكلة العائدة إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله): يا بشر، أتحسن شيئًا من الشعر؟! ... قم وانع سيد الشهداء وخلّد ذاك الذكر...

وصدح صوت بشر بن حذلم عبر أروقة التاريخ، يستدرج قوافي الشعراء ويرفع أول
لواء:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرأ

الجسم منه بكر بلاء مضرّج والرأس منه على القناة يُدار

(ابن طاووس، ج ١ ص ١١٥)

إن كان الشعر الناطق بلسان الأحرار عبر الأزمنة، ليسجل المعارضة الأبدية للظلم
عبر أتباع نهج الحسين (عليه السلام)، فإن العلامة الفارقة في سجل الشعر الحسيني، هم أولئك
الذين نظموا القوافي الزاخرة في رثاء سيّد الشهداء، دون أن يكونوا مسلمين، فقد نظروا
إلى تلك المسيرة الخالدة الممتدة من أطراف القرن الأول الهجريّ حتى القرن الرابع عشر
الهجريّ، فاستطاعوا أن يقرؤوا ببصائرهم النافذة حرف الحقّ في قرآن الصدق، وأن
يؤمنوا بالحسين رسول حرية عبر الدهور، وانضمّوا بأشعارهم الملتهبة عشقاً ووجداً إلى
قوافل شعراء الطفّ.

ولئن عبّج تاريخ النثر بأدباء المسيحية يرصدون عاشوراء ويتفقهون في مدرستها
العامرة، فلقد كان للشعر المسيحي نصيبٌ وافٍ من تلك الحديقة الزاهرة، ولهجت بحب
ابن فاطمة، ألسنة الشعراء بولس سلامة، وجورج شكور وإدوار مرقس و عبد المسيح
أنطاكي، وغيرهم...

ها هو «بولس سلامة»، اللبناني الجزيني، صاحب ملحمة الغدير، ذات الثلاثة آلاف بيت في مدح الإمام علي، وملحمة «علي والحسين» ذات المئتين والعشرين بيتاً، إذ يقول:

«إن درع الإيمان بالحقّ درعٌ نسجته أصابع المعجزات
يغلب الموت هازئاً بحياةٍ لا يراها إلا عميق السباتِ
(سلامة، ص ٢٢٣)

وها هو عبد المسيح أنطاكي، اليوناني السوري الحلبي، قد نظم ملحمة العلوية ذات الخمسة آلاف وخمسمئة وخمس وتسعين بيتاً، وريمون قسيس اللبناني المسيحي الزحلاوي، قد كتب ملحمة «الحسين» ذات المئة وخمسة عشر بيتاً، فاستهلّها بقوله:

يا حسين الفداء تفديك نفسي أنت نوري المضيء يضحى ويمسي
قد دعا موسى والمسيح تجلّى وأتى أحمد لرّبٍّ بخمسٍ
ويتابع... ثم يختم بقوله:

وحسينٌ كيوسفٍ ليس إلا شهدت فضله موارد خمسٍ
صاح هذي كتبها بنجيعي عن شهيدٍ لم يروِه فيضٌ نقصٍ
(ملحمة الحسين عليه السلام، ريمون قسيس)

وها هو «جورج شكّور» اللبناني الجبيليّ يقول في ملحمة «الحسين»، ذات الثمانين بيتاً:

يا كربلاء لديك الخسر منتصر والنصر منكسرٌ والعدل معيارُ
وفيك قبرٌ غدت تحلو محبته يهفو إليه من الأقطار زوَّارُ
(ملحمة الحسين، جورج شكور)

أما إدوار مرقس الشاعر السوري المسيحيّ، فيقول في مستهلّ إحدى قصائد ديوانه،
مستوحياً من شهادة الحسين:

ركب الحسينُ إلى الفخار الخالدِ بيضَ الصفاح فكان أكرم رائدِ
حشد الطغاة عليه كلّ قواهم وحموا عليه وردَ ماءٍ باردِ
تأبى البطولة أن يذلّ لبغيهم من لم يكن لسوى الإله بساجدِ
حسب الفتى من قوةٍ إيمانه ولكربلاءُ عليه أصدق شاهدِ
(الكرباسي، ج ٤ ص ٢٩٨)

ويضيق المقال بإيراد أكثر من ذلك فنكتفي بهذا القدر من الشواهد، لنؤكد على حقيقةٍ
لا يختلف فيها اثنان، أن الحسين الذي ألهم الإنسان بكل أطيافه روح الحرية، باقٍ إلى الأبد
في ضمير الإنسانية، وأن زيارته في مرقده الشريف المبارك، لكلّ من عشقه وارتشف من
منهله ما ارتوى به وتبارك، هي ميثاق عهدٍ جديد، وتوكيدٌ على إحياء ما استشهد من
أجله هذا الإنسان الاستثنائيّ الفريد.

الخاتمة :

إن الحقَّ يعملو ولا يعلى عليه، ويد الله كانت ولا تزال فوق أيدي كلِّ الظالمين، وكذا وجه الله النير المين، الذي يتلأأ مشيراً إلى عليين، أنى توجهت القلوب والعيون ورصدته قوافل العاشقين... وكذا هو الحسين!

ومع أنه خامس أصحاب الكساء، وثالث أئمة أهل البيت النجباء، وأبو الأئمة المعصومين الأتقياء، وأحد أعمدة الفكر والنهج الإسلاميّ المحمّدي، بل هو عمادها الأساس، إلا أنه لم يكن يوماً ملكاً لأحد، فهو ملكٌ للإنسانية، وثورته نبراسٌ للحرية، وصوته المستنصر لا زال يتردّد في كل مكانٍ وزمان، ليعلن رفض الطغيان مهما كان جنسه ولونه ودينه، تماماً كدين جدّه، وإن رأسه الذي رُفع على القناة شماتةً ذات عاشوراء، قد غدا للعالمين لواءً منشوراً، فانتصر دمه على سيوف الظالمين، وبقيت مقولاته العصماء شعاراً لكلّ الثائرين، يستمدون منها الثورة والإباء، بكلّ أطيافهم وطوائفهم ومللهم ونحلهم، فهو قد «خرج طلباً للإصلاح في أمة جدّه»، وما علمنا أن الحسين قد أصلح بشهادته إلا النفوس التائقة إليه، والفاهمة لمؤدى ومغزى تلك الشهادة التي لم ولا تماثلها شهادةٌ في الكون أجمع... وما كانت زيارته التي يؤمها العالمون مجتمعين متآلفين رغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأديانهم، إلا مصداقاً لذلك الإصلاح الذي دعا وسعى إليه، وأخبر عنه وحثّ على فهمه واستجلاء معالمه. لقد ترجم ولده وبقيته الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ذاك الواقع العجيب، انتصار المظلوم على الظالم، بقوله الخالد مجيئاً على طاغية عصره يزيد:

إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم.» (الطوسي، ص ٦٧٧)

لقد انتصر الحسين عليه السلام بشهادته، وبقي ذكره خالداً بنهضته، وغدا مثالا للتضحية والإباء، فحق له أن يكون سيد كل الشهداء، إذ هو قد أعلن عبر منبره الأبدي أعجوبة النصر الحسيني المحمدي، نصر هويته هي الإنسانية المجردة، فهو يبدأ بقافية الشهادة، ويبحر في يمّ التضحيات، ليصل إلى برّ النجاة، فلا يضلّ من قلده وسام القيادة أبدا... وإن كل إنسان يقصد إلى صرحه المنيف، ويقطع المسافات برّا وبحرًا وجوّاً ليصل إلى مقامه الشريف، فهو يقصد فيه كل تلك المثل العليا التي رفعها وجاهد واستشهد وضحى في سبيلها، فكان مثالا لكل حرّ رفض الظلم وسعى للعدل والحرية، على مدى التاريخ وعبر كل دروب الإنسانية، فكلّ بحور الحرية مرأها الحسين.

مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم
- ١. إثبات الوصية، المسعودي
- ٢. الأمالي، الشيخ الطوسي
- ٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي
- ٤. تاج العروس، الزبيدي
- ٥. تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيان
- ٦. تحف العقول، ابن شعبة الحراني
- ٧. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي
- ٨. تفسير الميزان، السيد الطباطبائي
- ٩. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق

١٠. الحسين في الفكر المسيحي، أنطوان بارا
١١. شرح تجريد الاعتقاد، علاء الدين القوشجي
١٢. الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل
١٣. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني
١٤. شرح منتهى الإرادات لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي
١٥. "شرح المواقف"، الشريف الجرجاني
١٦. الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه (عليه السلام)، محمد الريشهري
١٧. الطبقات لمحمد بن سعد البصري
١٨. فتح القدير للكمال بن همام
١٩. كامل الزيارات، ابن قولويه
٢٠. كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي
٢١. الكافي، الشيخ الكليني
٢٢. كفاية الأثر، الشيخ أبو القاسم الخزاز
٢٣. مثير الأحزان، ابن نما الحلي
٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم، الشيخ الطبرسي
٢٥. المزار، الشيخ المفيد
٢٦. مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشهرودي
٢٧. المستدرک، أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق يوسف المرعشلي
٢٨. معجم الشعراء الناطمين في الحسين، محمد صادق الكرباسي
٢٩. مغني المحتاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي
٣٠. مقتل الحسين، الخوارزمي
٣١. مقدمة ملحمة الغدير، بولس سلامة

٣٢. ملحمة الغدير، بولس سلامة
٣٣. ملحمة الحسين، ريمون قسيس
٣٤. ملحمة «الحسين»، جورج شكور
٣٥. الملهوف في قتلى الطفوف»، السيد ابن طاووس
٣٦. المواقف في علم الكلام، القاضي عضد الدين الأيجي
٣٧. نزهة القلم، نضير الخزرجي
٣٨. وسائل الشيعة، الحر العاملي
٣٩. ينابيع المودة، القندوزي الحنفي

المراجع الإلكترونية:

١. وكالة تقريب للأبناء، <http://www.taghribnews.com/ar/interview> تاريخ النشر ٢٧ آب ٢٠٢١، أجرى الحوار الأخت نوري
٢. <https://kitabab.info/subject.php?id=25977> كتابات في الميزان، تاريخ النشر ٤ كانون الثاني ٢٠١٣
٣. المطيرفي: الإمام الحسين في عيون غير المسلمين
<https://almoterfy.com/post/print/22850>
٤. أواديس استانبوليان، « القرآن الكريم والمسيح في وجدان الإمام الحسين»، النصاري
مواقف وروابط مع الحسين، مجاهد منعر منشد
...<https://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=66981>
٥. جوزف الهاشم لـ«شفقنا»: ثورة الحسين انسانية شاملة حمت الدين وهي خط
شعاعي لثورة المسيح - Shafaqna Lebanon شفقنا لبنان
[/https://lebanon.shafaqna.com/news](https://lebanon.shafaqna.com/news)